جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

الحياةُ السّياسيةُ والاجتماعيةُ والثقافيةُ في العصر العباسيّ الثّاني وأثرُها في الرّسائلِ الدّيوانية

إعدادُ الطالب
ميثم فيصل كاظم

بإشراف
الأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالله البعول

رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا
استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في الدراسات الأدبية والنقدية/ قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2023م

الآراءُ الواردةُ في الرسالة الجامعية لاتُعبّر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

MUTAH UNIVERSITY
College of Graduate Studies

جامعة مؤتــة
كلية الدراسات العليا

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر اجازة الرسالة المقدمة من الطالب ميثم فيصل كاظم كاظم

والموسومة بـ: الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي الثاني وأثرها في الرسائل الديوانية

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

التخصص: اللغة العربية وآدابها في تاريخ 2023/01/03

من الساعة 10 إلى الساعة 12 قرار رقم

أعضاء اللجنــة: التوقيــع

أ.د ابراهيم عبدالله احمد البعول	مشرفا ومقررا
أ.د زايد خالد مصطفى مقابله	عضوا
أ.د ماهر احمد علي المبيضين	عضوا
أ.د.سلامه هليل عيد الغريب	عضو خارجي

عميد كلية الدراسات العليا

أ.د مخلد سليمان الطراونة

١٤/١/٢٠٢٣

الإهداء

أقدّمُ هذا العمل خالصًا لوجه الله تعالى، ومن ثمَّ أقدّمهُ إلى الروحين اللتين فارقنني وأنا أسيرُ في طريقِ العلم، وأصبح فراقهما غصةً في القلبِ لاتُجبرُ،

إلى روح والدي العزيز –رحمهُ الله–.....

إلى روح والدتي العزيزة–رحمها الله–.....

وإلى زوجتي أم شهم الوفية الصابرة، التي كانت سرًّا من أسرارِ إنجاز هذا البحث، التي لنْ أوفّيها حقّها على ماقدّمتهُ لي من عون، فالشكرُ لله الذي جمعني بها في أمن وسلام .....

وإلى من أشاع في حياتي النور، والسعادة، والبهجة، فلذة كبدي "شهم"

.....

وإلى إخوتي وأخواتي؛ الذين كان لهم بالغ الأثر في تذليل الكثير من العقباتِ والصّعابِ.....

إلى كلّ من ساعدني، من زملائي، وأصدقائي.

أُهدي ثمرة جهدي المتواضع،،،

ميثم فيصل كاظم

الشّكر والتّقدير

لا يسعُني في هذا المقام إلّا أن أتقدّمَ بجميل الشّكر، وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالله البعول، على جهودهِ المتواصلة في إرشادي وتوجيهي، في سبيل إنجاح هذه الدراسة، فنسألُ الله له التوفيق والتسديد.

كما أتقدّم بجزيل الشكر والاحترام لأعضاء لجنة المناقشة، على تفضلهم بمناقشةِ هذه الرسالة، وتحمُّلهم عناء قراءتها، ومناقشتها، وإبداء الرأي والملاحظات، بما يرشدني إلى جادّة الصواب.

ميثم فيصل كاظم

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
قائمة الجداول	هـ
الملخص باللغة العربية	و
الملخص باللغة الإنجليزية	ز
المقدمة	1
أهمية الدراسة	2
منهجية الدراسة	2
الدراسات السابقة	2
الفصل الأول: إطار الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية	**5**
1.1 الحياة السياسية	6
1.1.1 الشؤون الإدارية الداخلية	12
2.1.1 الثورات الداخلية	29
3.1.1 الشؤون الإدارية الخارجية	35
2.1 الحياة الاجتماعية	41
1.2.1 النظام الإجتماعي	42
2.2.1 مظاهر الترف والبؤس وصعوبة العيش	46
3.2.1 تذمر المجتمع من سيطرة النفوذ التركي	51
3.1 الحياة الثقافية	64
1.3.1 الثقافة الأدبية	65
2.3.1 الثقافة السياسية	72
3.3.1 الرسائل الديوانية وأبرز كتّابها ومصادرهم الثقافية	74

الفصل الثاني: الدراسة الموضوعية والفنيّة **91**
1.2 الموضوعات 91
1.1.2 رسائل الشؤون الإدارية الداخلية 93
2.1.2 رسائل الشؤون الإدارية الخارجية 128
2.2 البناء الفني 131
3.2 اللغة والأساليب 146
1.3.2 العناية بالألفاظ والمعاني في الرسائل الديوانية 147
2.3.2 الأساليب في الرسائل الديوانية 152
4.2 الصورة 168
5.2 الخاتمة 184
المراجع 188

قائمة الجداول

رقم الجدول	عنوان الجدول	رقم الصفحة
1	نوع الحرف وعدد المرات التي تكرر فيها، وموضعه	**164**
2	تكرار صوت الكاف	**165**
3	تكرار اللفظة في كتاب صاحب الديار المصرية محمد الإخشيدي إلى الملك آرمانوس	**166**

المُلخّص

الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي الثاني، وأثرها في الرسائل الديوانية

ميثم فيصل كاظم

جامعة مؤتة 2022م

تهدفُ الدراسة إلى الكشف عن آثار الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية في الرسائل الديوانية أبّان العصر العباسي الثاني، وقد اتّبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي مع استعمال المنهج التاريخي في استقراء الكتب والمراجع المتصلة في العصر العباسي الثاني (247 – 334هـ)، وجاءت الدراسة بمقدمة وفصلين وخاتمة.

أوضحت المقدمة مكانة العصر العباسي من الناحية التأريخية والأدبية، وتناولتُ فيها أهمية الدراسة في الكشف عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي الثاني وأثرها في الرسائل الديوانية، أثناء سيطرة الأتراك على مقاليد الحكم، وبينتُ فيها الحدود الزمنية للدراسة من سنة (247هـ)، وهي بداية خلافة المنتصر بالله، وحتى سنة(334هـ) وهي نهاية حكم المستكفي، وسبب البدء في هذه الحقبة؛ لمباشرة العنصر التركي بالسيطرة على الخلافة، وسبب الانتهاء عند خلافة المستكفي؛ لانتهاء مدّة الحكم التركي على يد العنصر الفارسي، الذي بدأ عصرًا جديدًا له على يد البويهيين.

وتضمن الفصل الأول ثلاثة مباحثٍ، تناولت في المبحثِ الأول: الحياة السياسية، وفي المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية، وفي المبحث الثالث: الحياة الثقافية، أمّا الفصل الثاني، فقد تضمن الدراسة الفنّيّة، واحتوى على أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول: الموضوعات، وفي المبحث الثاني: البناء الفنيّ، وفي المبحث الثالث: اللغة والأساليب، وفي المبحث الرابع: الصورة، وانتهت الدراسة بخاتمةٍ تضمنت أهمُّ النتائج.

Abstract

The Political, Social and Cultural Life at the second Abbasid Era and its Impact on the Court (Diwaniyah) letters

Maitham Faisal Kadhem

Mu'tah University,2022

The study aimed at identifying the impacts of political, social and cultural life in the (Diwaniyah letters) during the second Abbasid era. The study followed the analytical descriptive approach in addition to utilizing the historical approach in extrapolating books and references related to the second Abbasid era (247-334 AH). The study included an introduction, two chapters and a conclusion.

The introduction explained the status of the Abbasid era from the historical and literary perspective, and dealt with the importance of the study in revealing the political, social and cultural life in the second Abbasid era and its impact on Diwaniyah letters during the control of the Turks on the reins of government, and the time limits of the study from the year (247 AH), which is the beginning of the succession of Al-Muntasir Billah, and until the year (334 AH) which is the end of Al-Mustakfi's rule , and the reason for starting with this era is to highlight the Turkish element to control the caliphate, and the reason for concluding with the succession of Al-Mustakfi due to the end of Turkish rule period by the Persian element which began its new era by the Buyids.

The first chapter addressed three topics about the framework of political, social, and cultural life.

The second chapter included discussion on the artistic aspect, and it addressed four topics in which: themes, artistic construction, language and methods, and the image were discussed, and the study concluded with a conclusion that included the most important findings.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على رسولهِ الأمين، وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين، أمّا بعدُ:

فقد شهدت الدولة العباسية عَبرَ تأريخها الطويل المرور بعصورٍ متعددة، ممّا أدى ذلك إلى تحولات خطِرة على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي، إذ يَعدُّ من أطول العصور الإسلامية من الناحية التاريخية، إذ امتدّ عبر خمسة قرون (132هـ-656هـ)، ولم تُقَسَّم تلك العصور بناءً على أسماءٍ، أو إنجازاتِ الخلفاء، أو حسب ظروف طبيعة، ولكنَّها قُسِّمت حسب العنصر المسيطر عليها من الفرس، والترك، فبعد أنْ اختفى نجمُ الفرس، ولم يعد لهم شيءٌ من السلطان والنفوذ، ظهر نجمُ الترك، الذي امتدت حقبتهُ قُرابة القرن تقريبًا من سنة (247هـ- 334هـ)، وهذه المدة تقع ضمن العصر العباسي الثاني الذي ابتدى سنة(232هـ)، ولم يكن دخولهم في الدولة العباسية من طريق الاحتلال، بل كان دخولهم في بادئِ الأمرِ بطلبٍ من الخلفاء العباسيين، فبعد طغيان النفوذ الفارسي، استعان بعض الخلفاء بالعنصر التركي للحدِّ من قوةِ الفرس، وفي ظلِ وجود بعض الخلفاء الضعفاء حلَّ العنصرُ التركي محلّ العنصر الفارسي في القيادة والسيادة، ممّا أدى إلى سيطرتهم على الحكم، والتحكم في إدارة شؤون الدولة على وفقًا لأهدافهم ومصالحهم.

وبما أنَّ العصر العباسي امتدّ لفتراتٍ طويلةٍ، فقد تجلّت فيه العديد من الفنون الأدبية في مجال الشعرِ والنثر، وحُظيَ الأدب العربيّ مُنذُ نشأته في هذا العصر بدراساتٍ كثيرةٍ جادّةٍ شملت جميع الفنون والآداب التي ظهرت به، لأنّ الحقبة التي حَكم فيها بنو العباس كانت من أبهى الحقب، إذ سمت العلوم ونمت الآداب، وبلغ العطاءُ الفكري والعقلي منزلة رفيعة، فإذا كان العصر الجاهلي هو العصر الذهبي للشعر العربي، والعصر الأموي هو العصر الذهبي للخطابة العربية، فإنَّ العصر العباسي يُمثّل العصر الذهبي للكتابة العربية، وبما فيها فنّ الرسائل، وهو فنٌّ أصيلٌ من فنونِ النثرِ، الذي لايقلُ أهميةً وشهرةً عن غيرهِ من الفنون، فهناك رسائل عبرت عن الجوانب الأدبية، وأخرى عبّرت عن الجوانب العلمية، ورسائل جاءت تمثيلًا عن الجوانب الاجتماعية والعلاقات الإخوانية، وتضمنت أيضًا رسائل تحدثت عن الجوانب الرسمية للدولة، عُرفت بالرسائل الديوانية،

والأخيرةُ هي مجالُ بحثنا، فقد جاءت معبرةً عن العلاقات السياسية للدولة في الشأنِ الداخلي والخارجي، وجّسَّد هذا الفن جميع مواطن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، وبناءً على تلك الأحداث وقع اختيارنا على دراسة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وأثرها في الرسائل الديوانية، خلال مدّة السيطرة التركية منذُ خلافة المنتصر بالله سنة (247هـ)، وحتّى نهاية خلافة المستكفي بالله سنة (334هـ)، الذي انتهى معه التسلط التركي، وبزغ الحكم البويهي.

أهمية الدراسة:

وتأتي أهمية هذه الدراسة في الكشف عن إطار الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وأثرها في الرسائل الديوانية في عصر تولي الأتراك مقاليد الخلافة، وهل أنَّ هذه الأحداث والمواقف أدّت إلى تراجعها أو تطورها وازدهارها؟، وفي الوقوف على أبرز الجوانب الفنية للرسائل الديوانية.

منهجية الدراسة:

أمّا عن منهج الدراسة، فقد كان منهجًا وصفيًا تحليليًا في الدراسة الموضوعية والفنية، وأيضاً اتباع المنهج التأريخي عن طريق استقراء الكتب، والمراجع المتصلة في العصر العباسي الثاني، واستقراء الأحداث ذات الأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية.

الدراسات السابقة:

وأهمّ المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، هي: كتاب"البيان والتبين" للجاحظ، كتاب "تاريخ الرسل والملوك" للطبري، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه، وكتاب "أدب الكتّاب" لأبي بكر الصولي، "الفهرست" لابن النديم، وكتاب "الصّناعتين" لأبي هلال العسكري، وكتاب "الكامل في التأريخ" لابن الأثير، وكتاب"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" لضياء الدين ابن الأثير، وكتاب "حسن التوسل إلى صناعة الترسل" لشهاب الدين الحلبي، وكتاب "صبح الأعشى" للقلقشندي، وكتاب"جمهرة رسائل العرب الجزء الرابع" لأحمد زكي صفوت، و"الرسالة العذراء" لابن المدبر بتحقيق زكي مبارك وكتاب "تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني" لشوقي ضيف، وكتاب "الحياة الأدبية في العصر العباسي، "وكتاب "الأدب العربي وتأريخه" لمحمد عبد المنعم خفاجي وغيرها، وجاء استعمال هذه المصادر حسب الترتيب الزمني لها توخيًا للدقة في عملية الأخذ.

ومن الدراسات الحديثة السابقة ذات الصلة بموضوع بحثنا، دراسة محمد الدروبي، "الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري"، تناول فيها الرسائل الفنية بأنواعها منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، إذ قدّم دراسة تحليلية شاملة لجميع أنواع الرسائل، ودراسة ياسر خلفاوي، وفريدة لعبيدي، بعنوان "الكتابة الرسائلية في العصر العباسي الرسائل الديوانية أنموذجا"، وقد تطرقت هذه الدراسة في البحث عن ماهية الرسالة من حيث هي خطاب متداول وأهم أنواعها، والبحث عن أصول نشأتها وكيفية ظهورها في العصر العباسي كاملًا، ودراسة أسماء عبد الرؤوف، "الرسائل في العصر العباسي أنواعها وخصائصها الفنية"، تحدثت فيها عن الرسائل في العصر العباسي، وهدفت دراستها إلى إلقاء الضوء على الرسائل بصورة عامة بوصفها ضرباً من ضروب الأدب في تلك المرحلة من مراحل التأريخ الأدبي.

وفي ضوء العرض السابق تتضح أوجه الاختلاف بين الدراسات السابقة التي ذكرتها ودراستي، إذ إنّ هذه الدراسات لم تتناول ظاهرة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي الثاني وأثرها في الرسائل الديوانية بصورة واضحة شافية، إذ لاحظ الباحث أن الدراسات السابقة كانت تركز في دراسة أبعاد الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية على الرسائل الديوانية كما تجلت في التراث الأدبي، بيد أن هذه الدراسة ستقف أولاً على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي الثاني، والكشف عن الأحداث والمواقف التي أدَّت إلى صدور تلك الرسائل الديوانية بمختلف موضوعاتها، وبيان ذلك الأثر من الناحية الفنية.

وفي ضوء تتبعي للدراسات السابقة يرى الباحث أنّهُ يمكن دراسة تأثير الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الرسائل الديوانية في حقبٍ أخرى في العصر العباسي غير حقبة الدراسة، وعلى سبيل المثال مدّة الحكم البويهي.

وقد جاءت الدراسة في: مقدمة احتوت عرضًا لدوافع الدراسة وأهميتها، وبعض مصادرها ومراجعها، وفصلين، وخاتمة تضمنت النتائج التي توصل إليها الباحث، وثبتُ المصادر والمراجع، فقد جاء في الفصل الأول ثلاثة مباحثٍ، تناولت في المبحثِ الأول: الحياة السياسية، وفي المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية، وفي المبحث الثالث: الحياة الثقافية، أما الفصل الثاني، فقد تضمن الدراسة الفنّيّة، واحتوى على أربعة مباحث تناولت

في المبحثِ الأول: الموضوعات، وفي المبحث الثاني: البناء الفنيّ، وفي المبحث الثالث: اللغة والأساليب، وفي المبحث الرابع: الصورة، وانتهت الدراسة بخاتمةٍ تضمنت أهمُّ النتائج.

وفي الختام فإنّني آملُ أن أكون قد وُفقتُ في تحقيق الهدف من هذه الدراسة، فإنْ أصبت فبتوفيقٍ من الله، وإنْ أخطأت فمن نفسي، وعذري في ذلك أني طالبُ علمٍ، وما زالت بي حاجة إلى توجيهات أهل العلم ونصائحهم، والله الموفق للسَّدَادِ والرشاد، والحمدلله ربِّ العالمين.

الفصلُ الأولُ

إطار الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية

يُعدُّ العصّر العباسيّ عصّر الحضارة الإسلامية، ويمثل امتداداً للثقافات العربية من الناحية الفكرية والعلمية، والتّجديد في العلوم الأدبية كافة، فهذا العصر الكبير تاريخيًا وجغرافيًا وثقافيًا، وعلميًا، وأيضًا في السلطة والنفوذ، ظهر فيه أعلام في الأدب العربي شعرًا ونثرًا.

كان العصر العباسيّ حافلاً بمختلف التّيارات الفكرية والعلمية والأدبية، فهو عصر النهضة والتطور للبلدان الإسلامية، بعد أن سيطر العباسيون على الحكم من بني أمية عام (132هـ)، و يُعدُّ هذا التّحول نقطة مهمة في الدولة الإسلامية، فجاء العباسيون إلى الحكم وشهدت دولتهم تطورًا كبيرًا في المجالات الثقافية والإدارية، ثُمَّ إنّ هذا الاتساع مهّدَ إلى ظهور المؤسسات الخاصة بالشؤون الإدارية للدولة، وأصبح للوزير مكانةً مهمةً، مما جعلهم بحاجة إلى الكتّاب، والمخاطبات، والرسائل بمختلف أنواعها، وأهمها الرسائل الديوانية، والتي نحن بصدد دراستها، إذ أصبحت الركيزة الأساسية في بناء الدولة، ولسان حال الدولة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

كانت مدّة حكم العباسيين خمسة قرون امتدت حقبتهُ من (132 هـ- 656 هـ)، واصطلح المؤرخون على تقسيم تاريخ دولة الخلافة العباسية إلى عصور مختلفة حسب تطورات أوضاعها السياسية، وازدهار الحياة الثقافية والفكرية، وسيتخذ الباحث الفترة الواقعة بين عامي (247هـ- 334هـ) والتي تقع ضمن مدّة العصر العباسي الثاني، وفي سبر أغواره وإيضاح الأحداث التأريخية التي أحدثت أثرًا في الرسائل الديوانية، وهذه الفترة عُرفت بسيطرة النفوذ التركي، وسيادتهم على ساحة الخلافة، وكان الدافع في اختيار هذه الفترة هو أنّ النفوذ التركي أخذ يتمادى كثيرًا في بسطِ نفوذهِ حتى وصل بهم الحال أن يقوموا بتنفيذ عملية كبيرة تُظهر حجم تماديهم في ذلك من خلال قيامهم بالتحريض والمساعدة على قتل الخليفة جعفر المتوكل على الله، وهذا يعد سابقة خطيرة في الخلافة العباسية في أن يقتل خليفة عباسي على يد الترك.

سنقوم بإلقاء الضوء على العصر العباسي الثاني بدأً منذُ سنة (247هـ- 334 هـ)؛ وذلك لأنّه العصر الذي سيتناوله الباحث في دراستهِ، والكشف عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي الثاني وأثرها في الرسائل الديوانية.

1.1 الحياة السياسية

الدولة العباسية في مراحلها عبر العصور المختلفة مرّت بظروف غير طبيعية على أثرها قُسِّمت مراحلهُ بناءً على النفوذ المسيطر على السلطة الحاكمة من فرس وترك، وإن كانت سيطرتهم ليست من طريق فرض القوة في بداية الأمر، بل كان نفوذهم من خلال رغبة بعض الخلفاء العباسيين فنلحظ منهم من استعان بالفرس في بناء الدولة العباسية، وأخذ السلطة من الخلافة الأموية آنذاك، لكن بعد مسكهم زمام الأمور أدرك الخلفاء خطرهم، بعد أن ازدادوا قوة ونفوذ وسلطة، ممّا جعلهم يستعينون بالترك للخلاص منهم، وهذا ما جعل الترك يسيطرون على مقاليد الحكم في العصر العباسي بين عامي(247هـ-334هـ)، على الرغم من وجودهم في الدولة العباسية منذُ ولاية المأمون الذي أدخلهم في الخلافة وقربهم إليه ودعمهم، ثمَّ بعده قام المعتصم بالله فاعتمد عليهم، وأسند إليهم المناصب الكبيرة بدلاً من العرب والفرس، وقربهم إليه بحكم صلة والدته التي كانت من أصول تركية(ماردة) تركية من السغد، فنشأ ومعه الكثير من طبائع الأتراك مع الميل إليهم، كذلك بعد أن شاهد جرأة الفرس، وتطاولهم على الخلافة بعد قتل الأمين فصار يخاف على نفسه، وضاعت ثقته بهم، فأخذ يتقوى بالترك ويجمع إليه الأقوياء منهم، ويقربهم له من خلال المال حتى جمع آلاف منهم قبل أن تصل الخلافة إليه[1].

في ظل التدهور الذي أصاب الخلافة العباسية، وبسبب وجود خلفاء لايمتلكون من المعرفة والحنكة في القيادة، وتدبير شؤون الحكم، ممّا ساعد الترك في وضع أيديهم على سُدَّةِ الحكم، وفرض أنفسهم على الخلفاء، والتحكم في أمور التكليف، والإعفاء والعزل والخلع؛ بغية السيطرة بشكل أكبر على كرسي الخلافة، حتى وصل تماديهم في

(1) خفاجي، محمد عبدالمنعم، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ط1، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، 1954م، ص7.

سجن الخلفاء وقتلهم وتحكمهم بسائر أمور الدولة من الجيش والشرطة والخراج ، وأخذ يتضح طغيانهم في ذلك حتى قيل على لسان أحد قادتهم: "ولنا بغداد بأسرها، تسكن ماسكنا، وتتحرك ماتحركنا، والدنيا كلها معلقةٌ بها وصائرةٌ إلى معناها، فإذا كان هذا أمرها، فجميع الدنيا تبعٌ لها وبالتالي تبعٌ لنا"[1].

بعد الصراعات الطويلة بين الخلفاء العباسيين وخاصةً الخليفة المعتصم بالله مع الفرس من أجل سيطرتهم على السلطة، ممّا جعلهم يقومون بثورات مختلفة من أجل ذلك، حيث سيطروا بشكل كبير على جوانب مهمة في الدولة العباسية، ونجد أنّ أعلى المناصب، وأكثرها حساسية كان لديهم فيها وزراء وقادة وأمراء، غير أنّ الخلفاء العباسيين قاوموهم ونكبوهم نكبات متعددة، وأعلن العباسيون أنهم الأحقُّ بالخلافة، وبناءً على هذه الأحداث أصبح هناك عداء وبغضاء بين العرب والفرس، وجرّاء هذه الصراعات والنزاعات حدثت ثورات في عامة البلاد، وكلما خمدت ثورة أندلعت أخرى، فظهر الكثير من الإمارات والدويلات [2].

وإزاء ذلك بدأ المعتصم يفكر في إيجاد عنصر آخر يستندُ عليه، وهو العنصر التركي الذي كثر توافدهُ على بغداد والعراق[3]، فوجد نفسه في وضع حرج، وفي دائرة المعارك والصراعات، كان بحاجة إلى عنصر عسكري جديد غير الفرس، فالتجأ إلى عنصر التّرك الذي بدأ يتوارد كرقيق إلى البلاد الإسلامية، كما أخذ الإسلام ينتشر في بلادهم بصورة بطيئة، وكانت خطوة المعتصم هذه بعيدة المدى بنتائجها، لأن الترك حين ذاك شعب بدوي ميزته الوحيدة شجاعته العسكرية، فهو لا يفهم الأسس المعنوية للدولة العباسية، ولا يملك خبرة في الإدارة، وخالٍ من أي ثقافة[4].

---

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م، ص28.

(2) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص9.

(3) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص9.

(4) الدوري، عبدالعزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة، (د.ت)، ص12-13. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي ، ص11.

وقد صورهم الجاحظ تصويرًا دقيقًا في رسالتهِ التي تحدث فيها عنهم، يقول فيها: (الترك أصحاب عَمد(خيام) وسكان فيافٍ وأرباب مواشٍ، وهم أعراب العجم... فحين لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة،...، ولم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الأبطال وطلب الغنائم وتدويخ البلدان، وكانت هممهم إلى ذلك مصروفة)[1].

فأخذ المعتصم يكثر من شرائهِ الرقيق التركي، حتى ازدادت أعدادهم وضاقت بهم شوارع بغداد، وكان المعتصم يقربهم إليه، وبسبب مضايقتهم للناس في بغداد، عَمدَّ المعتصم إلى أن يبني لهم مدينة سامراء تقع شمالي بغداد، ولشدّة ثقته بهم انتقل معهم إلى سرَّ من رأى، وبقيت مقرًّا للخلافة حتى نهاية عهد المعتمد سنة 276هـ[2] .

وليس من المستبعد أنْ يكون الترك عامل اختلال لنظام الخلافة العباسية، بعد أن احتَدَّ نفوذهم خاصة بعد نقل مركز الخلافة من حصنهِ الحصين، وموطن أنصاره في بغداد، إلى سامراء التي بنيت معسكرا للترك، وقد ساعدتهم الظروف على التلاعب بمقدرات الخلافة[3]، وهذه الانتقالة في مقر الخلافة أحدثت تحولاً خطِرًا في الدولة العباسية، التي كانت تعوّلُ على الفرس، فكانوا هم أصحاب مدينة وحضارة، ممّا انعكس ذلك في الحياة العربية والعباسية على وجه الخصوص، وكذلك كانوا أصحاب ثقافة وعلم، ولديهم اطلاع في تدبير شؤون الدولة الإدارية، فكانت لهم بصمة واضحة في النهضة الحضارية، وبالتالي انعكست ثقافتهم على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، وتأثر بها العصر من جميع جوانبهُ التاريخية، والعسكرية والأدبية، والمخاطبات الرسمية، وبالخصوص أتضح تأثريهم على الرسائل الديوانية.أما الترك، فكانوا بدوًا لايعرفون الفنون ولا الآداب ولا قواعد الملك والسياسة، وأنهم أصحاب حروب وجلاد وبأس[4] .

---

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، ج1، ص71.

(2) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ص10.

(3) الدوري، عبدالعزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص12-13.

(4) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ص10.

ويمكن القول إنّ العصر العباسي الثاني عنوانه الرئيس بروز الأتراك على الساحة السياسية، وكأن الأمر يسير في دائرة تبديل الأدوار، من الفرس إلى الأتراك، ويبدو أنّ الفرس آنذاك وصلوا إلى مكانة كانت تُنبئ بخطورة ظاهرة على السلطة العباسية، لم يكن العدد وحده ما يُنبئ بذلك، بل الخطر الأكبر يكمن في توليهم المناصب الرفيعة في الدولة العباسية، وتدخلهم في شؤون الحكم، حتى بات الخليفة مسلوب الإرادة السياسية، مقيد القرارات، فهم أصحاب القرارات الفاصلة، فيقيلون ويعينون من يشاؤون.

لكن الترك رغم جهلهم في أمور الخلافة إلا أنّهم تمكنوا من السيطرة على مقاليد السُّلطة والحكم، والمعتصم هو الذي ساعدهم، وأعدَّ لهم ذلك ليكونوا له جندٌ مدافعين عن خلافتهِ، وبعد أن جعل لهم مدينة خاصة، وأصبحت فيما بعد عاصمة للخلافة العباسية، عَمدَ إلى منصب الوالي على مصر إلى كبيرهم ((إشناس))، والمعتصم بهذه الأفعال سمح للقواد الترك في أن يتحكموا في تنظيم الشؤون الإدارية للدولة، وأيضًا أولاهم زمام الشؤون العسكرية[1] .

ثمَّ إزداد الأمرُ تعقيدًا وسوءًا، عندما خلَّف المعتصم ابنه الواثق سنة(227هـ)، الذي قام واستخلف على السلطة إشناس التركي، وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجًا مجوهرًا ، وأسند له منصب واليًا على بغداد إلى آخر أعمال المغرب، وأعطاه الصلاحية في تولية من يرغب على هذه البلدان [2].

وعندما مات الواثق سنة 232هـ، قام الأتراك في ترشيح جعفر المتوكل بن المعتصم للخلافة؛ لأنّ أمه خوارزمية تركية، فتمّ لهم ما أرادوا، وأصبح لهم الشرعية في التدخل في شؤون الحكم والخلافة، وزاد اهتمام المتوكل بالترك، وتقديم لهم ما يحتاجون ممّا زاد طمعهم في السلطة، وبذلك أصبحوا مصدر قلق واضطراب، فهم يكنون الكره

---

(1) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ص11.

(2) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ص11. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، تاريخ الخلفاء، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2003م، ص270.

والعداء للفرس والعرب، وعُرِف عنهم كثرة المؤامرات، والدسائس، ومحبتهم للأموال وتهديد الأمن الداخلي للدولة[1].

وفي سنة 247هـ قُتل الخليفة المتوكل على يد الترك، وتولية ابنه المنتصر بالله الذي ساعد في قتل والده، حيث عدّت أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين، عقب ذلك إزداد النفوذ التركي، ثم في عهد المستعين (247–252هـ)، قام الأتراك بخلعه من الخلافة وقتله وأخلفوا مكانه المعتز بالله بن المتوكل سنة 252هـ[2].

ثم قام الترك بالثورة على المعتز بالله وطالبوه بالأموال، ولم يكن في الخزينة شيء، فعذبوه وضربوه بالدبابيس، وجروه برجله إلى باب الحجرة، ووضعوه في الشمس حافي القدمين رغم أنّه كان مريضًا، وكان بعضهم يلطمه على وجههِ، فخلع نفسه سنة 255هـ، ثمّ حُبس وقُتل، وولوا بعده المهتدي بن الواثق الذي لم يعجبهم زهده وورعهُ وعدلهُ، فخلعوه سنة 256هـ[3] .

ثم أولّوا المعتمد الخلافة سنة (256هـ–279هـ)، واشتد الخلاف مع الترك، حتى وصل الحال أن يطلب الرعية أن يكون القائد الأعلى للجيش أحد أخوة الخليفة، وألا يرأسهم أحد القادة الترك لتسلطهم وتعاليهم، فولى المعتمدُ الموفقَ أخوه أمرَ الجيش والولايات سنة 257هـ، فكبح جماحهم وأبعدهم عن الخلافة[4].

وفي سنة(279هـ –289هـ)، تبوّأ المعتضد الخلافة، وسار فيها سَيرَ أبيه الموفق في رفع شأن الخلافة والحد من نفوذ الترك قدر المستطاع، ومات المعتضد، فتولى من بعده الخلافة المكتفي سنة (289هـ–295هـ)، الذي سار على نهج والده بالحزم والعزم على إبعاد الترك والحد من تصرفاتهم[5] .

---

(1) خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب العربي وتأريخيه (في العصرين الأموي والعباسي)، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص19.

(2) خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب العربي وتأريخيه (في العصرين الأموي والعباسي)، ص21.

(3) خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب العربي وتأريخيه (في العصرين الأموي والعباسي)،،ص21.

(4) خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب العربي وتأريخيه(في العصرين الأموي والعباسي)، ص21.

(5) خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب العربي وتأريخيه (في العصرين الأموي والعباسي)، ص21.

وبعد وفاته ولّى الترك أخيه المقتدر العرش سنة 296هـ، وكان طفلًا صغيرًا، فعادوا الترك لممارسة سطوتهم ونفوذهم الذين لم يبالوا بشئ في سبيل أهوائهم وشهواتهم، واعتدوا على قدسية الخلافة ومكانة الخلفاء، ولم يسلم من بطشهم لا الحرم ولا الغلمان، فكرههم الناس [1].

بعد الاستقرار الذي شهدته الدولة العباسية خلال حكم الخلفاء (256هـ-295هـ)، وهم: المعتمد والمعتضد والمكتفي[2]، عاد التسلط التركي والفوضى السياسية إلى فترة الاستضعاف في الدور السياسي للخلفاء (295هـ-334هـ)، حكم فيها خمسة خلفاء هم:المقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي، كانت مدّتهم مدّة حرجة للخلفاء وللدولة العباسية، ونلحظ تدخلهم الكبير في إدارة شؤون الخلافة، فكانوا ينصّبون الخليفة بناءً على رغباتهم وشهواتهم ومصالحهم[3] .

وفي ظل هذه الفوضى السياسية التي أدّت إلى كثرة الانقسامات واستقلال العديد من البلدان عن مركز الخلافة العباسية سواءً في الفترة السابقة لدراستنا أو الفترة اللاحقة لها، ومن أهم هذه الدول: الدولة الطولونية بمصر(254-292هـ)، وهي تركية، والدولة الإخشيدية بمصر(332-353هـ)، وهي تركية أيضا، والدولة الطاهرية بخراسان (205-259هـ) وهي فارسية وعهدنا من هذه الدولة في فترة دراستنا والي بغداد محمد بن عبدالله بن طاهر آخر أمراء الدولة الطاهرية، والدولة السامانية (261هـ-389هـ)، والدولة الدلفية بكردستان(210-285هـ)، والدولة العلوية بطبرستان(250-316هـ)[4].

إنّ الوصول إلى العصر العباسي الثاني دراسةَ وتحليلًا، والتعرف على ملامح الحياة السياسية فيه يتطلب وقوفًا على مصادرِهِ الأدبية والتاريخية والثقافية، وبهذه المصادر الأدبية سنتَقَفَّى أَثَر هذه الحياة على الرسائل الديوانية من خلال الوقوف

---

(1) خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب العربي وتأريخيه (في العصرين الأموي والعباسي)، ص22.

(2) الصوفي، مساعد بن مساعد، العوامل السياسية وأثرها في ضعف الخلافة العباسية(247هـ-334هـ)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2008م،ص225.

(3) الصوفي، مساعد بن مساعد، العوامل السياسية وأثرها في ضعف الخلافة العباسية (247هـ-334هـ)، ص225.

(4) خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب العربي وتأريخيه، ص24.

على بعض الحوادث والوقائع التاريخية، والتقاط بعض الملامح السياسية في العصر الذي كُتبت فيه، وإن كان الشعر أداة إعلامية معرفية لتفاصيل العصر الذي قيلت فيه، فقد شكلت الرسائل الديوانية أساسًا معرفيًّا مهمًّا لإبراز مواطن عصرها، والوقوف على سياسات أنظمة الحكم، ودراسة أحوالها التي نظمت فيها، ولمعرفة تفاصيل الحياة السياسية في العصر العباسي الثاني، فتم جمع الرسائل الرسمية التي تمكنت الدراسة من جمعها، والوقوف على تحليلها ودراسة موضوعاتها، فاتخذت الدراسة سنة 247هـ ، نقطة الانطلاق للحوادث اللاحقة، لأن هذه السنة حملت حوادث كان لها تأثير بارز في اللواحق من حوادث، تلك السنة التي شهدت اغتيال الخليفة العباسي الْمُتَوَكِّل، ونستطيع القول إنها السنة التي شهدت انحرافًا في النظام السياسي العباسي في عصرهم الثاني، واتخذ الأتراك مكانًا ظاهرًا ودورًا بارزًا في مفاصل الدولة، وأن للاطلاع على الملامح السياسية لابد أن نُعرّج على العلاقات السياسية الداخلية والخارجية من بداية خلافه المنتصر بالله إلى نهاية خلافة المستكفي بالله (247-334هـ).

1.1.1 الشؤون الإدارية الداخلية:

إنّ الشؤون الإدارية الداخلية التي عبرت عن مجموعة العلاقات السياسية للدولة العباسية بين السلطة الحاكمة والرعية، كانت تتجسد من خلال المكاتبات الرسمية الصادرة من الخليفة بخط يدهِ، أو عن طريق رئيس الديوان وتكون موجهة للرعية والأمراء والولاة بشأن أغراض مختلفة، منها الأوامر، والمواعظ، والأمثال، وتوجه أيضا إلى الأعلام والعلماء، والفقهاء، والأدباء، والعدول، والأعيان والوزراء، والحماة المدافعين، ومن مضامينها التوجيهات العقدية والدينية والأخلاقية، والتعيين في المناصب، والإقالة منها وهي أخطر الأصناف، إذ تتعلق بموضوعات تصريف أعمال

الدولة في مختلف الأغراض التي تتصرف إليها اهتمامات الحكام، على اختلاف قيمتها في الداخل والخارج[1].

إذ كانت الدولة العباسية تهتم بالشؤون الإدارية الداخلية وعلاقاتها السياسية؛ لما لها من دورٍ كبيرٍ في تمشية أمور الخلافة، وفي استمالة العامة من قبل الخلفاء والشخصيات المتنافسة على الحكم آنذاك، وعبرت عن سياسة الدولة وإدارة شؤون الحكم، فالأحداث التي مرت بالخلفاء العباسيين عَقب موت المعتصم والواثق وقتل المتوكل سنة (247هـ)، ومرورًا ببقية الخلفاء خلال مدّة القرن تقريبًا تحملوا ضغطًا كبيرًا من قبل الترك كون الواقع الذي هم فيه أقوى منهم؛ لأنّ الترك أصبحوا هم الماسكين بزمام السلطة والعقد الحل، وعندما أستبدَّ حكم الترك على الخلفاء، وتحكموا في توليتهم وعزلهم حسب الأهواء والشهوات واستبدوا بالحل والعقد،...، بدأت هذه الدولة المتماسكة تفقد سيطرتها وأخذت في التفكك والتشتّت بغية تقسيمها إلى دولٍ وإمارات[2]، ممّا جعلهم بحاجة إلى توطيد العلاقات الداخلية، وتتمحور هذه العلاقات من خلال المخاطبات الإدارية بين السلطة الحاكمة وتوابعها فيما يخص شؤون الدولة في حالة السلم والحرب أو في تدبير أمور الرعية وتعميم الواجبات والتوجيهات عليهم.

بلغت الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني مكانة مرموقة، إذ أضحت الوجه الحضاري الذي يحمل توجّهات السلطة الحاكمة، والأفكار التي ترسمها سياسة رجالات الدولة، فنالت الرسائل العناية الكبيرة، وقد اختلفت المهمات التي تقع على عاتقها، فصارت هي وسيلتهم ومنبرهم في توجيه خطابهم إلى الجمهور وفي الأمور

---

(1)-خلفاوي، ياسر؛ لعبيدي، فريدة، الكتابة الرسائلية في العصر العباسي: الرسالة الديوانية أنموذجا، دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد(13)، العدد(2)، 2021، ص519.

(2) الشعراوي، أحمد، دراسات في الأدب العربي وتأريخيه، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، (د.ت)، ص5.

التي تخص القادة والأمراء والولاة في أمر تعيينهم وعزلهم، وفي بيان خطط الدولة السياسية تجاه الرعية[1].

فهذه الرسائل الرسمية كانت غايتها تنظيم علاقة الخلفاء بالخاصة والعامة من خلال مراسم المبايعات، والعهود التي تضمن سيادة أمر الخليفة، وتنفيذ أحكامه وأوامره، وتوجيهاته، وهناك رسائل ديوانية تصدر بغية الاهتمام بحياة الأفراد، وأخذ الحيطة والحذر في حالات الحروب والفتن والنزاعات.

ولتوجيه النظر على هذه العلاقات لابُدَّ من الاطلاع على الأحداث والأزمات التي تمثل تلك العلاقة بين الخليفة، والنفوذ التركي من جهة والسلطة الحاكمة وعامة الناس والرعية من جهة أخرى.

إنَّ الصراع التركي العباسي حول السلطة له أثرٌ في تخلخل العلاقات السياسية، فالخليفة الواثق أرتكب خطأً كبيرًا في عدم جعلهِ وليًا للعهد أثناء حياته وللخلافة بعد موته، فاستغل الترك ذلك أمثال إيتاخ[2] وصاحباهُ وصيف وبغا الكبير[1] حين توفي سنة 232هـ.

---

(1) الغريب، سلامة هليل، الرسائل الفنية في العصر المملوكي الأول: 648/784هـ ، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة مؤتة، 2003م، ص15.

(2) إيتاخ: أحدُ الأمراء الكبار في الدولة العباسية، كان غلامًا خزريًّا طباخًا، وكان لرجل يقال له سلامة الأبرش، اشتراه منه المعتصم ورفع منزلته، وكذلك الواثق والمتوكل الذي قسم إليه أعمالًا كثيرة لفروسيته وشهامته،وقد دس المعتصم إليه من يستأذن للحج، فاستأذن له وأمره على كل بلدة يحل بها، وكان ذلك بداية الغضب عليه، وفي جمادى الآخرة من سنة خمس وثلاثين ومائتين كان هلاك إيتاخ في السجن، وذلك أنَّهُ رجع من الحج فتلقته هدايا الخليفة، فلما اقترب يريد دخول سامراء التي فيها المتوكل بعث إليه إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد عن أمر الخليفة يستدعيه إليها ليتلقاه وجوه الناس وبني هاشم، فدخلها في أبَّهةٍ عظيمة، فقبض عليه إسحاق بن إبراهيم وعلى ابنيه مُظفر ومنصور وكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصراني فأسلم تحت العقوبة، وكان هلاك إيتاخ بالعطش، وذلك أنَّهُ أكل أكلًا كثيرا بعد جوع شديد ثم استسقى الماء فلم يسقى حتى مات ليلة الأربعاء لخمس خلونَ من جمادى الآخرة منها. يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 313/10.

سار الواثق على خُطى أبيه المعتصم وأخذ يكثر من الترك واستمالتهم من خلال وضع مقاليد الأمور في أيديهم فلما توفي الواثق، عمدوا إلى البيعة إلى جعفر بن المعتصم الملقب بالمتوكل على الله، ومن هنا بدأ ناقوس الخطر يدقّ في الخلافة العباسية، إذ أصبحت أمور التولية والعزل بيد الترك[2]، وحدث ذلك في اليوم الذي توفي فيه الواثق في ذي الحجة سنة 232هـ، وفي أيام المتوكل تمكن الترك من بسطِ نفوذهم، فتوسع استبدادهم في السلطة، فأخذ ينتشر الرعب والفساد في أنحاء البلاد العباسية، ممّا دعا المتوكل للخوف منهم، فأدرك حجم توسعهم وتماديهم فعزم على الفتك بزعمائهم[3]، وفي سنة 247هـ، قام الأتراك بمؤامرة كبيرة والتي دُبرت بليل للقضاء على المتوكل، ومعهم ابنه المنتصر بالله الذي كان يخفي العداء، والبغضاء لأبيهِ، فقد كان المتوكل يكرههُ، ويستهزأ به ويسخر منه، فالمتوكل أراد أن ينفذ خطة لقتل القادة الترك وصيف وبغا وغيرهم، وأراد أيضًا أن يعزل المنتصر بالله ابنه من الولاية والخلافة من بعدهِ، لكنهم أدركوا ذلك وأقدموا على فعلتهم بعد أن تعاون معهم ابنه، فدخلوا على الخليفة فقتلوه في قصرهِ الجعفري، وقتلوا معه وزيره الفتح بن خاقان، وعدّت تلك العملية أول حادثة اعتداء تطال خليفة عباسي، والتي نفذت من قبل الترك وبأيادٍ تركية من قبل عشرة غلمان تقدمهم باغر التركي حارس المتوكل، فبتلك العملية صُرعت الخلافة وارتفع مجد الأتراك[4]، واستمرت خلافة المتوكل إلى أن قتل على يد الترك بمعاونة ابنه المنتصر بالله ليلة الخميس رابع شوال سنة 247هـ، وكانت مدّة حكمه (14) سنة وتسعة أشهر وعشر أيام[5].

---

(1) وصيف التركي: هو غلام المتوكل، وكان من كبار الأمراء والقوّاد .الصفدي، الوافي بالوفيات، ج27، ص256. بغا الكبير:هو أبو موسى التركي، أحد قواد المتوكل وأكبرهم. الصفدي، صلاح الدين، الوفي بالوفيات، ط1، ج10، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ص109.

(2) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ص12.

(3) الشعراوي، أحمد ، دراسات في الأدب العربي وتأريخيه، ص8.

(4) خفاجي، محمد عبدالمنعم، الحياة الأدبية في العصر العباسي ، ط1، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، 1954م، ص9.

(5) الخضري، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، ط10، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ت)، ص255.

منذُ ذلك الحين بدأت أمور الدولة تدخل في منعطف خطير، فقد فتح الأتراك بقتل المتوكل بابًا من الشر موجّه ضد الخلفاء العباسيين، فصاروا هم الآمرون والناهون عليهم يعزلون من يكرهون ويولون من يشتهون، غير مراعين لمشاعر أحد، فلم يكن عزلهم لأغراض مصلحة الدولة بل لمصالحهم الشخصية، فساروا في ذلك حسب شهوتهم في طلب المال... [1].

بما أنَّ الدراسة اتخذت من سنة 247هـ نقطة انطلاق لها، إلا أن قيام المتوكل بولاية العهد لأبنائه سنة 235هـ، كانت علامة فارقة في سياسة الحكم العباسي في عصرهم الثاني، نظرًا لتأثيرها على ما لحق من أحداث، لذا كانت هذه البيعة بولاية العهد لهم تمهيدًا للصراعات السياسية، والحوادث التاريخية التي شهدتها أنظمة الحكم اللاحقة، فكانت محطة للوقوف على الإرهاصات السياسية التي سبقت سنة 247هـ، فلا يمكن تجاهل هذه البيعة، أو القفز عليها، لأنها ستكون أساسًا لتصدع أركان الدولة، ولاسيّما فيما يتعلق بالخلافة وولاية العهد، والتناحر داخل الأسرة الحاكمة على السلطة، وقد حفظت لنا المصادر التأريخية والأدبية[2] جملة من الرسائل الديوانية التي تتضمن نصوصًا لبيعة الخلفاء العباسيين والأحداث التي تزامنت مع هذه المبايعات[3]

---

(1) الشعراوي، أحمد، دراسات في الأدب العربي وتأريخيه، ص9.

(2) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط2، دار المعارف بمصر، 1975، 176/9. و-ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج6، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012م، ص124.

(3) المبايعات: فقد جاء في مآثر الإنافة: "أن يجتمع أهل الحل والعقد، فيعقدوا الإمامة لمن يستجمع شرائطه"،وجاء في مقدمة ابن خلدون: "اعلم: أن البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشَط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده، جعلوا أيديهم في يده، تأكيدًا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسمي بيعة". يُنظر: القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، ج1، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1985م، ص39. و- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار يعرب، 2004م، ص390.

التي أثرت في الرسائل الديوانية، وكتاب المتوكل في بيعته لولاية العهد لبنيه يوحي إلى عمده وضع خطة مستقبلية في إسناد منصب الخلافة من بعهدهِ.

ولم تكن هذه البيعة إلا إضاءة في سماء الحراك السياسي آنذاك، معبرة عن الأحوال التي كانت تشهدها الدولة العباسية، فما كان للخليفة المتوكل أن يعلن عن بيعته لثلاثة من أبنائه، منحرفا عن العرف الذي سارت عليه أعراف من سبقوه من الخلفاء، والمنعم في ملامح هذه البيعة يجد أن أمرًا كان يدور في خلد المتوكل. وفي إطلالة على ملامح دوائر الحكم في عهد المتوكل، والنظر إلى مفاصل الدولة ومناصبها، نجد أن المتوكل قد وجد نفسه أمام مواريث سياسية أبّان خلافة المعتصم، فبدأت ملامح تتريك كثير من المناصب القيادية سواءً على مستوى إدارة الدولة أو على مستوى قيادات الجيش، تلك السياسة التي أتخذها الخليفة المعتصم بالله وأخذت هذه السياسية تتجذر في سياسات أبناء المعتصم فيما بعد حتى أن هذه السياسة بدأت تشكل خطرًا حقيقيًّا على رأس النظام الحاكم آنذاك، وقد استوقفت سياسية تتريك المناصب السيادية في الدولة العباسية الخليفة الْمُتَوَكِّل على الله الذي بدأ يخطط للخلاص من الخطر التركي على حكمه، فتبنى سياسة الاستتار والتخفي في ما خطط له، وهذا ما تُظهره تلك الرسالة الديوانية التي بايع فيها الْمُتَوَكِّل على الله أبناءه الثلاثة بولاية العهد في سنة (235هـ)، والذي يقول فيها[1]: "**هذا كتاب كتبه عبدالله جعفر الإمام الْمُتَوَكِّل على الله أمير المؤمنين، وأشهد الله على نفسه بجميع ما فيه ومَنْ حضر من أهل بيته وشيعته وقوَّاده وقُضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين لمحمد الْمُنْتَصِر بالله، ولأبي عبدالله المعتز بالله، وإبراهيم المؤيد بالله؛ بني أمير المؤمنين؛ في أصالة من رأيه، وعمومٍ من عافية بدنه، واجتماع من فهمه؛ مختارًا لما شهد به، متوخيًّا بذلك طاعة ربه، وسلامة رعيته واستقامتها وانقياد طاعتها، واتساع كلمتها؛ وصلاح ذات بينها؛ وذلك في ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين ومائتين أنه جعل، إلى محمد الْمُنْتَصِر بالله بن جعفر الإمام الْمُتَوَكِّل على الله أمير المؤمنين ولاية عهد المسلمين**

---

(1) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط2، دار المعارف بمصر، 1975، 9/176-180. و- صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور الزاهرة، ج4، المكتبة العلمية، بيروت،1931م، ص129.

في حياته والخلافة عليهم من بعده؛ ..... وجعل عبدالله جعفر الإمام الْمُتَوَكِّل على الله أمير المؤمنين الخلافة من بعد محمد الْمُنْتَصِر بالله ابن أمير المؤمنين إلى أبي عبدالله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين، ثم من بعد أبي عبدالله الْمُنْتَصِر ابن أمير المؤمنين الخلافة إلى إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين".

والأثر الذي دعا المتوكل لإصدار هذا الكتاب بالبيعة لبنيه، هو استشعار الْمُتَوَكِّل بخطورة الأتراك منذ أن تولى الخلافة، وهو يعلم مدى خطورة الوضع الذي ستكون عليه خلافتهم، وبات يضمر في نفسه أن يحد من هذه الخطورة التي تهدد مقاليد حكمه، مما دفعه إلى التخلص من إيتاخ، الذي استفرد بأمر الجيش والأتراك والمغاربة[1]، والموالي والحجابة والقيام على دار الخلافة، وقد أصبح كأنه نائب للخليفة، فكاد له الْمُتَوَكِّل حيلة بعد أن أوحى إلى بعض أوليائه أن يشيروا على إيتاخ بالاستئذان للحج، وما أنْ خرج من سامراء وأبعد في الطريق إلى مكة حتى عزله الْمُتَوَكِّل عن الحجابة وولاها وصيفًا تركيًّا، وبعد أن عاد إيتاخ من الحج ودخل بغداد بأمر من الْمُتَوَكِّل، فقد قبض عليه حاكم بغداد، وسُجِن إلى أن توفي في سنة (235هـ)"[2]، كانت هذه بداية تنفيذ فكر الْمُتَوَكِّل الذي وضع نصب عينيه التخلص من سيطرة الأتراك على مفاصل السلطة، وخاصة وإن إيتاخ كان يمثل بصورة جلية تلك السيطرة، وفي هذه البيعة يتضح أن القومية العربية كانت في صفوف متأخرة بعد الأتراك، وإنّ سيطرة الخليفة على مقاليد الحكم وصلت إلى حدّ أنّه لم يكن صاحب قرارات ذاتية، فقد سُحبت الصلاحيات بشكل تدريجي، وهذا يظهر حالة الفوضى التي وصلت إليها الحياة السياسية، التي طالت نظام الحكم بما فيها رأس ذلك النظام، وهو الخليفة الحاكم.

وما يمكن أن يستنتج من قراءة كتاب البيعة هذا، أنّ الْمُتَوَكِّل كان يعلم أنّ التناحر على السلطة قد يكون بين أبنائه عند وفاته، لذا حاول أن يرسم خارطة طريق لنظام الحكم، وتثبيت أركان الخلافة في أسرته، كي لا يقع ما لا يحمد عقباه، وهذا الاعتقاد عند الْمُتَوَكِّل لم يأتِ من فراغ، بل جاء من خلال معرفته بتاريخ السلطة ومطامع القوم

---

(1) المغاربة، هم إحدى فرق الجيش العباسي، وهم مرتزقة من مغرب الدولة في مصر. يُنظر: مصطفى، شاكر، دولة بني العباس، ج1، 1973 م، ص630.

(2) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص12.

فيها، فأراد أن يحمي سلالة الحكم في بني العباس، وفي سلالته خاصة، لكن ما حدث لاحقًا أثبت أن الْمُتَوَكِّل غرس فتنة بين الأبناء، كلٌّ منهم أخذ يبحث لنفسه عن السلطة، ويرى في نفسه أحقية على غيره من أخوته، فبدأت الفتن تحاك وأخذ كل واحد منهم يتخذ لنفسه سبيلًا للوصول للحكم، حتى لو كان ذلك بالقتل أو الاغتيال بين الأخوة أنفسهم.

وعندما قُتل الخليفة المتوكل بويع للمُنتَصِر ليلًا، ولما كان صباح اليوم الذي يليه تم أخذ البيعة له من العامة، وأجبر الْمُنْتَصِر أخاه المعتز على البيعة له، مع أنه وليٌّ للعهد[1]، إذ عهدَ له بالولاية من بعد المنتصربالله بناءً على كتاب أبيه[2]. وبما أن العلاقات السياسية ذات الطابع الإداري قائمة على الرسائل الديوانية ووسيلتها في رسم خططها الإستراتيجية، فقد عبرت عن حالة النظام السياسي وصورت حال الخلافة العباسية آنذاك.

ثمَّ نُلقي الضوء على الآثار التي ترتبت إزاء قيامه بولاية العهد لبنيه وما آلت إليه الحياة السياسية وخاصة تلك المتعلقة بالحكم، من خلال كتاب بيعة **الْمُنْتَصِر بالله**[3].

---

(1) ولاية العهد: هي الاستخلاف؛ ويعرف القلقشندي العهد:هو أن يعهد الخليفة المستقر إلى غيره ممن استجمع شرائط الخلافة بالخلافة بعهد، فإذا مات العاهد انتقلت الخلافة بعد موته إلى المعهود إليه. يُنظر: القلقشندي، مآثر الإنافة، ج1، ص48. وولي العهد في الوسيط :هو من يسمى ليكون وارثًا للملك والسلطان. يُنظر:مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، ص634.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 352/10.

(3) الْمُنتَصِر بالله: محمد، أبو جعفر، وقيل: أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، أمه أم ولد رومية اسمها حبشية، كان مليح الوجه، أسمر، أعين، أقنى، ربعة، جسيمًا، بطينًا، مليحًا، مهيبًا، تولى الخلافة من سنة 247–248هـ. ينظر:السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، تاريخ الخلفاء، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2003م، ص283. وجاء في البداية والنهاية: "كان مقتل الخليفة المتوكل على الله على يد ولده المنتصر بالله، وكان سبب ذلك أَنَّه أَمر ابنه عبد اللَّه المعتز الذي هو ولي العهد من بعده أن يخطب بالنَّاس في يوم جمعة، فأَدَّاها أداء عظيمًا بليغًا، فبلغ ذلك من الْمُنْتَصِر كلَّ مبلغٍ، وحنق على أبيه وأخيه، فأحضره أبوه وأهانه وأمر بضربه في رأسه وصفعه، وصرَّح بعزله عن ولاية العهد من بعد أَخيه، فلمَّا كان يوم عيد الفطر خطب الْمُتَوَكِّل بالناس وعنده بعض ضعف من علَّةٍ به، ثمَّ عدل إلى خيامٍ قد ضُربت له أربعة أميالٍ

إنَّ كتاب بيعة عبدالله الْمُنْتَصِر بالله يضعنا على واقع سياسيٍّ مضطرب، فنجد في ذلك الكتاب ترغيبًا للرعية في المبايعة، وتذكيرًا لهم بأن البيعة ترتبط بالعقيدة، وهذا الوتر الذي سار عليه كتاب البيعة في جزئه الأول، إنّما هو من باب اللجوء إلى الدين ليكون عضيدًا للحكم، ومع أنَّ الكتاب أشار صراحة في بدايته إلى طلب البيعة طواعية، فهم لا مكرهين ولا مجبرين، ولكنه ربطها بتقوى الله وطاعته، إن الجانب الديني الذي اتكأ عليه كتاب المبايعة كان من باب استعطاف الرعية، ولكن الجزء الثاني من الكتاب يظهر ترهيبًا لكل من يخون العهد، ونكث البيعة، فقد وضع الْمُنتَصِر بالله خارطة طريق لمن تراوده نفسه بنكث البيعة، فجاء في كتاب البيعة للمنتصر بالله:

"**بسم الله الرحمن الرحيم تبايعون عبد الله الْمُنْتَصِر بالله أمير المؤمنين بيعة طوع واعتقاد ورضا، ورغبة بإخلاص من سرائركم، وانشراح من صدوركم، وصدق من نياتكم، لا مكرهين ولا مجبرين، بل مقرين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من طاعة الله وتقواه، وإعزاز دين الله وحقه، ومن عموم صلاح عباد الله، واجتماع الكلمة، ولم الشعث، وسكون الدهماء، وأمن العواقب، وعز الأولياء، وقمع الملحدين.....**"[1].

بيد أن الأثر السياسي يظهر من خلال تسارع الأحداث حول بيعة المنتصر والخوف من تتابع الأخبار بقتل المتوكل ارتأى المتنفذون–الترك– على الحكم بالعمل على وجه السرعة في تنصيب خليفة جديد حتى لأتفشل خطتهم، فبثوا دعاية أن الخليفة شرق بقدح شربه ومات[2]، وهذه الأحداث جعلت وزير المتوكل أحمد بن الخصيب يأمر كاتبه سعيد بن حميد لأخذ البيعة،"فذكر عن سعيد بن حميد أن أحمد بن

في مثلها، فنزل هناك ثمَّ استدعى في يوم ثالث شوال بند مائه على عادته في سمرهِ وحضرته، وشربه، ثمَّ تمالأ ولده المنتصر وجماعة من الأمراء على الفتك به فدخلوا عليه ليلة الأربعاء لأربعٍ خلون من شوَّالٍ، وهو على السِّماط فابتدروه بالسُّيوف فقتلوه ثمَّ ولَّوا بعده ولده المنتصر بالله". يُنظر: ابن كثير، الحافظ، البداية والنهاية، ط8، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م، 349/10.

(1) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص237. التَّشَعُّثُ: التَّفَرُّقُ. الدهماء: عامة الناس. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، ج4، ص224.

(2) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك،235/9.

الخصيب، قال له: ويلك ياسعيد! معك كلمتان أو ثلاث تأخذ بها البيعة، قلت : نعم؛ وكلمات، وعملت كتاب البيعة، وأخذتها على من حضر وكل من جاء"[1]. وهذه اللحظات القلقة أثرت في إصدار كتاب البيعة بهذه اللهجة التي تتلائم مع طبيعة الحدث وتأثيره على المجتمع والعامة، فاحتاجوا إلى أسلوب فيه لين في مواضع وقسوة في مواضع أخرى سنُبينها.

ثم يُعرّج كاتب الكتاب بعد البسملة على واجبات الرعية تجاه خليفتهم، فهم ينصرونه، وينصحونه وسرعة الاستجابة لكل ما يأمر به، وهنا يظهر الكتاب ملامح ديمقراطية في إلانة الثقة بالخليفة ومبايعته، فهو أمر اختياري كما يشير، لكن الأمر فيما يبدو هو نظري تحمله كلمات الكتاب الرسمي، فحقيقة الأمر أن المبايعة كانت جبرية، ولا خيار فيها، وهذا ما يحمله الجزء الثاني من الكتاب، فقد ملأه الوعيد والتهديد.

فيقول في نهاية الكتاب: " ... **فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه مسرًّا أو معلنًا، أو مصرحًا أو محتالًا، فأدهن فيما أعطى الله من نفسه، وفيما أخذت به مواثيق أمير المؤمنين، وعهود الله عليه، مستعملًا في ذلك الهوينى دون الجد، والركون إلى الباطل دون نصرة الحق، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم، فكل ما يملك كل واحد ممن خان في ذلك بشيء نقض عهده من مال أو عقار أو سائمة، أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله، محرم عليه أن يرجع شيء من ذلك إلى ماله عن حيلة يقدمها لنفسه أو يحتال بها وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقل خطرها أو يجل قدرها، فتلك سبيله إلى أن توافيه منيته، ويأتي عليه أجله، وكل مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى أحرار لوجه الله، ونساؤه يوم يلزمه الحنث، ومن يتزوجه بعدهن إلى ثلاثين سنة طوالق البتة طلاق الحرج والسنة، لا مثنوية[2] فيه ولا رجعة وعليه المشي إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة، لا يقبل الله**

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 235/9.

(2) مثنوية: أي استثناء. الحجة: السنة. الصرف: التوبة. العدل: الفدية. الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 239/9.

منه إلا الوفاء بها، وهو بريء من الله ورسوله، والله ورسوله منه بريئان، ولا قبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، والله عليكم بذلك شهيد، وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً"[1].

في هذا الجزء من كتاب البيعة للمنتصر بالله بيان للجزاءات التي سيؤول إليها حال من ينكث العهد، فمن ينكث عهد البيعة، وكان له مال وعقار وزرع، فستؤول إلى مال الصدقة للمساكين، ولا يعود إليه منها شيئًا، ومن له مملوك وكانت مدة ملكه ثلاثين عامًا، فهو حرٌّ لوجه الله، ومن كان متزوجًا، فإنّ زوجته طالق لمدة ثلاثين سنة من أخذ ميثاق البيعة. إن جزاء من ينقض البيعة كما حدده الكتاب غاية الإفراط في العقوبة، ومن المستغرب في تلك الجزاءات أن زوجة من ينقض البيعة يتم طلاقها لمدة ثلاثين سنة، وهذا يظهر أن تغليظ العقوبة إلى هذا الحد يعني قلق الخليفة وخشيته، وما آلت إليه خفايا تفاصيل الحكم، وأن الثقة بين الخليفة ورعيته لم تكن بالمستوى الذي يطمئن إليه الْمُنْتَصِر، إضافة إلى أنه اشترك مع الأتراك في نقض البيعة لوالده، فهو يعلم أن الاستقرار السياسي لنظام حكمه كان تملكه أيادي من حوله من أتراك، إضافة إلى أن الموالي باتوا يشكلون مصدرًا مُهدِّدًا للخلافة.

ثمَّ إنَّ اغتيال الأتراك للمتوكل بمشاركة ابنه الْمُنْتَصِر بالله، كانت نقطة تحول في مسيرة الخلافة، فلم يقف الأتراك عند اغتيال المتوكل كما ذُكرَ سابقًا، بل أشركوا ابنه الْمُنْتَصِر معهم في قتل والده، ثم عرجوا على إقناع الْمُنْتَصِر بخلع أخويه من ولاية العهد، ليبقى لهم الدور الأساس في التحكم في مفاصل الدولة، فقد أصبحوا أصحاب القرار وهم الآمرون الناهون، وغاب دور الخليفة، ولخوف الترك على مصيرهم بعد خلافة الْمُنْتَصِر، التي ستذهب إلى أحد أخويه الْمُعتز والمؤيد، فسعوا إلى إقناع الْمُنْتَصِر بأن يخلعهما من ولاية العهد من بعده[2]، وفي ذلك أورد الطبري: "لما استقامت الأمور لمحمد الْمُنْتَصِر بالله، قال أحمد بن الخصيب لوصيف وبغا: إنا لا نأمن الحدثان، وأن يموت أمير المؤمنين، فيلي الأمر الْمُعتز، فلا يبقي منا باقية، ويبيد خضراءنا، والرأي أن نعمل في خلع هذين الغلامين قبل أن يظفرا بنا. فجد الأتراك في

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 239/9. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب،226/4.

(2) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص13.

ذلك، وألحوا على الْمُنْتَصِر وقالوا: يا أمير المؤمنين؛ تخلعهما من الخلافة، وتبايع لابنك عبدالوهاب، فلم يزالوا به حتى فعل"[1].

وفي سنة 248 هـ خلع الْمعتز والمؤيد نفسيهما، وكتب كل واحد منها رقعة بخطه أنه خلع نفسه من البيعة التي بويع له، وأن الناس في حل من حلها ونقضها، وأنهما يعجزان عن القيام بشيء منها، ثم قاما بذلك على رؤوس الناس والأتراك والوجوه والصحابة والقضاة، وبحضور جعفر بن عبدالواحد قاضي القضاة، والقواد وبني هاشم، وولاة الدواوين والشيعة ووجوه الحرس، ومحمد بن عبدالله بن طاهر، ووصيف وبُغا الكبير وبُغا الصغير، وجميع من حضر دار الخاصة والعامة، ثم انصرف الناس بعد ذلك[2]، وجاء في كتاب خلع المعتز والمؤيد نفسيهما:

"**بسم الله الرحمن الرحيم: إن أمير المؤمنين الْمُتَوَكِّل على الله – رضي الله عنه– قلدني هذا الأمر، وبايع لي وأنا صغير، من غير إرادتي ومحبتي، فلما فهمت أمري علمت أني لا أقوم بما قلدني، ولا أصلح لخلافة المسلمين، فمن كانت بيعتي في عنقه فهو من نقضها في حل، وقد أحللتكم منها، وأبرأتكم من أيمانكم، ولا عهد لي في رقابكم ولا عقد، وأنتم براء من ذلك**"[3].

كما جاء في الروايات التاريخية أنه بعد أربعين يومًا من ولاية الْمُنْتَصِر، أمر الْمُنْتَصِر بإحضار الْمُعتز والمؤيد بعد أن ذهبا من عنده، وقد كان يعلم المؤيد سبب إحضارهما أن الْمُنْتَصِر يريد أن يخلعهما، ولما طلب منهما رفض الْمُعتز ذلك، لكن المؤيد أقنعه بالموافقة بدل أن يقتلهما، "يا جاهل، تراهم قد نالوا من أبيك – وهو هو – ما نالوا، ثم تمتنع عليهم! اخلع ويلك ولا تراجعهم! قال: سبحان الله! أمرٌ قد مضيت عليه، وجرى في الآفاق أخلعه من عنقي! فقلت: هذا الأمر قتل أباك، فليته لا يقتلك! اخلعه ويلك، فوالله لئن كان في سابق علم الله أن تلي لتلين. قال: أفعل. قال: فخرجت فقلت: قد أجاب، فأعلموا أمير المؤمنين، فمضوا ثم عادوا فجزوني خيرا، ودخل معهم

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 244/9.

(2) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 246/9.

(3) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 246/9. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 230/4.

كاتب قد سماه، ومعه دواة وقرطاس، فجلس، ثم أقبل على أبي عبدالله، فقال: اكتب بخطك خلعك، فتلكأ، فقلت للكاتب: هاتِ قرطاسًا، أملل ما شئت، فأملى علي كتابًا إلى الْمُنْتَصِر، أعلمه في ضعفي عن هذا الأمر، وأني علمت أنه لا يحل أن أتقلده، وكرهت أن يأثم الْمُتَوَكِّل بسببي إذ لم أكن موضعًا له، وأسأله الخلع، وأعلمه أني خلعت نفسي، وأحللت الناس من بيعتي، فكتب كل ما أراد"[1].

والواضح أن الأثر السياسي كان له دورٌ كبيرٌ في صياغة هذا الكتاب بتلك اللغة، وأنه أُملي على المعتز والمؤيد، ولم يكن منهما إلا أن وقعا عليه، مجبرين على خلع أنفسهما، فلم يكن لهما خيار ثالث، إما القتل، وإما أن ينفذوا ما طلب منهم، فاختارا أن ينفذا مطلب المنتصر، الذي كان بطلب من الأتراك، وهذا يؤكد ما كان للأتراك من نفوذ، فهم الذين يعينون، وهم الذين يعزلون.

وتعدُّ حادثة مقتل الْمُتَوَكِّل هي بداية مأساة الخلفاء العباسيين على أيدي الأتراك، وازدياد نفوذهم، واعتيادهم على الفساد والسلب والنهب الأمر الذي أضر بالعامة، وإذا كان الْمُنْتَصِر العباسي قد أتفق معهم على قتل والده المتوكل، إلا أنه لم يسلم منهم أيضا، وكانت نهايته على أيديهم سنة 248هـ عندما دسوا عليه طبيبه ابن طيفور ليقتله، فقام بسمه بريشة أثناء مرضه[2].

بعد ذلك دخلت الخلافة العباسية في دوامة الصراع السياسي الذي يتمحور حول السلطة، وبدأت الاغتيالات السياسية، وأضحت الخلافة في أضعف صورها، فلم يعد للخليفة رأيًا ولم يعد في مأمن حتى وهو رأس الهرم السياسي، فالقوميات الداخلة إلى جسد الدولة العباسية كان لها تأثير واضح في ذلك الضعف الذي سكن قصور الخلافة، فبدأت قوتهم تتفشى في قيادات الجيش والمناصب الإدارية في الدولة، ولما توفي الْمُنْتَصِر بالله سنة 248هـ ولي الخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم ولقب بالمستعين بالله وقد زادت قوة شوكة الأتراك، وفي سنة 251هـ انحدر المستعين من

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 245/9.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص283.

سامراء إلى بغداد، وثار عليه الأتراك، وأخرجوا الْمُعتز بالله[1]، الذي كان محبوسًا في حجرة صغيرة في القصر، وكل واحد منهما معه غلام لخدمته، موكل بهم رجل من الأتراك يقال له عيسى خليفة بلبان، ومعه عدة من الأعوان وبايعوه[2].

بناءً على ماتقدم من أحداث نلحظ أن الأثر السياسي أفرزَ ضرورة كتابة رسائل ديوانية تتضمن مضامين تحمل مخرجات لمعالجة الموقف السياسي.

ويبدو أنَّ الدولة العباسية أرادت وضع أسس وثوابت لتثبيت حكمها، لذلك عمّدت إلى إصدار رسائل تشريعية تتضمن توجيهات وأوامر رسمية للولاة والعمال وتحديد الصلاحيات لهم من خلال إصدار العهود، وتعميم تلك الكتب إلى الأمصار ومناطق نفوذهم، وأيضًا يكون فيها خطاب موجه للرعية من عامة الناس، ومن الرسائل التي تمثل هذا الجانب عهد الموفق إلى أحد الولاة وكتبه أبو العباس بن ثوابة[3]، الذي تتضح فيه الثوابت السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية، والتي لابد على الوالي الإلتزام بها، يذكر فيه ابن ثوابة، ويقول[4]:" **أمره بتقوى الله وطاعته، وخشيته ومراقبته، في سرّه وعلانيته، وظاهر أمره وباطنه، والعمل بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى عنه فيما وافقه وخالفه، وأرضاه وأسخطه، فإنه من يتّق الله يقهِ، ومن يعتصم به يهدهِ، ومن يُطعه يتولّه ويكفهِ، ((إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ))[5]، وأمره أن يشعر قلبه خيفة الله وهيبته والتفويض إليه، والاعتماد عليه**"،...، **وأمره أن يقرأ عهده على أهل عمله، ويعلمهم رأيه فيه، وعنايته بما فيه**

---

(1) المعتز بالله: هو ابو عبدالله محمد أو الزبير بن جعفر المتوكل بن محمد المتصم بن هاروت الرشيد، بويع له بالخلافة بعد خلع المستعين نفسه بضغط من القوة الحاكمة وبايع المعتز بالله، في يوم الجمعة لأربعٍ خلون من شهر المحرم سنة 252هـ، وكان عمره تسع عشرة سنة. ينظر:شاكر، محمود، خلفاء العصر العباسي الثاني، المكتب الإسلامي،2001م، ص104.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية،235/4.

(3) أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة، أصله من النصارى وهو من عائلة أشتهرت بالكتابة ت(277هـ)،ينظر: ابن النديم، الفهرست، تح:رضا تجدد، 1971م، ص143.

(4) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب،290/4.

(5) سورة النحل، الآية: 128.

صلاحهم، والإحسان إليهم، والعدل عليهم، والتقرب إلى الله بذلك في أمرهم، ليبسط آمالهم، ويحسن ظنونهم، ويحمدوا الله على ما أنعم عليهم إن شاء الله".

عند قراءة هذا الكتاب نلحظ مجموعة من المبادئ والوصايا التي رسمها في تحديد سياسة الوالي ورسم خطته المستقبلية، ومن المهام الأساسية عدم تجاوز هذه الصلاحيات، وتحتوي مجموعة أغراض في أولها : تقوى الله، وخشيته، وأنه مراقبٌ له في السرِّ والعلانية ومخافته، متابعة أحوال الرعية والجلوس معهم، الاهتمام بأهل الطاعة والعلماء وأصحاب الفضل، وكذلك تتضمن توجيهاً بأن مسؤولية وموافقة إطلاق سراح السجناء والإفراج عنهم مناط بالخليفة، ومتابعة الثغور والنقاط الحدودية الفاصلة بينهم وبين الأعداء، والغرض الأخير هو إعمام هذا الكتاب بين الناس وقراءته عليهم وضرورة الإلتزام بما جاء فيه.

ثُمَّ احتاجت الدولة في تثبيت أركانها أن تتبادل المخاطبات الرسمية بين القيادات والخليفة في حالة الحرب والسلم، وتحمل هذه المخاطبات في طياتها مضامين عسكرية كالأوامر العسكرية في التحصين أو الاستعداد لغزو أو تحريك قطاعات من الجيش العباسي لإسناد ثغر من الثغور، ومن الرسائل التي تمثل هذا الجانب، هو الكتاب الذي كتبه أحمد بن الخصيب كاتب ووزير المنتصر بالله لمحمد بن عبدالله بن طاهر سنة 248 عندما أرسل المنتصر وصيفاً القائد التركي لغزو الروم[1]، إذ يقول:" **فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عملك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا، ومرهم بقراءته على من قبلهم من المسلمين، وترغيبهم في الجهاد وحثّهم عليه، واستنفارهم إليه، وتعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهله، ليعمل ذوو النيّات والحسبة والرغبة في الجهاد على حسب ذلك في النهوض إلى عدوّهم، والُخفُوفِ إلى معاونة إخوانهم، والذّياد عن دينهم، والرمي من وراء حوزتهم، بموافاة عسكر وصيف مولى أمير المؤمنين ملطية فى الوقت الذى حدّه أمير المؤمنين لهم إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته**".

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري، الرسل والملوك، 243/9. صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب، 229/4-230 .

يتجلى في هذا الكتاب قيام الخليفة بتوجيه والي بغداد لنصرة وصيف في معركته ضد الروم وحثه على توجيه الإعلام الحربي، وإعمام أمره بترغيب الناس وحثهم على الجهاد وبيان منزلته لهم، وأثنى على المجاهدين وفضلهم عن القاعدين، وأن يساندوا جيشيه في قتالهم أعداء الكفر، وفي هذا الكتاب احتاج المنتصر بالله إلى الإطناب فيه وذلك لحساسية الموضوع وأهميته.

وهذه الحروب التي خاضتها الدولة العباسية والانتصارات على الأعداء، والتخلص من الثورات والحركات المعادية لها، جعلتها تتخذ من الرسائل الديوانية وسيلةً لإعلام الناس وإذاعة النصر والبشرى بما تحقق لهم، ومثال ذلك ما نلحظه في الكتاب الذي أصدره محمد بن عبدالله بن طاهر والي بغداد بعد انتصاره على جيش المعتز عندما جاء من سامراء ليقضي على حكم المستعين والسيطرة على مركز الخلافة في بغداد ويقول[1]:" **بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد، فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته، والقادر فلا يعارض في قدرته، والعزيز فلا يذلّ في أمره، والحكم العدل فلا يردّ حكمه، والناصر فلا يكون نصره إلا للحق وأهله، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحد عن أمره، والهادي إلى سبيل رحمته فلا يضلّ من انقاد لطاعته،...، ثم بعد البسملة والتحميد والشكر لله يُعلن نصره الكبير على الفئة الضآلة، قائلًا:"والحمد لله رب العالمين، قامع الغواة الناكبين عن دينه، والبغاة الناقضين لعهده والمرّاق الخارجين من جملة أهل حقه حمدا مبلّغا رضاه. وموجبا أفضل مزيده، وصلّى الله أولا وآخرا على محمد عبده ورسوله الهادي إلى سبيله، والداعي إليه بإذنه، وسلّم تسليما**". وفي هذا النص يستعمل الكاتب اللغة المؤثرة وإنتقاء الألفاظ للدلالة على القوة والعزم، وتصويره الدقيق لأحداث المعركة.

جاءالأثر في هذه المخاطبات الإدارية ليكشفَ عن المسؤولين عن إدارة الدولة ومنهجهم في التعامل مع الناس، فعَبّرت هذه الرسائل عن ذلك، فأصبحت وسيلة في إبلاغ خطاب الدولة، فعدَّ هذا الكتاب بيانًا لموقف خلافة المستعين إزاء هذه الحرب، واستمالة عواطف الناس في مناصرتهم لدرءِ هذا العدوان على بغداد، وفي المحافظة

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري الرسل والملوك، 298/9. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب،239/4.

على حكمهم وإطلاع الناس على ما يحدث كونهم جزء من هذا الصراع وأنهم مسيطرون على ساحة الحرب، ولبث الرعب في نفوس العدو لردعهم ومحاربتهم إعلاميًا في أن النصر أصبح حليفهم، لأن الرسائل وبصفتها وسيلة إعلامية لها دور في الحروب وفي التوجيه الحربي.

ومن الرسائل التي أوضحت الخطوط السياسية التي سارت عليها الدولة العباسية في تنظيم شؤون نظامها السياسي والإداري الداخلي، وإدارة شؤون الرعية، رسائل التوقيعات[1] التي حملت في طياتها ماكان يصدر من الخلفاء والأمراء والولاة والوزراء في النظر في مطالب المتظلمين والشكايات وقضاء الحوائج، ورفع الأذى عن الرعية ومراعاتهم وإنصاف أهل الحق، وأحياناً العفو عن المذنبين والصفح عنهم، وهي من الأغراض التي تساعد في تنظيم شؤون الحكم وتكون بمنزلة توجيهات سلوكيّة وإدارية، ونورد توقيع ما أملاه محمد ابن عبد الله بن طاهر إلى الكتّاب سنة 251هـ، أيام الفتنة بين المستعين، والمعتز يأمرهم بالإيجاز في كلامهم دون الإطالة، **يقول في ذلك:**"**دَقَّقوا الأقلامَ، وأوجَزوا الكلامَ، فإنَّ القرَاطِيسَ لا تُرامُ، والسَّلام**"[2]. والأثر السياسي واضح على هذا التوقيع والغاية من إصدارهِ، إذ جاء بسبب حصار جيش المعتز لبغداد، فأراد ابن طاهر الاقتصاد في الكلام وفي العدّة (الكواغدِ)[3].

---

(1) التوقيعات: تعدُّ التوقيعات من الفنون النثرية التي يُشار إليها بالبنانِ، وهي عبارة عن رسائل أو تعبيرات موجزة تكتب من قبل الخلفاء،أو الأمراء، أو الوزراء، على الكتب الواردة إليهم في مختلف الموضوعات سياسية كانت أم اجتماعية أم اقتصادية، فالتوقيع في اللغة كما يشير إليه القلقشندي هو:"أن التوقيع في اللغة التأثيرُ الخفيف، وفي الاصطلاح لكتّاب الأقدمين:"أنه أسم لما يُكتب في حواشي القصص بخطِّ الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدّم، وخط كاتب السِّرّ الآن، ثم غلب حتى صار علَما على نوعٍ خاص ممّا يُكتب في الولايات والمكاتبات ومن الأمور المتعلقة بالمملكة، والتحدث في المظالم، وهو أمرٌ جليل، ومنصب حفيل، إذ هو سبيل الإطلاق والمنع، والوصل والقطع، والولاية والعزل، إلى غير ذلك من الأمور المهمات".القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج11، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1917م، ص114.

(2) صفوت، جمهرة رسائل العرب، 399/4.

(3) الكواغد:هو القرطاس.

وما يصدر منها في العفو والصفح بعبارات يكتبها الكاتب تدل على مقدرتهِ الثقافية ومكانته الإجتماعية، عندما تقدم رجلُ بكتاب بشأن الاعتذار من محمد بن طاهر، فوقّع به لرجلٍ ، لكن إنّ خطّ ذلك الرجل كان عارضًا بين قبول اعتذارهِ، فما كان من محمد بن عبد الله طاهر عند رؤيته للخطِّ الذي كُتب به الاعتذار إلا رَفضَ عذره لسوء خطّه، طالباً منه تحسين خطّه؛ ليكون شفيعاً له في قبول عذره، إذ قال له[1]: "**أَردنَا قُبولَ عُذرِكَ، فاقتطَعَنَا عنه ما قابَلَنا مِن قَبيحِ خَطِّكَ، ولو كُنتَ صَادِقاً في اعتِذَارِكَ لسَاعَدَتكَ حَركةُ يدك، أوَمَا علمتَ أنَّ حُسنَ الخَطِّ يُناضِلُ عن صَاحِبِهِ بوضوح الحُجَّة، ويمكّن له دَركَ البُغية؟** ".

ولشيوع التوقيعات في العصر العباسي الثاني وازدهارها، فإن ذلك يعدُّ مظهراً من مظاهر التطور الأدبي، وعلاوةً على ذلك إضافة سمة جديدة في أسلوب المخاطبات هي الإيجاز والتركيز على العبارة المختصرة القصيرة، ويقول في ذلك إحسان عباس:"هذا النوع من الكتابة هو ميدان البلاغة، فإنها تدل على الصفة الرسمية التي أدت إلى تفضيل الإيجاز والقصر في التعبير وتوصيل المعنى، وأصحاب التوقيعات المقتضبة هم المشهود لهم بالبلاغة في هذا الشأن"[2].

2.1.1 الثورات الداخلية

شهد العصر العباسي الثاني كثيرًا من الأحداث التي أدّت إلى ضعف الخلفاء، وفي فتراتٍ عدّة جنحَ نحو الاستقرار والقوة ثم يؤول به الوضع إلى الضعف والانحدار السياسي بسبب تسلط الترك، وهذا الإنتقال في مراحلهِ السياسية وكثرة النفوذ الأجنبي وأثره في المجتمع واستشراء الفساد، أدى ذلك إلى ظهور ثورات كثيرة استنزفت موارد الدولة العباسية، وبالتحديد ثورتي الزنج والقرامطة.

ثورة الزنج:

---

(1) صفوت، جمهرة رسائل العرب، 399/4.

(2) عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط2، دار الثقافة ، بيروت، 1969م، ص325.

استمرت هذه الثورة قُرابة أربع عشرة سنة ونحو أربعة أشهر من سنة 255هـ إلى 270هـ، وأشعل فتيلها رجل فارسي زعم في بادئ الأمر أنه من بني عبد القيس سكان البحرين، وأشاع أن اسمه علي بن محمد ووصل نسبه بإمام الزيدية: زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رض)، حتى يُثبت حقه الشرعي في الثورة ضد الدولة العباسية، وهو نسب غير صحيح إذ هو فارسي الأصل، وأظهر نفسه مدافعًا عن حقوق الزنج الذين كانوا يعملون لدى كبار الإقطاعيين في زراعة أرضهم لقاء أجور زهيدة لاتسد رمق جوعهم، ويصوّر لهم أن العناية الإلهية قد أرسلته لنصرتهم من الظلم[1].

إذ كانوا هؤلاء الزنج يجلِبونهم من شرق إفريقيا، فسرعان ماتبعهُ العديد منهم، حتى أصبحت كأنها ثورة العبيد على الجائرين، وثبت ذلك في نفوسهم أن صاحبهم الفارسي كان يدعو إلى تحريرهم، وكان معقلهم في البصرة، فكثرت إغارتهم عليها وعلى قُراها، فاستغاث أهلها بالخليفة المهتدي، فأرسل إليهم سنة 256هـ جيشًا لمقاتلتهم فجرت بينهم وبين الدولة معارك كبيرة راح ضحيتها كثير من الناس وخلّفت دمارًا بالمنازل وعملوا هؤلاء الزنج على النهب والسلب، وفي عهد المعتمد استمرت الدولة في مقارعتهم وردعهم، فكان الموفق أخو الخليفة هو المتصدّي لهم، فقد كان بطلًا لايُبارى وصاحب رأي وحزم لايدانيه حزم وتدبير لايشبه تدبير، وكذلك كان يرافقه ابنه أبو العباس الذي وليَ الخلافة بعد عمهِ المعتمد ولقب بالمعتضد، كان شجاعًا حازمًا مثل أبيه، فنشبت حروب متتابعة قُتل فيها من الجانبين الكثير[2] .

واستمر الموفق وابنه في مقاتلة الزنج إلى سنة 269هـ، حتى رأى أن يَشُنَّ حملة واسعة كبيرة على الزنج وصاحبهم، فحاصرهم وقتل منهم مقتلًا وطلب الأمان كثيرون من الزنج, وقوادهم حتى تمكن من الوصول إلى ملاذ صاحبهم وقتله سنة 270هـ،

---

(1) ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص27–33.المسعودي، أبو الحسن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، ط1،المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ص156.

(2) ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص27–33. المسعودي، أبو الحسن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج4، ط1،المكتبة العصرية، بيروت،2005م، ص156.

فأمر الموفق بإذاعة خبر ذلك وعودة الأهالي والمواطنين إلى ديارهم، وبهذه الأحداث انتهت ثورة الزنج[1]، فما إن خمدت ثورة اشتعلت أخرى فشبت نار ثورة القرامطة.

ثورة القرامطة صاحب الشامة(290 – 291هـ):

بقيت فِرقُ الشيعة في العصر العباسي الثاني تتحرك بنشاط كما في العصر العباسي الأول، وظهرت خلافات بين الفرق سببها الخلاف على الإمامة، ومن أهمّها الفرقة الزيدية التي حملت السلاح بوجه الدولة العباسية، ثمَّ الفرقة الإمامية التي تنشر دعوتها بتقية وتعمل سرًّا ضد العباسيين، ومن هذه الفرق من آمنت بأن الإمامة تتعاقب في اثني عشر إمامًا فعرفت بفرقة الإمامية الاثنا عشرية[2]، واعتقد أتباعها بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهو عندهم يمثل الإمام السابع[3]، وفرقة أخرى أطلق عليها الإسماعيلية نسبةً إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وكان قد توفي قبل أبيه[4]، واعتقدوا بإمامته وهو أكبر أولاد جعفر الصادق، فقد حوّل أتباعه الإمامة إلى ابنه محمد المستور، وهو عندهم الإمام السابع، ومن ثم أطلق على هذه الطائفة اسم السبعية لتمييزهم عن الاثني عشرية[5]، وتعرف أيضًا بالإسماعيلية، أو الباطنية، أو التعليمية، أو الفرقة الهادية[6] .

نلحظ حول هذه الانشقاقات روايات عدّة لابد لنا من الإيتان على ذكر بعضها، يقول المقريزي: (إنَّ إسماعيل هو الابن الأكبر لجعفر الصادق وهو الذي نص عليه بالإمامة في حياة أبيه، غير أن إسماعيل توفي سنة 138هـ، وجعفر الصادق لايزال على قيد الحياة...)[7]، وفاة إسماعيل ووالدهُ على قيد الحياة سبب اضطرابًا واسعًا لدى

---

(1)- ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص27-. المسعودي، أبو الحسن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج4، ط1،المكتبة العصرية، بيروت،2005م، ص156.

(2) ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص34.

(3) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس، 2009م، ص181.

(4) ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص33.

(5) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ص181.

(6) غالب، مصطفى،تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس،ط3، بيروت، 1979م، ص124.

(7) غالب، مصطفى،تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس،ط3، بيروت، 1979م، ص124.

الشيعة، ممّا أدى ذلك إلى تباين الآراء فيما يخص الإمامة، وبسبب هذا الخلاف نشأت فرق متعددة [1].

بدأ القرامطة بالتحرك متخذين من الكوفة مقرًّا لهم سنة 278هـ[2] ،على يد رجل جاء من خورستان إلى سواد الكوفة، وهناك استطاع استمالة الفلاحين إليه وذلك بما أوجدوه فيه من خلق رفيع ودعوة جميلة، ونال هذا الرجل لقب قرمط، وأصبحوا يسمّون بذلك الاسم الذي اكتسبهُ زعيمهم، وجاء سبب تسميتهم هو زعمهم أنهم يدعون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن علي، ونسبوا إلى قرمط وهو حمدان بن الأشعث، وكان بسواد الكوفة، وإنما سمي قرمطًا لأنه كان رجلًا قصير القامة وخطواته متقاربة فسمي بهذا الاسم[3].

وأعلنوا القرامطة ثورتهم وتحركوا بنشاط في نهاية عهد المعتضد، فأرسل الخليفة جيشهُ لمقاتلتهم فهزمهم، ثمَّ حَوّل القرامطة نشاطهم إلى بلاد الشام، وبتظافر الجهود ضدهم بين حكام مصر الإسلامية مع جيوش بغداد هُزم القرامطة قرب دمشق، وقتل قائدهم وكان يعرفُ بالشيخ، فخلفهُ بعد ذلك صاحب الخال (صاحب شامة)، الذي كان أنشط قادة القرامطة في الشام، الذي كان يعرف باسم(أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب)، وقيل اسمه الحسين بن زكرويه بن مهرويه، ولقب نفسه بالمهدي، واستطاع بفترة قليلة أن يكون سيد البادية الشامية مع شمال ووسط بلاد الشام[4].

وفي غياب تام للدولة العباسية عن هذه الحوادث، فقد كانت مراقبة للتطورات الخطيرة دون تدخل مباشر منها، وبقوا كذلك إلى أن استشعر المكتفي بالله خطورة ما يحدث في الشام على حكم العباسيين، وأن الأمر بات يشكل خطرًا على كرسي

---

(1) غالب، مصطفى، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، ط3، بيروت، 1979م.

(2) ابن الجوزي، لأبو الفرج عبدالرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج12، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت)، ص287–299. يُنظر: صفوت،أحمد، جمهرة رسائل العرب، ص323. زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام، ط3، دار الفكر ، بيروت، 1979م، ص302..

(3) زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام، ص302.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،532/6. زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام، ص305.

خلافته، خاصة بعد أن أعلن صاحب الشامة نفسه أميرًا للمؤمنين، فأعدّ جيشا ضخما وسار به لقتال القرامطة، وبعد معارك طويلة امتدت شهورًا استطاع الجيش العباسي أن يهزم القرامطة في سنة 291هـ قرب مدينة حماة، وتم ملاحقة قادتهم، فأمسكوا بزعيمهم وأتباعهُ وسيق بهم في موكب نصر إلى بغداد وتم إعدامهم[1].

لكن هذه الحروب لم تنهِ هذه الثورة أو القضاء على نشاطها بل عمدوا إلى البادية وجعلوها ملاذًا لهم، فقاموا بإغارات على قوافل الحجاج وكان قائدهم في العراق زكرويه بن مهرويه، وبعد وفاة زكرويه أصبح كبيرهم أبو سعيد الحسن الجنابي وقتل سنة 301هـ[2].

فخلفهُ أخوهُ أبو طاهر سليمان، وأتخذوا من البحرين التي تشمل مناطق الأحساء والقطيف وهجر والطائف قاعدة لنشر نشاطهم، وعاودوا على غاراتهم على الحجاج واستولوا على العديد من قوافلهم وأوقعوا بالحجاج وقعة كبيرة في سنة 317هـ، حتى وصل بهم الحال إلى خلع باب الكعبة وأخذوا كسوتها، ونهبوا أهلها وخلعوا الحجر الأسود من البيت الحرام، وأخذوه إلى البحرين وبقيَ لديهم اثنتان وعشرون سنة[3]. أن الحركة القرمطية فقدت نشاطها في البحرين بعد وفاة أبي طاهر سنة 332هـ، أثر الصراع على الزعامة، بالرغم من أن الدولة القرمطية امتدت حتى سنة 469هـ[4] .

وتظهر بعض الكتب التي كان يوجهها صاحب الشامة إلى عماله، بتلك المكانة التي اتخذها لنفسه، فقد بات يرى في نفسه خليفة الدولة، وهو صاحب السلطة، فمن كتب صاحب الشامة إلى عامله جعفر بن حميد الكردي:

"**بسم اللَّه الرحمن الرحيم من عبد اللَّه أحمد بن عبدالله المهدى المنصور بالله الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله، الداعي إلى كتاب الله، الذاب عن حرم الله، المختار من ولد رسول الله أمير المؤمنين وإمام المسلمين،...، وولد خير**

---

(1) ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ص538. زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام، ص305.

(2) زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام، ص306.

(3) زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام، ص306.

(4) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ص185.

الوصيين، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين، وسلم كثيرًا، إلى جعفر بن حميد الكردى:

سلام عَلَيْك، فإني أحمد إليك اللَّه الَّذِي لا إله إلا هو، وأساله أن يصلى على جدي محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أما بعد، فقد أنهى إلينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفره، وما فعلوه بناحيتك، وأظهروه من الظلم والعيث والفساد في الأرض، فأعظمنا ذلك، ورأينا أن ننفذ إلى ما هناك من جيوشنا من ينقم الله به من أعدائه الظالمين، ...، وآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، وصلى الله على جدي محمد رسول الله. وعلى أهل بيته وسلم كثيرًا"[(1)].

إن الأثر السياسي يتضح من طريق اتخاذ صاحب الشامة العاطفة الدينية أسلوبًا ونهجًا لخطاباته، فكان يركز على أنه من سلالة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وذلك لمعرفته بأن الناس يتعاطفون دينيًّا مع سلالة الرسول، وقد كان يعد كل من يخرج عن اتباعه كافرًا وخارجًا عن الملة، ونلاحظ أن أسلوب التخاطب الذي انتهجه صاحب الشامة، يدل على تلك القوة التي كان يمتلكها، فقد كانت توازي قوة الدولة والخلافة، فمخاطبته تعبر عن صاحب مكانة مرموقة في أتباعه. ومايدل على ذلك أيضًا هو كتاب عامل له إليه[(2)]:"**بسم الله الرحمن الرحيم، لعبدالله أحمد الإمام المهدي المنصور بالله، (ثم الصدر كلُّه على مثال نسخة صدر كتابه السابق إلى عامله إلى قوله: وعلى أهل بيته الطيبين وسلم كثيرا، ثم بعد ذلك: من عامر بن عيسى العنقائي. سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أما بعد:**

أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام الله عزه وتأييده، ونصره وسلامته، وكرامته ونعمته وسعادته، وأسبغ نعمه عليه، وزاد في إحسانه إليه، وفضله لديه، فقد كان وصل كتاب سيدي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، يُعلمني فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصورة مع قائد من قواده إلى ناحيتنا لمجاهده أعداء الله بني الفصيص والخائن ابن دُحيم، ويأمرني أدام الله عزه عند نظري في كتابه بالنهوض

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 105/10. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 340/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 342/4.

في كل من قدرت عليه من أصحابي وعشائري،...، ووجهت إلى جميع أصحابي، فجمعناهم إلينا، ووجّهنا العيون إلى ناحية عَرقة لنعرف أخبار هذا الخائن، وأين يريد، فيكون قصدنا ذلك الوجه، ونرجو أن يُظفر الله به، ويمكّن منه بمنه وقدرته"[1].

نجد أن وضع الخلافة في هذه المرحلة قد تقهقر كثيرًا وتأثر إلى حد كبير بما أصابها من أحداث وأزمات، فضلًا عن فساد الإدارة والأزمات المالية التي كانت أبرز سماته، إلا أن المكاتبات الرسمية بقيت هي الوسيلة التي تستخدمها القوة الحاكمة والقوة المنافسة على الحكم، لما لها من أثر في العامة واعتمدها وسيلة للتواصل مع الرعية ومتابعة أحوالهم.

3.1.1 الشؤون الإدارية الخارجية

بما أن الحياة السياسية في العصر العباسي الثاني مرّت بأطوار مختلفة أدّت إلى انفصال وانقسامات أظهرت لنا إمارات ودويلات انفصلت عن مركز الخلافة العباسية، إلّا أن هذه الإمارات والدويلات لم تكن مستقلة بشكلٍ كاملٍ، فالحكومة المركزية احتاجت إلى تنظيم شؤونها الإدارية والسياسية، والتواصل مع باقي الإمارات والدويلات لضمان حقوقها وشرعيتها، لذا قامت بتنظيم شؤونها الإدارية والعسكرية انطلاقًا من اعتمادها الرسائل الديوانية التي جعلتها وسيلة في التواصل وتنظيم العلاقات بين السلطة والعامة فيما يخص الشؤون الداخلية منها والخارجية، وبناءً على ذلك كان لابد على مركز الخلافة للدولة العباسية أن تُقيم علاقات سياسية خارجية مع هذه الإمارات والدويلات، وهذه العلاقات مثلت علاقة مركز الخلافة العباسي مع الدويلات والإمارات الإسلامية الانفصالية من جهة، وعلاقتها الخارجية مع الدول غير الإسلامية من جهة أخرى، فاتخذت من الرسائل الديوانية وسيلتها في تنفيذِ الاعمال المناط بها وتنظيم الأمور الإدارية والسياسية للدولة في السلم والحرب.

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك،106/10. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 342/4.

فتناولت الرسائل الديوانية الخارجية تصريف أعمال الدولة واهتمامات الحكام في الخارج، ومضامينها تتسع بحكم التطور وظروف الحال وما يرافق ذلك من تقدم أو تأخر في النضج الحضاري، وما يتبعه من تغييرات في شؤون السياسة والمجتمع[1]، و"تتعلق بكل العلاقات الخارجية مع باقي الدول"[2]. ولم تكن الرسائل الديوانية الخارجية في العصر العباسي الثاني بحجم الرسائل الداخلية، وقد يعود السبب في ذلك إلى الظروف السياسية الداخلية التي كانت تعيشها الدولة العباسية آنذاك، من ثورات واضطرابات سياسية متعددة، لذا كان توجه أنظمة الحكم في هذا العصر نحو الداخل، الذي كان يهدد وجود تلك الأنظمة، أكثر من التهديدات الخارجية، ولم تصل إلينا الرسائل الديوانية الخارجية التي تناولت العلاقات الإدارية والسياسية، ومن الرسائل الديوانية الرسمية ما حملته رسالة الإخشيد محمد بن طغج، فجاء في جمهرة رسائل العرب أن الإخشيد محمد بن طغج صاحب الديار المصرية، وما معها من البلاد الشامية، والأعمال الحجازية قد كتب كتابًا إلى أرمانوس ملك الروم، ردًّا على كتاب الأخير إليه، وقد كان محتوى كتاب أرمانوس يحمل مضامين تعبر عن إعلاء نفسه، فهو لا يراسل إلا الخليفة، لكنه يراسل الإخشيد لما يتمتع به من صفات أحبها واحترمها[3].

فأرسل الإخشيد كتابًا بعد أن اختاره من مجموعة من الكتب التي أمر كتّابه أن يردوا به على أرمانوس[4]، واختار الكتاب الذي كتبه إبراهيم بن عبد الله النّجيرمى[5]، الذي كان عالمًا بوجوه الكتابة، وقد جاء في كتابه: "**من محمد بن طغج مولى أمير**

---

(1) خلفاوي، ياسر،العبيدي، فريدة، الكتابة الرسائلية في العصر العباسي: الرسالة الديوانية أنموذجا، مجلة دراسات وأبحاث، العدد:2021،2م، ص519.

(2)خلفاوي، ياسر،العبيدي، فريدة، الكتابة الرسائلية في العصر العباسي، ص519.

(3) صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 357/4.

(4) أرمانوس: ملك الروم، اشتهر بأنه سياسي محنك، ودبلوماسي ، يمتلك الخبرة القوية في الإدارة. و–يُنظر:العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت،(د.ت)، ص396.

(5) إبراهيم النجيرمي: أبو إسحاق النحوي اللغوي، أخذ عنه الكثير من أهل الأدب والعلم لما يمتلكه من قدرة أدبية، ونسبه إلى نجيرم، وهي قرية تقع في البصرة ، وجالس كافور الإخشيدي في مصر. الصفدي، الوافي بالوفيات، ط1، ج6، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ص25.

المؤمنين إلى أرمانوس عظيم الروم ومن يليه: سلام بقدر ما أنتم له مستحقّون، فإنّا نحمد الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، فقد ترجم لنا كتابك الوارد مع نقولا وإسحاق رسوليك، فوجدناه مفتتحًا بذكر فضيلة الرحمة، وما نمى عنا إليك، وصحّ من شيمنا فيها لديك، وبما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة في رعايانا، وما وصلت به هذا القول من ذكر الفداء، والتوصّل إلى تخليص الأسرى، إلى غير ذلك مما اشتمل عليه وتفهّمناه"[1].

ابتدأ الكتاب وصفًا للمرسل والمرسل إليه، ونجد أن الإخشيد لم يخرج نفسه من دائرة اتّباعه للخليفة، رغم أنه والٍ على مساحات واسعة من الدولة العباسية، وكان لبقًا في مخاطبة ملك الروم "أرمانوس عظيم الروم"، وهذه عادة رؤساء الدول، فيكون التخاطب بأسلوب التفخيم وإعلاء المكانة.

وفي رد الإخشيد على ترفع أرمانوس عن مكاتبة من هو أدنى من الخليفة، فقد كان رده غاية في الرقي والتهذيب، فهكذا هي لغة الملوك والقادة، فجاء في رده:" **وأمّا ما وصفته من ارتفاع محلّك عن مرتبة من هو دون الخليفة في المكاتبة، لما يقتضيه عظم ملككم، وأنه الملك القديم الموهوب من الله، الباقي على الدهر، وأنك إنما خصصتنا بالمكاتبة لما تحقّقته من حالنا عندك، فإن ذلك لو كان حقا، وكانت منزلتنا- كما ذكرته- تقصر عن منزلة من تكاتبه، وكان لك في ترك مكاتبتنا غنم ورشد، لكان من الأمر البيّن أن أحظى وأرشد وأولى بمن حلّ محلك أن يعمل بما فيه صلاح رعيته، ولا يراه وصمة ولا نقيصة ولا عيبا، ولا يقع في معاناة صغيرة من الأمور تعقبها كبيرة، فإن السائس الفاضل قد يركب الأخطار، ويخوض الغمار، ويعرّض مهجته فيما ينفع رعيته...."** [2].

وقد ذهب الإخشيد إلى وضع سياسته التي اتبعها في ممالكه بين أيدي أرمانوس، ولم يكن ذلك من باب التعالي، ولكنه أراد رسم معالم السياسة المتبعة في الدولة

---

(1)القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج7، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص10 . صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 358/4.

(2) صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 358/4.

العباسية، وأنهم يملكون فكرًا سياسيًّا يضاهي سياسة الروم، ونلاحظ من خلال هذه المراسلة بين ملك الروم أرمانوس والإخشيد، تلك العلاقات الإيجابية بين الدولتين، ويمكن القول إن العلاقات العربية الرومية لم تثبت على حال واحد، بل كانت بين مشاحنات وحراكات ومناوشات في بعض أحوالها، وفي بعضها الآخر علاقات سلمية.

وقد اختتم الإخشيد كتابه بإظهار المحبة والمودّة، بعد اتفاقهم على تبادل الأسرى، فيقول الإخشيد[1]: "**وأمَّا مَا ابتَدأتنا به مِن المُوَاصَلةِ، واستَشعَرتَهُ لنا من المودَّةِ والمَحَبَّةِ، فإنَّ عِندنا في مُقَابلة ذلك مَا تُوجبه السِّياسَةُ الَّتي تَجمَعنا على اختلافِ المَذاهب** "، وكعادة الرسائل الديوانية التي تبدأ بحمد الله والصلاة على نبيه، وتنتهي بمثل ذلك، فقد اتبع الإخشيد هذا الأسلوب بكتابه: " **والحَمدُ للهِ أحَقَّ مَا ابتُدِئ به، وخُتِمَ بِذكرِهِ، وصَلَّى اللهُ على محمد نبيِّ الهُدى والرَّحمة، وعلى آله وسلَّم تسليماً**"[2]. وهذا أسلوب يمكن تعميمه على الرسالة الديوانية في العصر العباسي الثاني.

تلك الحالة التي كانت تجنح إلى السلم في العلاقات الدولية بين الدولة العباسية والروم في العصر العباسي الثاني، ولكن هذه الحالة لم تكن دائمة، بل قد تتحول في بعض الأحيان إلى علاقات عدائية متبادلة بين الدولتين.

ومن الرسائل الديوانية التي تظهر تلك الحالة كتاب المنتصر بالله إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، التي يطلب فيه إرسال وصيف التركي بجيش ليغزو الروم، فبعد البسملة والتحميد، فقد جاء كتاب المنتصر تكليفًا بالجهاد والحض عليه: "**وقد رأى أمير المؤمنين- لما يحبه من التقرب إلى الله بجهاد عدوه، وقضاء حقه عليه فيما استحفظه من دينه، والتماس الزلفى له في إعزاز أوليائه، وإحلال البأس والنقمة بمن حاد عن دينه، وكذب رسله، وفارق طاعته- أن ينهض وصيفا مولى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة والروم، غازيًّا لما عرف الله أمير المؤمنين**

---

(1) صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية،358/4. و-القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،18/7.

(2) صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 365/4، و-القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص18/7.

من طاعته ومناصحته ومحمود نقيبته وخلوص نيته، في كل ما قربه من الله ومن خليفته" فكان الكتابُ بمثابة الدعوة العلنية للجهاد في سبيل الله ضد العدو...."[1].

لكن هذا الكتاب الذي حمّل طلب المنتصر بالله الذهاب في حرب إلى الروم، لم تكن الحرب هي الهدف الأساس، بل كان هدف المنتصر التخلص من وصيف التركي، وهذا ما أورده الطبري في تاريخه، فقد جاء في ذلك: " ذكر أن السبب في ذلك أنه كان بين أحمد بن الخصيب ووصيف عداوة، فلما استخلف المنتصر، وابن الخصيب وزيره، حرّض أحمد بن الخصيب المنتصر على وصيف، وأشار عليه بإخراجه من عسكره غازيًا إلى الثغر، فلم يزل به حتى أحضره المنتصر، فأمره بالغزو. ولما عزم المنتصر على أن يغزي وصيفا الثغر الشامي، قال لوصيف: إن الطاغية- يعني ملك الروم- قد تحرك، ولست آمنه أن يهلك كل ما يمر به من بلاد الإسلام، ويقتل ويسبي الذراري،...، وأمر جماعة من القواد وغيرهم بالخروج معه وانتخب له الرجال، فكان معه من الشاكرية[2] والجند والموالي زهاء عشرة آلاف رجل"[3].

لم تقتصر سياسة الدولة العباسية على الرسائل المتبادلة مع البيزنطيين، بل شهدت خلال عهد المكتفي بالله علاقات خارجية مع الأميرة برتا بنت الأوتاري ملكة الفرنجة، فكتبت الأميرة كتابًا سنة(293هـ) أرسلته بيد خادمها إلى المكتفي بالله وكانت رسالة سرية موجهة بصورة شخصية إلى الخليفة، وأرسل معه الكثير من الهدايا الغالية والنادرة، وهدفها كسب مودّة الخليفة، وتعقد معه التحالف ضد البيزنطيين، وكشفت عن حجم النفع الذي ستناله إزاء تحالفه معها، وأبدت نيتها في تعزيز العلاقات السياسية بينهم، وقد مهدت أيضًا بإرجاع الأسرى المسلمين، وذهب ابن الزبير أن مقصد الرسالة

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 241/9-243.

(2) الشاكرية: هو العامل الأجير، وهو مصطلح مأخوذ من الأجر الذي تأخذه الجارية على شكرها. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة شكر، وشاع هذا المصطلح حين غلب الأتراك على الحكم.

(3) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 241/9. ابن الأثير،الكامل في التأريخ،575/5.

هو لرغبتها الزواج من الخليفة، ونورد نصًا من رسالتها[1]:"**بسم الله الرحمن الرحيم، حفظك الله بسلطانه أيّها الملك، الجيد العهد، القوي السلطان، من كل أعدائك، وثبت لك ملكك، وأدام سلامتك في بدنك ونفسك منذ الآن إلى الأبد، أنا برتا بنت الأوتاري الملكة على جميع الفرنجيّين، أقرأ ياسيدي الملك عليك السلام، وأنه جرت بيني وبين ملك إفريقية صداقة؛ لأني لم أكن أتوهّم أن ملكًا يكون فوقه يملك الأرض إلى هذه الغاية، إن مراكبي كانت قد خرجت، فأخذت مراكب ملك إفريقيا وكان رئيسها خادمًا لهن يقال له علي، فأسرته ومئة وخمسين رجلًا كانوا معه في ثلاثة مراكب، وبقوا في ملكي سبع سنين، ووجدتهُ عاقلًا فهمًا، فأعلمني أنك ملك على جميع الملوك، وقد صار إلى مملكتي خلق كثير، فلم يصدقني منهم عنك إلا هذا الخادم الذي يحمل إليك كتابي هذا، وقد بعثت معه هدايا،...، وهي: خمسون سيفًا، وخمسون ترساً، وخمسون رمحًا فرنجية، وعشرون ثوبًا منسوجة بالذهب، وعشرون خادما، وعشرون جارية، وعشرة أكلب كبار لاتطيقها السباع، وسبعة بزاة، وسبعة صقورة، ومضرب حرير بجميع آلاته،... ،فإني متوقعة لموافاته، وقد حملته سرًّا يقوله لك إذا رأى وجهك وسمع كلامك، ليكون هذا السر بيننا، لا أحب أن يقف عليه أحد غيرك وغيري وغير هذا الخادم ، وكبت الله عدوك، وجعله وطءَ قدمك، والسلام**".

إنَّ كتاب الأميرة برتا المرسل للخليفة المكتفي بالله، يُعبّر بشكل أو بآخر عن قوة الدولة العباسية في عهدهِ، وسياسيته المتفتحة تجاه الدويلات الأجنبية المسالمة، ومن خلال إيراد ألفاظ التعظيم والتبجيل التي وردت في رسالتها، تظهر لنا مدى رغبتها في عقد التحالف معه لضمان الحماية والقوة والنفوذ لدولتها، ويعطينا انطباع عن حجم الدولة العباسية وقوتها آنذاك، وبالمقابل في بيان هذا الأثر السياسي الذي أوجد لنا هذه الرسائل التي عبرت عن قوتها في كونها وسيلة للتواصل بين الملوك وكشفت لنا أيضًا مدى مساهمتها في حل المشكلات وتقريب وجهات النظر وعقد التحالفات، ومن خلالها تكشف نوايا المرسل وشخصيته.

---

(1) ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ط1، دائرة التراث العربي للمطبوعات والنشر،1959م، ص48-51.

ثُمَّ يرسل المكتفي بالله خطابًا ردًا على كتاب الملكة برتا، كتبه وزيره العباس بن الحسن الأصفهاني، إذ يقول فيه[1]: "**بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله المتوحد بملكه، اللطيف بعباده، قاسم شيم الفضل بينهم، وباسط يد الطول والإنعام عليهم، قسم لأمير المؤمنين ما اختصه به من خلافته، وأصار إليه من وراثة سلطانه، أشرف أخلاق المكارم وأبسق منازلها، وجعل العدل والفضل يكتنفانه في كلِّ سبيل يلتحقها، وعادة اللّين والمخشنة معهودة منه في حالتي وجوبها ليحتَوي على الشرف الأعلى عادلاً وفاضلاً، ويشتمل على الكرم الأذكى مانعاً وباذلاً، ويفوز بالخلق الأنقى قابضاً وباسطاً، الله حميد مجيد،...،وقد أدى الخادم السر الذي ذكرت إيداعك إياه، ويحمل في جوابه ما يؤديه بإذن الله، والسلام على من اتبع الهدى**"

وبناءً على ما ذكر في الكتاب أعلاه، يتضحُ أن أظهر المكتفي بالله موافقته على أغلب متطلبات الأميرة برتا، وبالأخص موضوع طلب الهدنة والأمان والتحالف، وتفدّي الأسرى، ودليل ذلك حثّ الملكة على الإسراع في الرد على كتابه بناءً على مقتضيات المصلحة العامة، وأنه وجد في تحالفه معها فرصة مناسبة ليدعم صراعه ضد البيزنطيين، فأمر المكتفي وزيره العباس بن الحسن الكاتب الأصفهاني بصياغة رد الخليفة.

2.1 الحياة الاجتماعية

تعدُّ المنظومة السياسية متلازمة مع المنظومة الاجتماعية في أي دولة، فالمنظومتان لا تنفصلان عن بعضهما، فكلٌّ منهما يؤثر في الآخر، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لكن الملاحظ على الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني لم تعكس الحياة الاجتماعية في ذلك العصر بالطريقة المباشرة كما عكست الحياة السياسية، وذلك يعود إلى طبيعة تلك الرسائل التي تتسم بالرسمية التي تبتعد قليلا عن تفاصيل الحياة الاجتماعية، وقد يكون السبب أن أصحاب تلك الرسائل أنهم كانوا يبتعدون عن إظهار الحياة الاجتماعية في مراسلاتهم، كونها تعج بكثير من الانتقادات التي توجه إلى المنظومة السياسية التي أوصلت مجتمع الدولة العباسية في ذلك

(1) ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ص54-58.

العصر إلى أدنى مستويات المعيشة خاصة تلك الطبقة الوسطى والفقيرة، أو ما يسمى بعامة الشعب، لذلك كانت الرسائل الديوانية التي تحمل المضامين الاجتماعية قليلة مقارنة بالمضامين السياسية.

1.2.1 النظام الإجتماعي

عرفت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الثاني بالتنوع والتعدد بين فئات المجتمع، وظهر تفاوت بين طبقات المجمتع، وقد أثر ذلك على الحياة الاجتماعية، فأصبحت الحياة صعبة وليست بسيطة كما كانت عليه من قبل، فقد جاء كل قوم بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ومبادئهم المختلفة، ولم تكن النظرة للخلافة وللدين عند كل هؤلاء واحدة، ويذكر أحمد أمين في ذلك حيث قال: "إن الأمم، وإن اتخذت ديناً فكل أمة يختلف نظرها في تفاصيل دينها عن الأمم الأخرى، وهي تنظر إلى الدين من خلال تاريخها، ونظمها الاجتماعية، من خلال أديانها المتعاقبة، ومن خلال لغاتها وتقاليدها، ومن خلال ثقافتها وتربيتها"[(1)].

ويشير إلى ذلك شوقي ضيف حيث يقسِّم المجتمع العباسي الثاني إلى ثلاث طبقات: "طبقة عليا تشتمل على الخلفاء والوزراء والقواد ومن يلحق بهم من الأمراء وكبار رجال الدولة وكبار التجار وأصحاب الإقطاع من الأعيان وذوي اليسار، وطبقة وسطى تشتمل على رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار والصناع الممتازين، وطبقة أخيرة دنيا تشتمل على العامة من الزَّراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق"[(2)]، فكانت الطبقة العليا هم الذين يعيشون في نعيم الدنيا وملذاتها، بينما الطبقات الأخرى يعيشون حياة الفقر والعوز وبالأخص الطبقة الدنيا، والتي يقع عليها ثقل العمل في الزراعة والصناعة وفي خدمة أرباب القصور، وتعمل في الإقطاع والضياع، وهي التي تقوم على تقديم سبل الحياة للطبقة العليا والوسطى ، فكل مايصل

(1) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، القاهرة، دار الكتب العلمية، 2010م، 383/1.

(2) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص53.

لهم من نعيم وثراء هو بسبب جهود هذه الطبقة، التي لاتجني سوى الضنك والبؤس والشقاء[1] .

ويذكر جرجي زيدان في هذا الصدد أن العصر العباسي ظهرت فيه طبقات اجتماعية مختلفة، منها طبقة خاصة وأخرى عامة، وقسَّم الطبقة الخاصة خمس طبقات:الخليفة، وأهله، ورجال دولته، وأرباب البيوتات[2]، وتوابع الخاصة (الجند،الأعوان، الموالي، الخدم)، أما الطبقات العامة: فهم يمثلون الطبقة الأكبر عددًا، لأنهم مجموعة من أمم متنوعة، ولاسيما في عاصمة الخلافة بغداد، وسامراء بعد أن نُقلت الخلافة فيها جرّاء الزخم السكاني بسبب كثرة دخول الرقيق التركي، فقد كان يمثل هذه الطبقة المرتزقون والمحترفون الذين أتوا من أطراف البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، بين صانع وبائع وفيهم العربي والنبطي والفارسي والتركي والخراساني والسندي والرومي والأرمني والكردي والقبطي والبربري والزنجي، فهم أصحاب مهن راقية وتجّار سلع من الأقمشة والجواهر والرقيق، إضافة إلى الأدباء والكتّاب والشعراء والحكماء[3].

ويقسِّم أيضًا الطبقة العامة إلى طبقتين كبيرتين: الأولى طبقة المقربين من الخاصة، وهم أربع فئات (الفنون الجميلة ويسمونها العرب الآداب الرفيعة التصوير من خلال الرسم وقد يكون بعضها خيالية وأحيانًا حقيقة، والشعر، والموسيقى، والعلماء والفقهاء والأدباء، والتجار، والصناع)، والطبقة الثانية وهم سائر من تبقى من الأمة، وقسَّمهم إلى قسمين وهم: أهل القرى المزارعون، وأهل المدن وهم الصناع والباعة، وأصحاب الحرف اليدوية المختلفة، الحدادين والنجارين والخياطين والحلاقين والصيادين وباقي الحرف، أما الرعاع فهم السرّاق الذين يرتزقون من النهب واللصوصية، وبسبب الاضطرابات السياسية التي أصابت الدولة العباسية في العصر

---

(1) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص62.

(2) أرباب البيوتات: فهم الأشراف من غير الهاشمين، ومرجع شرفهم إلى اتصال حب قرباهم بالنسب النبوي أو بقريش، فكانوا الخلفاء يراعونهم ويفرضون لهم الأعطية والرواتب. زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج5، دار الهلال، 1973م، ص28.

(3) زيدان، جرجي، تأريخ التمدن الإسلامي، ص38.

الثاني وتخلخل السلطة جرّاء النفوذ التركي، أدّت إلى سيطرة الترك على الجوانب الإقتصادية واستيلائهم على مصالح الدولة وأصبح همهم الوحيد جمع المال لأنفسهم والتنافس والصراع على السلطة[1]، ومن ثّمَّ يودّي هذا الاضطراب إلى تهديد الاستقرار الاجتماعي المرتبط بالاستقرار السياسي .

وقد تعددت العناصر العرقية في المجتمع العباسي، نتيجة للفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة، إضافة إلى استقدام الخلفاء للعناصر غير العربية من أجل خدمتهم، ومعرفتهم بالشؤون الإدارية التي يحتاجها الخلفاء، وفي بعض الأحيان كان استقدامهم لحماية حكمهم، ومن العناصر التي تغلغلت في المجتمع العباسي كما يذكرها خفاجي هي[2]:

1-العنصر العربي: الدولة العباسية دولة إسلامية أكثر طبقاتها تشتمل على العنصر العربي، لكن بسبب الخلافات والصراعات الداخلية وضعف الخلافة أمام التدخلات الخارجية والداخلية، أدى إلى زعزعت الوضع السياسي الحاكم، ممّا جعلهم يبتعدون عن السيطرة والنفوذ في الدولة والخلافة وكان سبب ذلك هو الخليفة المعتصم بعد تقريب الرقيق له وجعلهم قادة وأمراء، فالعنصر العربي تركز نفوذه على الشام والجزيزة، وطابع العربي الزهو والاعتزاز بالنفس والرغبة في السيادة.

2-العنصر الفارسي: ويذكر أنهم كانوا عماد النظام السياسي والإداري في الدولة حتى نكبهم الخلفاء العباسيون الرشيد وابنه المأمون بمساعدة العنصر التركي.

3-العنصر التركي: وكان لهم النفوذ السياسي في الدولة، وقضوا على سلطان الفرس والعرب على حدٍّ سواء، ويحملون أخلاق اجتماعية ضعيفة ويتعاملون بخشونة مع الناس وحمل بعضهم على العبث بالأخلاق[3] ، وكانوا يتمتعون بالجمال والنظافة

---

(1) زيدان، جرجي، تأريخ التمدن الإسلامي، ص52.

(2) خفاجي، عبدالمنعم ، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل للطباعة، بيروت، ط1،1992م، ص28. خفاجي، محمد عبدالمنعم، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار العهد الجديد للطباعة، ط1، القاهرة، 1954م، ص16.

(3) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ج1، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1946م، ص32.

فكثرنَّ الجواري الأتراك في بلاط الخلفاء وقصور الأمراء والأثرياء،حتى وصل الحال بهنَّ ليصبحنَّ أمهاتٍ للخلفاء[1]، ويذكر السيوطي أن المعتصم هو أول من استعان بالترك، وأدخلهم معترك الحياة السياسية والعسكرية، فيقول: إن المعتصم " اعتنى باقتناء الترك، فبعث إلى سمرقند[2] وفرغانة[3]والنواحي في شرائهم، وبذل فيهم الأموال، وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب، فكانوا يطردون خيلهم في بغداد، ويؤذون الناس، وضاقت بهم البلاد، فاجتمع إليه أهل بغداد، وقالوا: إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك"[4]. وبدأت ملامح العنصر التركي تظهر في مكونات المجتمع العباسي عندما جمع المعتصم (ت227هـ/842م) الغلمان الأتراك من سمرقند وفرغانة، وأعطاهم العديد من الأموال، وألبسهم الديباج والذهب، واستمر في شرائهم حتى بلغ عددهم ثمانية عشر ألفًا[5].

4-العنصر الرومي: وهذا العنصر وفد إلى الدولة من خلال الحروب، أي أنهم دخلوا أسرى أرِقّاء، ومن هذا العنصر على سبيل المثال الشاعر ابن الرومي.

5-العنصر الزنجي: وكانوا يُجلبون من شرق إفريقيا، وكانوا يعملون في الزراعة والصناعة، وفي بيوت الطبقة المتوسطة، ومن مظاهر خطرهم على سبيل المثال ثورة الزنج.

---

(1) خفاجي، محمد عبدالمنعم، الأدب العربي وتأريخيه في العصرين الأموي والعباسي، دار الجيل، بيروت، ط1 ،1990م، ص26-29.

(2) سمرقند: بلدة مشهورة، ويقال لها سُمران،وتقع في بلاد ماوراء النهر،يُنظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، معجم البلدان، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995م، ص246.

(3) فرغانة: مدينة في بلاد ما وراء النهر، وهي بالقرب من تركستان، يُنظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، معجم البلدان، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995، ص253.

(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص381

(5) أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبدالله، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، دار الكتب، (د.ت)، 233/2.

ومن بين ماتقدَّم نلحظ أن تعدد الأعراق وتنوع الأجناس كان في بعضه نقمة على الدولة العباسية، خاصة وأن الخلفاء اعتمدوا على الموالي[1] في حماية ملكهم، فاشتد ساعدهم وقويت شوكتهم، وأصبح لهم الكلمة العليا، واستغل الموالي ضعف الخلفاء، لأنهم يعلمون أنهم أصحاب قوة ونفوذ، لذلك وجدنا الخلفاء يغدقون عليهم بالأموال والمناصب، فكانوا من الطبقة الاجتماعية التي لها مكانة مرموقة.

2.2.1 مظاهر الترف والبؤس وصعوبة العيش

أدى امتزاج الحضارات والثقافات إلى تطور واضح في مجالات العلوم والصناعة والزراعة، إضافة إلى المساحات الواسعة من الأراضي التي دخلت تحت سلطان الدولة العباسية، وما تدرُّ على الخزينة من أموال وفيرة، إزاء ذلك عاشت الدولة العباسية برخاء اقتصادي، وهذا الرخاء الذي شهده العصر العباسي لم تكن توزع فيه واردته بعدالة بين الرعية، بل كان حقًّا للمتنفذين وأصحاب السلطة، وقد أورد خفاجي "أن متوسط الضرائب في منتصف القرن الثالث الهجري، بلغت ثلاثمائة مليون درهم"[2].

وإنَّ هذه الثروة الكبيرة التي تأتي جرّاء فرض الضرائب لم تكن تُقسَّم تقسيمًا عادلًا ولامتقاربًا، بل كانت تعطى أُناس دون آخرين؛ فقد "انتشر نظام إقطاع الأرض مكافأة أو هبة للمقربين لدى الخلفاء والوزراء، وكان كبار الملاك يستقلون بإقطاعاتهم دون اهتمام بتحسين حالة الناس، وعمَّت المصادرة وانتشرت بين طبقات الناس، وأصبحت بتوالي الأيام المصدر الرئيس لبيت المال، وأنشئ لها ديوان مخصوص"[3]، لقد كان

---

(1) الموالي: لفظ يطلق على الأقوام من غير العرب،وهم الأعاجم الذين دخلوا الإسلام، والحقوا بقبائل العرب، وهم إما يكونوا أسرى حرب استرقوا ثم أعتقوا، فصاروا موالي،أو من أهل البلاد المفتوحة، وعندما يسلمون ينضمون إلى العرب، ويدخلون في خدمتهم، ويتحالفون معهم كي يعتزوا بقوتهم، بذلك يصبحون موالي بالحلف والموالاة.النجار، محمد الطيب، الموالي في العصر الأموي ، القاهرة، دار النيل للطباعة، (د.ت)، ص14.

(2) خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، ص26.

(3) خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، ص26.

للحالة الاقتصادية الدور الأكبر في خلق مجتمعي طبقي، يتمايز فيه الناس على ما يملكون من نفوذ وأموال وسلطة ويعيشون في نعيم مفرط، وآخرين في بؤس مفرط.

إنَّ طبقة الخلفاء ومن يلوذ بهم من الأدباء والعلماء، وبعض التجار يعيشون بترف ونعيم، بينما البؤس والشقاء والفقر والعوز يشمل أكثر الناس، وحتى الغني منهم في أحيان كثيرة غير محصن، فهو عرضه لغضب السلطان الأعلى، فيصادورن أموالهم، ويصبح حالهم أشد بؤسًا[1] .

ونلحظ مظاهر الترف حتى في قصور الخلافة العباسية وأمتازت بأنها كبيرة وواسعة، ومترفة وفيها مغالاة في بنائها وتصميمها، فتعددت الأبنية لدى الخلفاء، وظهر الترف وانتشرت ظاهرة الإسراف في بناء قصورهم والمباني الضخمة، وكذلك كثر الخدم والرقيق في قصورهم، وفي ذلك يقول الخطيب البغدادي أن قصر المقتدر بالله الذي تولى الخلافة ما بين (295هـ-320هـ)، كان يحتوي على أحد عشر ألف خادم[2]، وكانوا الخلفاء العباسون يعلو كل خليفة ماقبله درجة أو درجات في الترف والنعيم والإمعان في فنون الحضارة، والأثرياء يشبهونهم في ذلك على قدر إمكاناتهم المادية، سائرون على حكم زمانهم[3].

وما يدل على ما وصل إليه بذخ الخلفاء أنهم كانوا يغدقون على القيان والمغنين، ويربون في قصورهم السباع والكلاب، ويقيمون الملاهي، فيذكر الطبري أنه "في سنة 255هـ أمر المهتدي بإخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامراء، ونفيهم منها إلى بغداد، بعد أمر كان قد تقدم من قبيحة في ذلك قبل أن ينزل بابنها ما نزل، وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد الكلاب وإبطال الملاهي ورد المظالم"[4].

وكان من مظاهر الترف في هذا العصر-كما أسلفنا في المبحث السابق- كثرة الرقيق حتى امتلأت بهم القصور، فكثر نسل الجواري واختلطت الدماء، وأشاعت هؤلاء

---

(1) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ص98.

(2) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ص100.

(3) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ص102.

(4) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 406/9.

الجواري فن الغناء، كما نشرنَّ اللهو والمجون بين شتى الطبقات[1]، ونلحظ أن سيطرة الرقيق التركي كان له أثر كبير في الحياة الاجتماعية، مثلما أثر الفرس على طبقة هذا المجتمع سابقًا، فانتشرت الثقافات والعادات والتقاليد التركية، حتى وصل بهم إلى تبوّأ مناصب رفيعة في الدولة[2] .

لكن على الرغم من انتشار مظاهر الترف لدى الخلفاء، نلحظ أن هناك من عمَدَ منهم إلى تركها، فنجد أن الخليفة المهتدي بالله عندما تولّى الخلافة من (255هـ-256هـ)، جنح إلى الزهد وحرّم شرب الخمر ونهى عن القِيان، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وقرب العلماء، وعلت في عهدهِ منزلة الفقهاء، وحسنت معاملته مع الطالبيين، وغيّرَ من اللباس والفرش والمأكل والمشرب، وأمر بإخراج الأواني الذهب والفضة وأمر بتحويلها إلى دنانير ودراهم، لكن هذا الأمر أزعج بعض العامة والخاصة وأخذوا يستغربون من أفعالهِ، ولم يطاوعهُ الناس وسئموا منه فتعاونوا على قتلهِ[3] .

ولما كان المال كثيرًا، والترف بلغ أقصاهُ في قصور الخلافة وقصور الأمراء والخاصة، فكان بقية الناس من العامة يعيشون في بؤس وفقر وعوز، وفرض أخذ الجزية والخراج الذي أثقل كاهلهم، وهذه الأموال تذهب إلى بيت المال الذي يسيطر عليه الخلفاء[4] ، فنلحظ أنه بجانب الترف الشديد، نجد فقرًا شديدًا واقعًا فيه العلماء والأدباء وباقي الفئات من العامة ممن لم يتصلوا بالخلفاء والأمراء وخاصتهم.

ويبدو أن أسباب هذا الفقر هو سوء إدارة الدولة لنظامها المالي وغياب التخطيط الاقتصادي، الذي أفضى إلى هذا الحال من الجوع وضعف الإمكانات المادية للفرد، وفي ذلك يقول أحمد أمين:إنَّ نفقات البلاط العباسي قد بلغت حدًا لايطاق من الإسراف والبذخ وصنوف الترف، وجباية الخراج، وسائر الضرائب تباع لأشخاص على سبيل الالتزام، فيتعسفون بالناس حتى يبتزوا منهم أضعاف مادفعوا، واختلال القضاء وتفشي الرشوة، والجيش منقسم إلى شُعَب مختلفة من ترك وديلم ومغاربة وغيرهم، وكل فرقة

---

(1) خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب العربي وتأريخيه، ص30.

(2) خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب العربي وتأريخيه، ص30.

(3) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ص103.

(4) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ص114.

تميل إلى جنسها، وتخفي العداء لغيرها، والسلطة مضطربة وقلقة وتحاول إرضاء هذا وذاك بغية المحافظة على مناصبها، فاليوم يولى وزير وغدًا يُعزل وتُصادر أمواله، ولكل وزير حاشية وأعوان يميلون إليه ويحظى بدعمهم، وحتى هذه الفئة شملهم تسلط السلطة الحاكمة فكان إذا عُزل وزيرهم صودرت أملاكهم وأموالهم[1].

ثمَّ نلحظ من سوء التنظيم المالي والإقتصادي، انتشار ظاهرة التسول والكدية، فالمكدون قد تفننوا في سبيل كسب رغيف العيش من طريق الأدب أحيانًا، والنصب والاحتيال أحيانًا أخرى[2] ، ويذكر أحمد الشعراوي في ذلك، قائلًا: قد شهد العصر العباسي الثاني ظاهرة الاحتيال والعيش على الكدية، فظهرت أصناف كثيرة منهم، وهم طائفة من الناس غرّتهم الحياة فلم يستهينوا بها، ولم يستكينوا لها، واستعانوا بأساليب متنوعة من الدهاء الخسيس الخبيث، وانتشروا في كل ناحية، وعرفوا بالمجتمع بأهل الكدية، فقد تفننوا في احتيال كسبهم باستعمالهم العلل والعاهات وانقطاع السبيل أو من خلال الوعظ والإرشاد واستغلال الناس[3].

على أثر ذلك أيضًا ظهرت مظاهر أخرى بالمجتمع، وهي انتشار ظاهرة التصوف، ويقول إزاء ذلك أحمد أمين:"إنَّ الفشل بالحياة قد يسلم صاحبه إلى الزهد، وإقناع النفس بأن نعيم الدنيا زائل، وإذا حُرِمَ الدنيا فيطلب الآخرة"[4].

ويتضح مما سبق أن ظهور هذه الفئات في المجتمع يعود إلى الظلم الاجتماعي الذي تمارسهُ الطبقة الحاكمة على الطبقة المحكومة، وأيضًا الفساد المالي الذي أودى إلى فقر الناس، وكذلك الاضطرابات السياسية وكثرة الثورات والفتن والأزمات التي يكون سببها الجوع والفقر والظلم الواقع عليهم، وتعدُّ ثورة الزنج مثالًا حيّا على ذلك، ويشير إلى ذلك عبد العزيز الدوري، فيقول:"لم تكن ثورة الزنج إلا ثورة طبقية محدودة

---

(1) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ص120.

(2) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ص142.

(3) الشعراوي، أحمد، الأدب العربي وتأريخيه في العصر العباسي الثاني، ص42.

(4) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ص121.

الأفق، تستهدف تحرير الرقيق من الزنوج فقط، وهي تمثل لنا أول صرخة إجتماعية خطرة في العصر العباسي الثاني ضد النظام الإجتماعي والاقتصادي السائد"[1] .

وبالتزامن مع مرور هذه الأحداث التي أثرت على حياة المجتمع العباسي اقتصاديًا، أرهق العامة غلاء الأسعار، وصعوبة المعيشة بشكل خاص على عامة الناس، تلك الطبقة الكادحة، ففي سنة 260هـ كما يذكر الطبري "وفي هذه السنة اشتد الغلاء في عامة بلاد الإسلام، فانجلى عن مكة من شدة الغلاء من كان بها مجاورًا إلى المدينة وغيرها من البلدان، ورحل عنها العامل الذي كان بها مقيمًا، وارتفع السعر ببغداد، فبلغ الكر[2] الشعير عشرين ومائة دينار، والحنطة خمسين ومائة، ودام ذلك شهورا"[3].

وأثناء خلافة المقتدر بالله سنة 308هـ، انتفض العامة من الغلاء الشديد، حتى قاموا بتكسير المنابر، وقطعوا الصلاة، وأحرقوا الجسور، ونهبوا ديار الروم، ممّا دعا المقتدر بالله أن يأمر وزيره حامد بن العباس؛ لكي يبيع الغلات التي يمتلكها ويعطيها للعامة، وأنقص في كل كر خمسة دنانير، ولم يكفِ العامة ذلك ويسد رمق جوعهم، ممّا جعلهم يذهبون إلى دار الخليفة، وحدث قتال بين العامة وغلمانه استمر لأيام وراح إزاء هذا القتال الكثير، ثم اشتد البلاء وزاد الغلاء[4].

وفي خلافة الراضي بالله سنة324هـ، اشتد الغلاء في بغداد، ومات خلق كثير من شدة الجوع، وأكثرهم كانوا من الضعفاء، والموتى يُرمون في الشوارع ، ليس هناك من يغسلهم ويكفنهم أو يتكفل بهم، وعجز الناس عن دفنهم لغلاء المعيشة، حتى أصبحوا

---

(1) الدوري، عبدالعزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، شركة الرابطة للطبع والنشر، مطبعة السريان ، بغداد، 1954، ص21.

(2) الكر: مكيال في العراق، مقداره ستون قفيزًا.ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت،(د.ت)، ص137.

(3) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 510/9. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، البداية والنهاية، ج1، بيت الأفكار الدولية، 2004م، ص1711. و– ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص350.

(4) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن، المنتظم في التاريخ، ج13، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص194. و–ابن العماد، الإمام شهاب الدين، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط1، مجلد الرابع، دار ابن كثير، دمشق، 1989م، ص38.

يُحملون على الجنازة الواحدة اثنان من الموتى، وكانوا يضطرون أحيانًا لعمل حفرة موسعة لدفن الموتى على شكل مجموعة[1].

وبلغت أزمة ارتفاع الأسعار ذروتها في خلافة المتقي سنة 330هـ، وانتشرت الأمراض الوبائية والإنتقالية، ممّا جعل الناس يضطرون إلى أكل الجيف[2]، وأمتد الجوع والعطش حتى سنة333هـ، بشكل لم يسبق له مثيل، ممّا جعل النساء تخرج في الشوارع ويصرخنَّ الجوع الجوع حتى يمتن[3].

3.2.1 تذمر المجتمع من سيطرة النفوذ التركي

أصاب الناس الإحباط من سوء الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي حالت بهم دون العيش الرغيد بسبب سيطرة الأتراك، فعمدوا على الخلاص منهم ومن نفوذهم، وبما أن أغلب خلفاء هذا العصر كانوا خاضعين محكومين من الأتراك الذين ساعدوهم وأوصلوهم للحكم، فكان يطغى على أغلبهم الضعف أمام الترك، ومقابل هذا الضعف نجد هناك خلفاء أمتنعوا عن الانصياع للترك، فحاولوا القضاء على سلطانهم، ونشأت وقويت تلك الفكرة عند الخليفة المهتدي، فقد كان قويًا شجاعًا، جاعلًا من الخليفة عمر بن الخطاب(رض) مثالاً يُحتذى به، فظنَّ بإمكانهِ التغلب والخلاص من الترك، وأنَّ الشعب راغبٌ بذلك، لكنهُ لم ينجح [4]، أما عامة المجتمع فقد سئموا من الإتيان بخلفاء مقودين يقودهم الترك منفذين لطلباتهم وغير مبالين بما يحصل في المجتمع من انتشار الجوع والعوز والحرمان والفسق والفساد، ومارسَ الترك شتى الأفعال التي لا تمت للإنسانية بأيِّ صلة تجاه الناس، فقاموا بأفعال أدَّت إلى نفور المجتمع منهم، ومنها:

---

(1) ابن الأثير، البداية والنهاية، ص1712.

(2) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص167.و- يُنظر: العامري، العلامة يحيى بن أبي بكر بن محمد، غربال الزمان في وفيات الأعيان، تحقيق وتصحيح وتعليق، محمد ناجي، وإشراف عبدالرحمن، مطبعة زين بن ثابت، دمشق، 1968م، ص292.

(3) العامري، العلامة يحيى بن أبي بكر بن محمد، غربال الزمان في وفيات الأعيان، ص292.

(4) أمين، أحمد، ظهر الإسلام،ج1، ص23.

المصادرات:

انتشر في عهد النفوذ التركي ظاهرة مصادرة أموال الناس، وكان من مصائب الدنيا أن يصبح الإنسان غنيًا، حتى وصل بهم الحال لمصادرة أموال الكتّاب والأمراء وكبار الشخصيات، وهكذا استمر الترك في مصادرة الأموال تنفيذًا لرغباتهم وشهواتهم الشخصية، أو يلجأ إليها الخليفة ليرضي القادة الترك، ولم تقتصر مصادرتهم على العامة بل شملت حتى الفئات الخاصة، فقبيحة أم المعتز زوجة المتوكل لم تسلم منهم فصودرت أموالها التي كانت تخفيها[1] .

أثرت ظاهرة المصادرات في العصر العباسي الثاني على المجتمع بصورة عامة وعلى العلاقات بين السلطة والأفراد بصورة خاصة، فانعدمت الثقة بين الناس وازداد الفقر والعوز والبطالة، وقلة رغبة الناس في العمل درءًا لمصادرة أموالهم، ولشعورهم بالجورِ والظلم، حتى دفعهم إلى الهروب بأموالهم، حتى وصل الحال بالعامة إلى القيام بثورات لدواعٍ اجتماعية واقتصادية[2].

وشملت المصادرات أموال الكتّاب وليس فقط أموال الوزراء والولاة، وذلك لأهمية الكتّاب الكبيرة في النظام الإداري، وقد شددت الرقابة عليهم، وجاءت مصادرة أموالهم لأسباب سياسية وأخرى لسد العجز المالي، بعد أن أصبح الكتّاب يمتلكون أموالًا طائلة أدت إلى ثرائهم، فأخذوا يُصادورن تلك الأموال حتى صودرت أموال العديد من الكتاب أمثال:(دليل بن يعقوب كاتب باغر في خلافة المستعين سنة251هـ، الحسن بن مخلد كاتب المعتز سنة 255هـ، وأبو نوح عيسى بن إبراهيم كاتب قبيحة أم المعتز سنة 255هـ، وأبو الحسن محمد بن أحمد كاتب بدر الحمامي سنة 305هـ، وكتّاب الخليفة المستكفي سنة 334هـ)، وقد تفاوتت تلك المصادرات من حيث قيمتها ونوعها، فنلحظ أنها شملت الأملاك من نقود وضياع ودور وغيرها، واختلافها من كاتب إلى آخر[3] .

---

(1) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، 35/1.

(2) شطناوي، محمد تركي، المصادرات في العصر العباسي (132-334هـ)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، أربد، 1994م، ص210.

(3) شطناوي، محمد تركي، المصادرات في العصر العباسي، ص135-140.

ويضاف إلى ذلك تذمر المجتمع من كثرة الرقيق التركي، باختلاف أشكاله وأنواعه، الذي قد تغلغل في حياتهم الإجتماعية، ومنهم أصبح جنودٌ وقادة تستعين بهم الدولة في حربها وسلمها وفي الصناعة والزراعة والأمور الحياتية كافة[1] .

نلحظ ممّا تقدّمَ أنّ تذمر المجتمع العربي في العصر العباسي الثاني من الوجود التركي كان واضحًا، فقد حاولوا التخلص من ذلك لكن الواقع كان أقوى منهم، فضجت العامة من تصرفات الأتراك وفسادهم في الحكم وحبهم للمال والعبث بالنساء، وأيضًا مشاركة العامة في الأشغال والأعمال التجارية الحرة، ومنافستهم مستغلين قربهم من بلاط الخلافة آنذاك.

ولاشك أن لهذا الاختلاط بين الترك والعرب في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الثاني كان شديد الأثر، حتى ظهرت لنا نتائج هذا الامتزاج بصورة جليّة واضحة في الأخلاق والعادات والتقاليد والعقول والأهم من ذلك تأثيره على الحياة الثقافية ودخول ثقافات دخيلة على العرب، فانتشرت العادات التركية في المجمتع كاللهو والترف والشراب والغلو في مآدبهم والتغزل بالغلمان وتفشي الرشوة والخلاعة في كل مفاصل الدولة ونظامها السياسي والاجتماعي، إذ كان للجواري والقيان والرقيق أثر في ذلك[2] .

مثلت لنا الحياة الاجتماعية مظاهر المجتمع وما طرأ عليه من أحداث ومواقف ومناسبات ظهرت في هذا العصر، وهذه الأحداث تتطلب تفاعلًا معها فالإنسان في أي زمان ومكان وثيق الصلة بالأحداث التي تحيط به، وهي أيضًا لها ارتباط بالسلطة الحاكمة والتي تحتاج إلى توطيد العلاقات الداخلية ومدّ أواصر المحبة والوّد بين السلطة والعامة لضمان استقرارها السياسي، وأثر تلك العلاقات في استقرار الحياة الاجتماعية وبالتالي أثرها في النتاج الأدبي، إذ وصف سعيد بن حميد الكاتب وجوب مساعدة الناس قبل زوال الجاه والمنصب، **قائلًا:**"..**أيام القدرة وإن طالت قصيرة،**

---

(1) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، 130/1.

(2) خفاجي، محمد عبد المنعم،الأدب العربي وتأريخه في العصرين الأموي والعباسي، ص34.

والمتعة بها وإن كثرت قليلة..."[1]، ويتضح من هذا القول مدى تأثير قضاء الحوائج ومساعدة الناس على استقرار الوضع السياسي، ومن هنا يمكن القول أن النتاج الأدبي بصفة عامة والنثر بصفة خاصة والرسائل الديوانية على وجهِ الخصوص، قد تأثرت بجوانب الحياة الاجتماعية ، حيث احتاجت الدولة لإصدارها لحل أزمة معينة أو قضاء حاجة أو تهنئة بالنصر أو التعزية أو غيرها من الموضوعات، وإن كانت بعض هذه الرسائل يظهر عليها الجانب الإخواني لكنها تتصف بصفة ديوانية كونها تصدر من الجهة العليا وتوجّه للعامة، فكان منهجي في اختيار الرسائل التي تفي موضوع الدراسة على هذا النحو، ولتأثيرها الكبير أهتمت الدولة العباسية بكتابة الرسائل في المناسبات المخصوصة ونشرها وإذاعتها على العامة، وقد عبرت عن لسان حال الدولة في معالجة هذه المواقف والأحداث وسوف نأتي على ذكر بعضها والوقوف على أحداثها والأسباب التي دعتهم لإصدارها.

اعتمدت الدولة في علاقاتها الداخلية على إصدار المخاطبات الرسمية بين العامة والسلطة الحاكمة، ولما كان للجند تأثير واضح على المجتمع برمتهِ لما يمثلون من ثقل اجتماعي وسياسي ودورهم المهم في استقرار الأمن المجتمعي، الذين يمثلون فئة مهمة من فئات المجتمع الكادحة، فلابد من مناصرتهم والموافقة على رغباتهم، وهذه العلاقات عبرت عن سياسة الدولة في المحافظة على الروابط الاجتماعية التي لها أبعاد سياسية، ومن الرسائل التي عبرت عن ذلك مانجدهُ في الكتاب الذي رفعه الجند الموالي للخليفة المهتدي بينوا فيه شكايتهم من ارتفاع الرسوم وعدم صرف مستحقاتهم وتذمرهم من التسلط التركي.

يذكر الطبري في كتابه وهو ينقل أخبار سنة (256هـ) شاع خبر تدبير موسى بن بُغا[2] وبايكباك[1] لخلع المهتدي من الخلافة قد انتشر بين العامة، فطلب الموالي من

---

(1) العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبدالله(ت395هـ)، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي وآخر، ج1، بيروت، 1966م، ص66.

(2) موسى بن بغا: هو أبن بغا الكبير التركي الذي كان قائدًا من قوّاد المتوكل، وموسى بن بغا اصبح قائد للجيش فأقبل إلى بغداد وسكن فيها، ثم في سنة 256هـ عمدَ إلى سامراء لقتل صالح

الخليفة أن يرسل إليهم أحد أخوته، مستثمرين هذا الحدث لمصلحتهم، فلما أرسل الخليفة أخيه أبي القاسم، أخبروه عن محاولة الأتراك لخلع الخليفة وأنهم على طاعة المهتدي ويقدمون أرواحهم ودماءهم دفاعا عنه "**فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمير المؤمنين، وأنه بلغهم أن موسى بن بغا وبايكباك وجماعة من قوّادهم يريدونه على الخلع، وأنهم يبذلون دماءهم دون ذلك**"[2]. ويظهر هذا الكتاب أن المَوالي لم يكن هدفهم الرئيس حماية الخلافة والدفاع عن الخليفة، بل كان هناك هدف آخر، إذ أراد المَوالي أن يستغلوا هذه الحادثة من أجل تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وكأنهم يلمحون أن حمايتهم ووقوفهم إلى جانب الخليفة مرتبط بتنفيذ مطالبهم، فبعد أن أخبروا أخا الخليفة بخطورة ما يخطط له الأتراك، وضعوا أمامه شكواهم من سوء حالتهم، واحتكار القواد للإقطاعات، تلك الشروط التي وضعوها بطريقة تنبئ عن فكر عميق للموالي،إذ قالوا في شكواهم: "**وشكوا مع ذلك سوء حالهم وتأخّر أرزاقهم، وما صار من الإقطاعات إلى قوادهم التي قد أجحفت بالضّياع والخراج، وما صار لكبرائهم من المعاون والزيادات من الرسوم القديمة، مع أرزاق النساء والدّخلاء الذين قد استغرقوا أكثر أموال الخراج، وكثر كلامهم في ذلك**"[3]. وقد كتبوا بذلك كتابا إلى الخليفة بعد أن طلب منهم أخوه أبو القاسم أن يكتبوه، وجاء في كتابهم:

"**إن الذي يسألون أن تردّ الأمور إلى أمير المؤمنين فى الخاصّ والعامّ، ولا يعترض عليه معترض، وأن تردّ رسومهم إلى ما كانت عليه أيام المستعين بالله، وأن يكون على كل تسعة منهم عريف، وعلى كل خمسين خليفة، وعلى كل مائة قائد، وأن تسقط أرزاق النساء والزيادات والمعاون ولا يدخل مولى في قبالة ولا غيرها، وأن**

بن وصيف القائد التركي. ينظر: الذهبي، الحافظ، العبر في خبر من غبر، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ص355، 366.

(1) بايكباك: هو من أكبر قوّاد الأتراك، وتزوج بايكباك والدة احمد بم طولون. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 250/6.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 443/9. صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 272/4.

(3) صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 272/4.

يوضع لهم العطاء في كل شهرين على ما لم يزل، وأن تبطل الإقطاعات، وأن يكون أمير المؤمنين يزيد من شاء ويرفع من شاء"[1]، فأخذ المهتدي كتابهم، ووقّع بإجابتهم إلى ما سألوا، ثم كتب كتابا مفردا خطه وختمه بخاتمه[2]. يظهر من خلال ما جاء في هذا الخبر ما كانت عليه الحياة العامة في عصر المهتدي، فقد كان القادة يمثلون فئة الدرجة الأولى في الطبقات الاجتماعية، فلهم الإقطاعات كما خصص لهم الزيادات، وهذا ما كان يزعج المَوالي الذين يجدون في أنفسهم أحقية بأن يرتقوا إلى طبقة القادة، فهم أيضا يحمون نظام الحكم وهم أحد دعائمه وديمومته.

والملحوظة الأبرز في كتاب المَوالي إلى المهتدي أن هناك طبقتين تتصارعان في اتخاذ المكان الأفضل، هما: بعض قادة الأتراك، والمَوالي، ونجد أن العنصر العربي يختفي من هذا المشهد، وهذا يدل على أنَّ الأجناس والأعراق غير العربية قد كان لها دورٌ كبيرٌ في النظام السياسي والاجتماعي للدولة العباسية في عصرها الثاني.

وما يظهر نفوذ الموالي ما اشترطوه في كتابهم إلى المهتدي، وكأنهم هم أصحاب السلطة والقوة، وإلا كيف يشترط الداخلون إلى جسد الدولة على خليفتها وولي أمرها، وهذا يظهر ضعف الخلافة آنذاك وسيطرة العنصر التركي والمَوالي في المجتمع العباسي، فذكروا في كتابهم بعض ما أوردوه في كتابهم الأول، ولكنهم أضافوا بأنهم لن يوافقوا على حماية الخلافة والدفاع عنها ومحاربة الترك إلا بتنفيذ الخليفة لخمسة توقيعات، وهي: توقيع بحطّ الزيادات، وتوقيع بردّ الإقطاعات، وتوقيع بإخراج الموالي البوّابين من الخاصّة إلى عداد البرّانيين[3]، وتوقيع بردّ الرسوم إلى ما كانت عليه أيام المستعين، وتوقيع بردّ التلاجئ[4]. فأمر المهتدي سليمان بن وهب بإنشاء الكتب على

---

(1)–يُنظر: صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 273/4.

(2) صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 274/4.

(3) البرّانيين:اي من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن قولهم ((من أصلح جوانبه أصلح الله برانيه))، والمقصود هنا الموالي الذين ليس لهم علاقة مباشرة مع الخليفة. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية،274/4.

(4) التلاجئ: جمع تلجئة، وهي أمراً باطنه يخالف ظاهره تفعله بالإكراه من الإلجاء. يُنظر:أبن منظور، جمال الدين، لسان العرب، 152/1.

ما سألوا في خمسة رقاع، فأنفذها المهتدي في درج كتاب منه بخطه، ودفعه إلى أخيه أبى القاسم"[1].**وهذا يدل على أمرين هما:**

الأول: أن الخليفة المهتدي كان يريد أن يستعطف الموالي في التخفيف مما طالبوه بتنفيذه، لذا أظهر قلة ما يملك من أموال، فقد اقتطع الأتراك من رواتبه الشهرية.

الثاني: أن ما وصل إليه حال الخليفة المهتدي يظهر ما آل إليه نفوذ الأتراك، حتى أنهم باتوا يتحكمون في أرزاق الخليفة، ولا يأبهون بمكانته وخلافته.

وإزاء هذه الأحداث، فقد عرف الفقر طريقه للطبقات الدنيا في المجتمع العباسي وهي طبقة العامة من الناس، ما دفعهم إلى طلب العطاء لسد الجوع، وانتشار ظاهرة اللصوصية كرد فعل طبيعي لحالة التخبط السياسي الذي كانت تعيشه الدولة العباسية آنذاك، فبعد توسع هذه الظاهرة وكثر قطاع الطرق، أخذت الدولة تتوجه صوب ذلك لمواجهة هؤلاء فعمدّت رغم ضعفها الاقتصادي إلى الاهتمام بالسجون والقيام عليها، لكبح جماح هؤلاء اللصوص، فضجت بهم السجون وأصبح السجن سلاحًا في قبضة الدولة والمتنفذين يستخدمونها للتخلص من الأعداء؛ بغية الحفاظ على سلطانهم، وكان للقضاء دور في استقرار الحياة الاجتماعية وفي القضاء على اللصوصية، فأصبح القضاء مؤسسة اجتماعية لها مساس مباشر بالمجتمع، فأرادت الدولة من خلال السجون والقضاء في استعادة هيبتها، وإبعاد القضاء عن السياسية كمؤسسة لها استقلالها الخاص، بعد تأثره بالأحداث السياسية والاجتماعية في هذا العصر جعلته يبتعد عن ممارسة صلاحيته[2]، حتى دعاهم ذلك إلى ابتداعهم منصب قاضي القضاة الذي يشبه وزير العدل في يومنا هذا، فأخذ يمارس دوره التشريعي والتنفيذي والقضاء في مظالم الناس والنظر في شكواهم إزاء القضايا السياسية والاجتماعية والمدنية والجنائية[3]، فبعد أن استعادت السلطة هيبتها ووضعت خطة للقضاء على هؤلاء اللصوص السرّاق، أصبحت تمارس الدولة سلطتها تجاه المجتمع فكثر الابتزاز واختراع الحجج والأسباب في القضاء على الأعداء؛ أي أنّها تمارس بشكل شخصي أو

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية،4/274-275.

(2) الالوسي، عادل، الرأي العام في القرن الثالث الهجري (198-295)، ص189.

(3) الالوسي، عادل، الرأي العام في القرن الثالث الهجري (198-295).

لمصالح السلطة الحاكمة، فكثر السجناء فكان منهم المظلومون والمجرمون، وأصبحوا يشكلون رأيًا عامًا ممّا جعل الفقهاء والعلماء والأدباء والكتّاب يتدخلون للمناصرتهم والاهتمام بأحوالهم ومراعاتهم[1]، وفي ذلك نذكر كتاب لسعيد بن عبد الملك كاتب المهتدي تدخل فيه لإطلاق سراح محبوس، يقول فيه:

"**معرفتي أنك لاتُجاوز في العقوبة سبِلَها من مواقع الأدب بالحق، تحملُني على مسألتك ما أنت مُوجبٌ له، والذّكرى تنفع المؤمنين، ولولا ذلك لأستغنى صاحِبُ كتابي عنه، فإن كان ذنبه صغيرًا، فالعقوبةُ تُخرجه من حبسهِ، وإن كنت تناهيتَ في حبسه إلى مدة ذَنبه، فالحقُ يُخرجه، وكتابي متقاضٍ لك**"[2].

نلحظ من ذلك أن الدولة العباسية أرادت بسط نفوذها بشتى الطرق ودون مراعاة لطبقات المجتمع المختلفة ، فأستخدمها السجون هو من أجل الحفاظ على سلطانها، وبالرغم من الضعف الإقتصادي أبدوا عناية كبيرة في السجون وإصلاحها ومنهم الخليفة المعتضد بالله الذي خصص لها في ميزانيتهِ ألف وخمسمائة دينار في الشهر، وجعل لهم ديواناً خاصًا بهم لكتابة قصصهم في دفاتر خاصة، وسمح لهم بتعلم المهن، ويذكر أن المعتز تعلم مهنة النسج وهو داخل السجن[3].

ومن ثمُّ نورد نموذجًا يتضح فيه أساليب الدولة العباسية في عصرها الثاني كيف كانت تتحكم حتى في مواريث الناس من العامة، فكثرت المصادرات في هذه الفترة حتى طالت طبقة الكتّاب، ممّا جعلهم يتذمرون من سوء هذا التصرف ودفعهم إلى التظاهر بالفقر بسبب ذلك، وفي هذا يأمر المقتدر كاتبهُ علي بن الفرات بإصدار كتاب يتضمن توجيهاً بإثبات عهدًا بأن لايتعرض لأحد في الميراث، وأثر ذلك في الرسائل أنه جعلها وسيلة لإعمام توجيههُ، وكما يذكر أحمد زكي صفوت:في سنة 311 توفي أحد أهم الكتاب وهو أحمد بن محمد بن خالد الكاتب والذي يعدُّ من مشايخهم وأحد كتّاب المقتدر، وخلَّفَ ورثة أحداثًا، فوصل خبر ورثته الكبيرة إلى المقتدر، فأمر التوكيل بخزانته والسيطرة على دارهِ، فذهب بعض الورثة إلى المحسن بن علي بن

---

(1) الالوسي، عادل، الرأي العام في القرن الثالث الهجري (198–295)، ص198–199.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 264/4.

(3) الالوسي، عادل، الرأي العام في القرن الثالث الهجري (198–295)، ص212.

الفرات، واتفقوا على مقدارٍ من المال مقابل إزالة التوكيل وحل الإعتقال، فكلم المحسن أباهُ الذي كان يشغل منصب وزير المقتدر في ذلك الوقت، فذهب أبوهُ إلى المقتدر فقال له: "**أن المعتضد والمكتفي قد كانا قطعا الدخول على الناس في المواريث، وأنا أرى لمولاي أن يحيي رسومهما، وأن يأمر بإثبات عهدًا ألا يتعرض لأحد في ميراث، فأجابه المقتدر في ذلك، إذ ظن أنها نصيحة منه إليه، فسلمت الدار إلى ورثة الكاتب، وأنشأ أبن الفرات كتابًا عن المقتدر في ذلك**"[1]، نسختهُ:

"**بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعدُ، فأن أمير المؤمنين المقتدر بالله يؤثر في الأمور كلها ماقرَّبه من الله عزوجل، واجتلب له جزيل مثوبته، وواسِعَ رحمته وحسنته، العائدةِ على كافة رعيته، كما جعل الله في طبعهِ، وأولج في بيته، من التعطف عليها، وإيصال المنافع إليها، وإبطال رسوم الجور التي كانت تُعاملُ بها، جاريًا مع أحكام الكتاب والسُّنة، عاملًا بالآثار عن الأفاضل من الأئمة، وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين، وإليه يفوِّض، وبه يستعين**"[2]، نلحظ من النص السابق أن الخليفة المقتدر أراد تحسين سمعته من خلال إحياء رسوم وعهود المعتضد والمكتفي في ذلك، وأيضًا أراد أيضًا كسب ودِّ العامة وأن تتجلى صورته أمام المجتمع بصورة الحاكم المراعي لحقوقهم، في مجتمع غلب عليه الفقر والعوز والحرمان في عهدهِ، مما جعله يوافق على ترك مواريث العامة، ويتضح كذلك حجم الفساد السياسي الذي أعترى بلاط الخلافة بسبب الضعف الاقتصادي, ممّا جعل وزيره يعمدَ إلى أخذ الرشوة مقابل تسوية هذا الموضوع.

وكما وضحت الدراسة سابقًا حول انتشار الفساد وتخلخل النظام الاجتماعي فقد كان سببه فساد الطبقة الحاكمة وسيطرة النفوذ التركي والضعف الإقتصادي، قد مما أدت هذه الظروف إلى تعرض المجتمع العباسي في عصره الثاني إلى تزعزع النظام الأخلاقي حتى وصل الفساد الأخلاقي داخل الأسّر الحاكمة الطبقة المترفة، ويتضح ذلك بصورة جليّة من خلال الأحداث والمواقف التي شهدها التأريخ وأظهر لنا تلك الخلافات الأسرية بين الأب والابن, أو بالعكس, أو بين الأخوة إزاء الحكم والسلطة،

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 354/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 354/4.

مما جعلهم يتقاتلون فيما بينهم، وسببه يعود إلى أبعاد سياسية وأبعاد اجتماعية بالنتيجة تؤثر على الرسائل الديوانية، مما يجعلهم يعتمدون عليها وجعلها وسيلتهم في تنفيذ غاياتهم ونواياهم، وتجسدت لنا تلك الخلافات فيما ذكرنا حول عزم المنتصر بالله على قتل أبيه المتوكل على الله بسبب خلافات شخصية وسياسية واجتماعية، ومافعله المنتصر بالله بأخويه المعتز والمؤيد، واستمرت الأوضاع على تلك الحالة حتى نهاية العصر العباسي، ونذكر مثالًا على ذلك ماحدث بين احمد بن طولون وابنه العاص عنه، عندما استقل ابن طولون بمصر وأصبح واليًا عليها في عهد المعتمد سنة 257هـ، ثُمَّ أراد أن يوسع نطاق ملكه فأغار على الشام، وفي أثناء غيابه عصى عليه ابنه العباس[1]، فلما سمع بذلك أبوه أمر كاتبه أن يصدر كتابًا موجهًا إلى الابن الظالم لنفسه والعاص لربه فيقول فيه:"**من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين[2] ، إلى الظالم لنفسه، والعاص لربه، المُلمِّ بذنبه، والمفسد لكسبه، والعادي لطوره[3] ، الجاهل لقدره، الناكص على عقبه**"[4]، **ويذكر ابن الأثير بهذا الشأن:"كان احمد بن طولون قد خرج إلى الشام واستخلف أبنه العباس على مصر، فلما أبعد عن مصر حسن للعباس جماعة كانوا عنده أقنعوه بأخذ الأموال وقصد إفريقيا، ففعل ذلك، فبلغ الخبر أبيه فعاد إليه، ...،فأمر أبوه بقتال العباس ومن معه فقتل خلق كثير من اصحابه وأخذ العباس أسيرا وحمل إلى أبيه، فحبسه في حجرة في داره**"[5].

عُرفَ في ديوان الرسائل في العصر العباسي الثاني ما نعرفه اليوم برسائل المجاملة، فكثيرًا ماكانت الدواوين تستلم أو تصدر كُتبًا تبدو في ظاهرها رسائل شخصية، أو في التهنئة أو التعزية أو الأعياد وماشابه ذلك، بيد أن في حقيقتها تكون

---

(1) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 171/4. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 317/4.

(2) أمير المؤمنين: يعنى المعتمد على الله. صفوت، أحمد ،جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 317/4.

(3) . صفوت، أحمد ،جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 317/4.

(4) صفوت، أحمد ، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 317/4.

(5) صفوت، أحمد ، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 317/4..

ذات صفة رسمية هدفها توطيد العلاقات بين مراكز الدولة والقوى السياسية وذوي النفوذ ومن عامة الناس وخاصتهم ومع الأدباء والعلماء، وأن الكتب الصادرة في هذه المضامين والتي تكون غايتها المجاملة، نلحظ أنها تكون معرضًا للتفنن في اللغة والأساليب وجزالة الألفاظ ومتانتها وقوة تراكيبها، مع أنها منّمقة بالسجع والدعاء.

وعلى ثنايا ماتقدّمَ نورد كتابًا في تعزية أبو العباس بن ثوابة الكاتب إلى عبيدالله بن سليمان بن وهب وزير المعتمد الكاتب في تعزيته عن أخيه، قائلاً فيه[1]:" **الله يعلم- وكفى به عليما- لقد أردت مكاتبتك بالتعزية، فرأيت عيبا أن أفديك بنفس لا بدّ لها من الفناء، ولا سبيل لها إلى البقاء، ومن أظهر لك شيئا يضمر خلافه فقد غشّ،..**".

ويرد عليه عبيدالله بن سليمان بن وهب في كتابه، قائلًا فيه[2]:" **وصل كتابك بالتعزية عن أخي وفهمته، وقد جلّت مصيبتي به وعظمت، فنكَأَتِ[3]القلب، وهدّت الرّكن، وأذهبت القوة، ونغّصت العيش، وأزرت بالأمل، فعند الله أحتسبه، وإياه أسأل تفضّلا عليه، وصفحا عنه، وتغمَّدا[4] لذنوبه، وصبرا على حادث قضائه، واستعدادا للموت وتأهّبا له، فإنه مصرع لا بد منه، ومورد لا محيص عنه، وقد كنت استجفيتُ كتابك، وأنكرت تأخّر تعزيتك وعددت ذلك من هفوات الإخوان الذين يقع التقصير منهم، وتصحّ نيّاتهم وضمائرهم، فرددت الزلل من فعلك، إلى موثوق به من نيتك وضميرك، وأسأل الله ألّا يعد مناك على أحوالك كلّها، ويمتّعنا بمواهبه فيك**".

نلحظ ممّا سبق أن رسائل التعزية عَبرت عن جوانب الحياة العباسية الاجتماعية، إذ أخذ الكتّاب يتشاركون الأحزان والأفراح فيما بينهم، فيصورون مشاعرهم تصويرًا يغلب عليه طابع المودّة والألفة، فكانت تعازيهم تُظهر عواطفهم الوجدانية إزاء بعضهم، ونجد أن الكاتب كان ينتقي الألفاظ والجمل والعبارات ويتلاعب بها، فعادةً يحاول تعظيم الصغير وتصغير العظيم، لكي يحرر كتابه في التعزية التي

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 4/289-290.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 4/289-290.

(3) من نكأ القرحة، قشرها قبل أن تبرأ وتطيب.

(4) تغمدا: أي سترا وغفرانا لها.

تجسد عواطفه وأحزانه، فيجعلها لاتخرج عن مضامينها الرئيسية في تهوين المصيبة، الدعاء بأن يعوضه الله من مصابه جزيل الثواب، الدعاء للميت والترحم عليه، والاستغفار له[1].

ومن المظاهر الاجتماعية التي تكون مدعاة للفرح والسرور مانجده في رسائل التهنئة، التي هي نقيض لرسائل التعزية، لكن غاية مضمونها للحفاظ على المودّة والألفة ومشاعر الأخوة والصداقة، ويمكن إدراجها ضمن الرسائل التي تطغى عليها المجاملة في القول، وشيوع هذا النوع من الرسائل كان مرتبطًا بكثرة المناسبات، واختلفت الموضوعات التي تعالجها رسائل التهنئة، فالمناسبة الخاصة أو العامة هي الأساس الذي ينعقدُ به هذا النمط من المراسلة، وهي الحافز الذي يبعث على كتابة التهنئة[2]، والتهنئة تكون بأعياد الفطر والأضحى المباركين، والأعياد الأخرى[3]. وكان لها دور مميز في معالجة قضايا سياسية واجتماعية.

ولإيضاح ذلك سنتناول نصوصًا توضح بعضًا من هذه المضامين وحسب ماوقع بين أيدينا من رسائل تخص هذا الموضوع وفق فترة الدراسة، نورد رسالة التهنئة لسعيد بن حميد مهنئًا أحد أصدقائه، لإسناده منصبًا، ويقول فيه[4]:" **أنا أهنئ بك العمل الذي ولّيته، ولا أهنّئك به، لأن الله أصاره إلى من يُورده موارد الصواب، ويُصدره مصادر الحجّة، ويصونه من كل خلل وتقصير، ويمضيه بالرأي الأصيل، والمعرفة الكاملة، قرن الله لك كل نعمة بشكرها، وأوجب لك بطوله المزيد منها، وأوزعك من المعرفة بها ما يصونها من الفتن، ويحوطها من النقص**".

والدارس لهذه الرسالة تتجلى له صورة جميلة يصطنعها الكاتب مستخدمًا كيِّسهِ، ومتلاعبًا بألفاظِ بفطنتهِ، فهو يجعل المنصب قد تشرّف به، وليس أن صديقه قد شرّفه المنصب، ويرى أن الأولى أن يُهنئ المنصب بصديقهِ، لأن الإنسان هو المسؤول على

---

(1) السراحنة، فاطمة، رسائل التعزية في العصر العباسي، بحث منشور، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط، 2020م، ص254.

(2) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص221.

(3) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص221.

(4) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 252/4.

المنصب، فإذا كانت نوايا الإنسان سليمة وحقيقية يتوجه بالمنصب نحو الصواب والوجه الحق.

ومثلما كانت هناك تهنئة بتولي منصب، شاع آنذاك رسائل بالتهنئة بالعزل من المنصب، ومثال ذلك ما ذكره سعيد بن حميد الكاتب، قائلًا[1]:"**جعلني الله من السوء والمكروه فداءك، وأطال في الخير والسرور بقاءك، وأتمّ نعمه عليك، وأحسن منها مزيدك، وبلّغك أقصى أمنيّتك، وقدّمني أمامك، وقد بلغني ما اختار الله لك، فسررت من حيث يغتمّ لك من لا يعرف قدر النعمة عليك، ولا يراك بعين استحقاقك، ولئن ساءني ما ساء إخوانك من عزلك، لقد سَرَّني ما يسّر الله لك، والحمد لله الذي جعل انصرافك محمودا، وقضى لك في عاقبتك الحسنى**".

ويتضح لدى الباحث أنَّ الكتاب الأخير صدر من كاتب الديوان وليس من الخليفة أو الوزير، لأن الذي يُصدر أمر العزل هو الخليفة أو الوزير أو الوالي أو القائد، ورئيس الديوان ليس لديه هذه الصلاحية، وكتبها سعيد بن حميد لغاية المجاملة للمعزول، والواضح أن ديوان الرسائل كان تصدر منه أحيانًا مجموعة من رسائل المجاملة الاجتماعية.

ومن رسائل التهنئة على صعيد المناسبات الاجتماعية ماكتبه سعيد بن عبدالملك كاتب المهتدي بالله، فكتب كتابًا في سلامة الخليفة المهتدي بالله في عيد الفطر،يقول فيه[2]:"**وقد كتبت إلى أمير المؤمنين فيما وليه الله به في مخرجه إلى عيده من يوم فطره، وما وفّقه له من التقرب إليه بوسائل التذلّل في طاعته، والاجتهاد في شكره، والمناصحة في مخاطبة من حضره، وإنصاتهم لوعظه وتذكيره، وما وليه الله به من العافية والسلامة الشاملة،...، كتابا أمرت بنسخه لك آخر كتابي هذا،...، والسلام**".

والواضح في النص السابق، كثرت الدعاء والمديح له بسلامته في هذه المناسبة، وهو كاتب ذلك للأمصار لتعريفهم ذلك وأنَّ عليهم شكر الله، ثم يختم الرسالة بالسلام. وهذا الكتاب لايعدوا إلا إخبارًا عُممَّ عن سلامة الخليفة، ويلجأ كتّاب الدواوين لهذا

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 252/4.

(2) صفوت، أحمد،جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 246/4.

الأسلوب لديمومة التواصل بين الديوان وكبار المسؤولين بالدولة، ولتعريف الرعية واطلاعهم على أن الخليفة بخير ويتمتع بصحة وعافية مستغلين هذه المناسبات.

وعند دراستنا للحياة الاجتماعية نرى أن الدولة رغم اضطرابها وتخلخلها كانت تسعى لكسب العامة من الناس بمختلف طبقاتهم، لضمان حكمهم ومساندتهم ضد الترك، وجسدت لنا تلك الرسائل حجم إفادة السلطة من الرسائل الديوانية في تيسير أمور الحكم العسكرية والإدارية والاجتماعية.

3.1 الحياة الثقافية

شهد العصر العباسي الثاني ازدهار في الحياة الثقافية والعلمية والأدبية في عموم الإمارات والدويلات الإسلامية، برغم ما طرأ عليه من تدهورٍ في الأوضاع السياسية واضطرابها وتخلخل نظام الخلافة، نتج عن ذلك انقسامات وانفصال عدد من البلدان، ممّا ترتب على ذلك سوء الحياة الاجتماعية والاقتصادية وانتشار الفقر والعوز، ويشير إلى ذلك غانم جواد، حيث يقول: "قد تزدهر العلوم والآداب وتتطور الحياة الفكرية في عصور الضعف السياسي والإنهيار الاجتماعي والاقتصادي"[(1)]، وأيضًا ذكر بعض المؤرخين في الأدب والثقافة:"أن الحياة الثقافية والعلمية والأدبية لاتتبع الحالة السياسية، قوة وضعفًا، فقد تسوء السياسية وتزدهر الحياة العلمية والأدبية"[(2)]، وأن طبيعة المجتمع في العصر العباسي الثاني أخذ يزداد نماءً وثقافةً، جرّاء عملية الامتزاج الاجتماعي والعرقي والثقافي، واختلاف الأحداث والمواقف التي جسدت صورة عن سيطرة النفوذ التركي وكيف كثر عددهم وهيمنتهم على السلطة وزمام الأمور، الذي كان له الأثر في اختلاف الثقافات، واستمر نفوذهم يتسع واتضحت نواياهم الحقيقة في السيطرة على سدّةِ الحكم والخلافة، كما نجد أيضًا تأثر المجتمع العباسي الإسلامي قبل هذه المدّة بالنفوذ الفارسي، وتجلى لنا هذا التأثر بصورة جليّة واضحة في فئات المجتمع الخاصة والعامة وعلى ثقافتهم ونظامهم السياسي والإداري، كما مرّت بنا الأحداث في هذا

---

(1) الحسن، غانم جواد، الرسائل الادبية والنثرية في القرن الرابع للهجرة العراق والمشرق الإسلامي، ط1، دار الكتاب العلمية، لبنان، 2011م، ص35.

(2) أمين، أحمد، ظهر الإسلام،96/1.

العصر، حيث كان المجتمع العباسي مزيجاً من ثلاثة هم العرب والفرس والترك[1]،وهذا المزيج أوجد لنا مزيجًا من الثقافات والعادات التي أصبحت تؤثر على المجتمع ويتأثر بها، وكذلك تأثيرها على النتاج الأدبي والرسائل الأدبية والديوانية بصورة خاصة، ولدراسة الحياة الثقافية لابد من دراسة الثقافة الأدبية والثقافة السياسية للمجتمع العباسي، وإلقاء الضوء على ثقافة الكتّاب الذين شغلوا مناصب كبيرة في هذه الدولة، وأصبحوا ركنًا مهمًا فيها.

1.3.1 الثقافة الأدبية

وكان للدولة العباسية دورٌ كبيرٌ في نشاط الحياة الثقافية فأخذت تهتم بهذا الجانب وتشجع على العلم والتعلّم، ممّا ساعد على ازدياد نشاط الحركة الثقافية والعلمية والعقلية في هذا العصر على الرغم من ضعفه السياسي، لزوال الفارق بين الفكر العربي والفكر الأجنبي، وامتزاج الثقافات بين الأصيلة والدخيلة[2]، إذ كان للترجمة والتأليف والنقل من الأمم الأجنبية في الفترة السابقة للدراسة له الأثر في نشاط الحركة الثقافية[3]، ممّا ساعد ذلك على استثمار هذا النتاج وهضم ماتم ترجمته ونقلهُ من علوم نادرة وموسوعات علمية في العديد من الفروع العلمية والإنسانية المختلفة[4] . **ويتضح لدى الباحث أنَّ هناك عوامل ساعدت على نشاط الحركة الثقافية والنماء العقلي تبلورت في:**

1. اهتمام الخلفاء والأمراء في الدولة العباسية بالعلم وعنايتهم بالعلماء وإغداق الأموال عليهم، فكانت الإمارات تتنافس فيما بينها لجذبهم واستقطابهم من أجل الإفادة منهم في إثراء دولتهم ماديًا وعلميًا، ممّا جعل الخلفاء الوزراء والحكام في

---

(1) زكار، سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ص135.

(2) علم، حسام، دراسات في النثر العباسي، ط4، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر،2007م، ص33.

(3) شوقي، ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص130-131.

(4) دراسات في النثر العباسي، ص54. الحسن، غانم، الرسائل الأدبية والنثرية، ص36-37.

الولايات المستقلة يهتمون بالطبقة المثقفة من علماء وأدباء وكتّاب، وكانوا يوزعون عليهم الهباتِ والعطايا[1] .

2. دراستهم المتعمقة عن القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الفقه والتفسير وعلوم اللغة والنحو.
3. اهتمام الدولة العباسية بالمجالس العلمية والأدبية؛ إذ ساعدت هذه المجالس التي كانت تنعقد في بغداد وباقي أمصار الخلافة والدويلات المستقلة في هذا العصر في نشاط الحركة الثقافية، وكانت المساجد ومجالس الخلفاء ومنازل العلماء ودكاكين الوراقين تمثل مراكز علمية وثقافية للمجتمع آنذاك[2] ،وسوف نُلقي الضوء على أهم تلك المراكز لاحقًا.

عندما نُحسن النظر والدراسة نلحظ أن الدولة العباسية اتسعت اتساعًا واسعًا, وذلك باتساع الرقعة الجغرافية بسطت نفوذها على مناطق كبيرة، منحها مساحة واسعة ممّا جعل الأمراء يتسابقون في جذب العقول والمواهب والمفكرين والأدباء وإقناعهم بالإقامة والتعليم والدراسة في بلدانهم[3].

أهم مراكز العلم:

شاع في العصر العباسي مُنذ قيامه ظهور عدد من المراكز العلمية والثقافية شأنها الاهتمام بالتعليم وتطويره، وسوف نلقي اهتمامنا على أهم تلك المراكز التي لاقت إقبال الكثير من رجالات العلم والعلماء والأدباء والفقهاء وطلاب العلم، ومن أهم تلك المراكز:

المساجد:

عندما انتشر الإسلام، أصبحت المساجد من الأماكن المهمة والمقدسة لدى العامة والخاصة، كانت مكانًا للصلاة والخطابة يبتغيها الخلفاء والحكام والأمراء والقادة للتداول

---

(1) علم، حسام، دراسات في النثر العباسي، ص38.

(2) الحسن، غانم، الرسائل الأدبية والنثرية، ص40.

(3) علم، حسام، دراسات في النثر العباسي، ص34.

في أمور الدين والدنيا، وأحوال الخلافة والمسلمين، والمناسبات الأخرى، والمساجد من المراكز المهمة في إدارة شؤون الدولة سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا[1] .

وكان أول مسجد في الإسلام هو مسجد قِباء، الذي شارك في بنائه الرسول(صلى الله عليه وسلم)، واتخذ المسلمون المساجد وجعلوها مراكز للدراسة والعلم والمعرفة ونشر الثقافة عبر حلقات متنوعة ودرست فيها كثير من الفنون والعلوم، فلم يكن مقتصراً على العلوم الدينية فقط، بل تعداها إلى علوم الطبيعيات والكيمياء والطب والرياضيات[2]، ونمضي إلى العصر العباسي الثاني نرى أنها بقيت تمثل مراكزًا مهمة لإبداء الرأي والمناقشة في الأمور العقائدية والعبادات والمعاملات الإنسانية وفي الأزمات والحث على الجهاد والدفاع عن البلد، وتقديم النصح والرشد والموعظة[3]، وكذلك اتُخذت مركزًا لإصدار مراسيم البيعة والخلافة، ومبايعة الخليفة بيعة عامة أما الناس[4]، بيد أن هذه المراسيم أصبحت شكلية في منتصف القرن الثالث الهجري بعد ضعف الخلافة العباسية أبّان النفوذ التركي وسيطرته على السلطة، لكن رغم ذلك حافظوا على هذه المراسيم وجعلوها عادة عند تنصيب خليفة أو خلعهِ، بغية إرضاء الرأي الإسلامي وإرضاءً للناس، ونذكر من تلك المبايعات في المساجد مبايعة الخليفة المعتز بالله سنة 252هـ في المسجد الجامع في بغداد في الجانب الشرقي والغربي، بايعهُ القواد والموالي وأهل بغداد[5] ، فكان ذلك يمثل البيعة العامة للخليفة المعتز، بينما البيعة الخاصة فقد اقترنت بأهل الحل والعقد وهم الخاصة من الأمراء الأتراك الذين كان لهم الدور في توليتهِ وخلع المستعين.

لقد أصبحت المساجد تمثل ملجأً للضعفاء والمظلومين والخائف والجائع، وفي بعض الأحيان أصبحت ملاذًا وحصنًا كحرم آمن، نذكر حادثة خروج العامة على المهتدي سنة (256هـ) متذمرين من الترك، فتجمعوا له في دار اشناس وقد صيروها

---

(1) الالوسي، عادل، الرأي العام، ص224.

(2) الالوسي، عادل، الرأي العام، ص226.

(3) الالوسي، عادل، الرأي العام، ص227.

(4) الطنطاوي، علي،الجامع الأموي في دمشق، ط1، دار المنايرة، السعودية، 1990م، ص8-9.

(5) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص134.

مسجدًا جامعًا لهم فوقفوا له قرابة مائة وخمسين فارساً ونحو خمسمائة راجل[1] ، وذكر الطبري أيضًا، عندما طلبوا العامة صالح بن وصيف :"اجتمعوا في مسجد لجين أم المتوكل بسامراء"[2] ، ونلحظ ذلك أيضًا في حادثة الزنج وحصار الموفق لهم، عندما ضاق الأمر بهم اتخذوا من المساجد ملاذًا لهم، ويذكر في ذلك الطبري:"أن حماسهم في الدفاع عن المسجد وقدسيتهِ يفوق حماسهم وهم في خارجهِ، وقد استغله صاحبهم وكبيرهم في استمالة عواطف الناس لقدسية المسجد ومكانته لدى الإسلام والمسلمين[3]، لكن برغم هذه الأحداث، بقيت المساجد لها قدسية في نفوس المسلمين ومنارًا يُهتدى به في توعية الناس واطلاعهم على أحوالهم السياسية والاجتماعية، ومحاربة الباطل والمنكر[4].

إذ كانت تمثل المساجد مركزًا لاجتماع الناس في سلمهم وحربهم، وفي انطلاق الثورات ومحاربة الظلم والجور والفساد، ففي سنة 272هـ، وبسبب الضعف الاقتصادي وانتشار الفقر ضجت العامة بسبب غلاء الأسعار واجتمعوا للوقوف إزاء الظلم الذي وقع عليهم من قبل ابن الطائي، فكانت انطلاقتهم من المسجد الجامع إلى دارهِ الواقعة بين باب البصرة وباب الكوفة، وحدث قتال بين العامة وأصحاب ابن الطائي [5].

لقد كان للمساجد دور مهم في ازدهار الحركة الثقافية، ومن أبرز المساجد التي كانت حاضرة وبقيت مركزًا علميًا في العصر العباسي الثاني المسجد الأقصى في بلاد الشام[6]، فيعدُّ هذا المسجد قبلة المسلمين لمكانته التي بينها القرآن الكريم، وقد قال الباري عزوجل في كتابه الحكيم: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،444/9.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،451/9.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 618/9.

(4) الالوسي، عادل،الرأي العام، ص228.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 10/10.

(6) بطوش، أيمن، الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام العصر العباسي الثاني(247هـ-334هـ)، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة ، قسم التاريخ،2015 م، ص12.

إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾[1]، إذ يعدُّ السجد الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين، وحظيَ بمكانة كبيرة في حياة الإسلام والمسلمين من الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين، وقد كان زاخرًا بحلقات العلم والوعظ، وتوافد عليه الكثير من طلاب العلم[2].

اهتمت الدولة العباسية منذُ تأسيسها في بناء المساجد فكثرت في ذلك العهد، فقد كان أول مسجد بُني في بغداد في عهد الخليفة المنصور[3]، ثم اهتم فيما بعد الخلفاء في بناء المساجد، ففي سنة 289هـ، في عهد المكتفي بُني مسجد دار الخلافة بعد أن هُدمت سجون المطامير التي عملها المعتضد وبُني مكانها المسجد[4]، والدارس لتاريخ بغداد يجدها تحتضن الكثير من المساجد منها (مسجد المنصور،مسجد الرصافة،مسجد براثا،المسجد الجامع)، إذ كان لها نظامها الإداري الخاص[5].

فكانت المساجد آنذاك أشبه بجامعات فالطلاب يتوافدون عليها من كل صوب وحدب، يأخذون مايشاؤون من مختلف العلوم مثل الفقه و الحديث و التفسير واللغة و النحو، وكان كثيرٌ من الفقهاء واللغويين والنحاة ترعاهم الدولة، فالمبرد عالم النحو من العلماء الذين خصصت لهم الدولة راتبًا من قبل محمد بن عبدالله بن طاهر بعد أن كان يخصص له المتوكل والفتح بن خاقان راتبًا شهريًا له[6]، فقد كان الخلفاء العباسيون يشعجون على الاهتمام بالعلماء والفقهاء والأدباء، وعمَدوا إلى تخصيص رواتب لهم، ممّا ساعد على نشاط العلم والمعرفة ورقي الحياة الثقافية، وكانوا ينفقون على كل من ينزل عندهم من العلماء [7].

---

(1) سورة الإسراء،آية:(1).

(2) بطوش، أيمن، الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام، ص13.

(3) ابن الجوزي، أبو الفرج، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام، بغداد، 1923م، ص20.

(4) ابن الجوزي، أبو الفرج، مناقب بغداد، مطبعة دار السلام، بغداد، 1923م، ص21.

(5) العليمات، فوزية، المؤسسات الإقتصادية والإجتماعية والتعليمية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الآداب، 2004م، ص167-168.

(6) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص118.

(7) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص119.

مجالس الخلفاء:

كان الخلفاء العباسيون يعتبرون أنفسهم حماة على العلم، فجعلوا من قصورهم مراكز لنشر الثقافة والعلم، فعدَّ بلاط الخلافة مركزًا مهمًا لعقد المجالس الأدبية والمناقشات والمناظرات، وتبادل الأفكار وسماع الوعظ والإرشاد، فعقدوا مثل هكذا جلسات في قصورهم واكرموا العلماء والفقهاء والأدباء[1]، فقد تضمنت مجالسهم العديد من العلماء في مختلف الفنون والعلوم، وتبادل مناظرات علمية بين هؤلاء العلماء والكتّاب، فقد ناظر الحسين بن أحمد بن رستم في عهد المقتدر ويقال أحمد بن علي أبو أحمد، ويعرف بابن زنيور الكاتب من كتّاب الطولونية، وروي قد أحضره المقتدر لمناظرة ابن الفرات، فلم يقدر عليه فخلعه وولاهُ خراج مصر لاربع من خلون من ذي القعدة سنة 306هـ[2] .

وكانت هناك تقاليد وعادات وآداب وضعوا شروطها لحضور مجالس الخلفاء، فيجب أن يتحلى الحاضر بالاحترام والتقدير، وأن يظهر الهيبة للخليفة، وإذا ابتليت في الدخول على سلطان لابد أن تُثني وتدعو له لكن دون أن تكثر فيه، وكذلك هناك أوقات لهذه المجالس تحدد من قبل الخليفة نفسه[3].

دكاكين الورّاقين:

استعمل العرب الورق في الكتابة وفي تصنيف الكتب منذ العصور السابقة يعدُّ عاملاً مهمًا في نشاط الحركة الثقافية في العصور اللاحقة، ونظرًا لانتشار الكتابة والكتب، انتشرت إزاء ذلك مهنة الورّاقين وكثرت دكاكينهم[4] .

إذ كانت وظيفتهم تقوم على النسخ والتصحيح والتجليد وسائر أمور الكتابة والقراءة، حتى أصبحت الكتب والمصنفات تحت أعين الطلاب والشباب، واتخذ كثيرٌ من العلماء

---

(1) الوافي، سمية، التعليم في الشام في العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، 2007م، ص81.

(2) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، 1977م، ص34.

(3) الأبشيهي، شهاب الدين، المستطرف في كل فن، ج1، مكتبة الجمهورية العربية، (د.ت)، ص89. بطوش، أيمن، الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام، ص28.

(4) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص123.

ورّاقين يقيّدون إملاءاتهم ويذيعونها بين الناس[1]، وكان لابد على الورّاق أن يتمتع بخط جميل، ومن أشهر الورّاقين أبو بكر القريشي الذي اشتهر بذلك وبكتابة الحديث[2]، إضافة إلى عملهم كورّاقين يكتبون عن العلماء والأدباء، أخذوا يُتاجرون بالكتب، وكان أغلب هؤلاء الورّاقين هم أدباء يمتلكون ثقافة وعلمًا، ولم تكن رغبتهم الربح المادي بقدر ماكان رغبتهم في تثقيف أنفسهم وإطلاعهم على قدر كبير من العلوم، فالكتابة تسمح لهم بالقراءة والمساهمة بنشر العلم، وقد كان لتلك الدكاكين دورٌ كبيرٌ في نشاط الحركة الثقافية[3] ،حتى أصبحت دكاكينهم تحل محل دور النشر والطباعة في وقتنا الحالي.

المكتبات:

عُدّت المكتبات من أشهر المراكز الثقافية وأفضلها التي أثبتت على مرِّ التاريخ دورها المهم في نشر الثقافة ونشاط الحركة الأدبية، واستمرت المكتبات في النمو والتطور حتى وصلت في أوجِ ازدهارها في العصر العباسي[4]، حيث شيد هارون الرشيد في العصر العباسي الأول مكتبة الحكمة وهي عبارة عن خزانة كتب كبيرة، ثم حولها المأمون فيما بعد إلى معهد علمي كبير، وعمل فيها الكثير من المترجمين، وجمع فيها الكثير من الكتب العلمية في مختلف الصنوف واللغات، فظهرت في هذا العصر مكتبات عديدة منها العامة ومنها الخاصة، فالعامة هي مكتبات المساجد وما تحويه من كتب، بينما الخاصة فهي المكتبات التي أنشئت من قبل المثقفين والعلماء لإفادة الطلاب منها[5].

ويتضحُ أن الجاحظ (ت255هـ)، خلّفَ مكتبة كبيرة تحتوي الكثير من الكتب العِظام وعشرات الرسائل[6]، وعند تعقب الحركة الثقافية والعلمية في العصر العباسي

---

(1) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني.

(2) ابن عساكر، أبو القاسم علي، تاريخ مدينة دمشق، المجلد الخامس، دار البشير للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص359.

(3) بطوش، أيمن، الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام، ص30.

(4) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن، 225/2.

(5) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص124.

(6) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص126.

الثاني، نجد توجه العلماء إلى إنشاء المكتبات الخاصة بهم، فكان الشغف يعتليهم في القراءةِ وجمع الكتب، ثم تُطالعنا مكتبة لإبراهيم بن إسحاق الحربيُّ (ت285هـ)، كان إمامًا في العلم رَأسًا في الزهد، عارفًا بالفقهِ والحديث، صنّف العديد من الكتب منها: غريب الحديث[1]، وكان يمتلك مكتبة ضخمة تحتوي على اثني عشر ألف جزء ولغة وغريب كتبها بخطهِ[2].

ولظهور المكتبات أثر كبير في ازدهار الحركة الثقافية، فضلا عن اهتمام الخلفاء بذلك، وانتشار مراكز العلم في العراق والدويلات والإمارات المستقلة، فمثلت المكتبات ومراكز العلم حافزًا كبيرا لنشر الثقافة بين الناس، والمساعدة على نضج الحياة الثقافية والعقلية، والمراكز الثقافية في العصر العباسي الثاني متنوعة وكثيرة، على اتساع الرقعة الجغرافية التي تضوي تحت سلطة الخلافة العباسية، فنشطت مصر بالدراسات الدينية واللغوية، وتفوقت الشام في الشعر والأدب واللغة[3]، وكان للعراق الصدارة في العلم والأدب والفلسفة، فكانت البصرة وبغداد مراكز العلم والحضارة، وتوافد إليها كبار العلماء من كل أنحاء العالم العربي[4] .

2.3.1 الثقافة السياسية:

من عوامل ازدهار الحياة الثقافية ظهور الثقافة السياسية أو مايعرف بالتثقيف السياسي، فالرسائل الديوانية وباعتبارها وسيلة إعلامية[5]، فإنها تعدُّ مؤسسة مهمة في نشر الثقافة السياسية، وتتضح الثقافة السياسية عن طريق الوضع الاجتماعي وعلاقة

---

(1) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، 112/1.

(2) البغدادي، أبو بكر الخطيب، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، مجلد6، دار الكتب العليمة، بيروت، (د.ت)، ص33.

(3) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، 176/1-177. خفاجي، محمد عبدالمنعم، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص28.

(4) خفاجي، محمد عبدالمنعم، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص28.

(5) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أطروحة أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1996م، ص9.

العامة مع السلطة، وهناك معايير لتحديد تلك العلاقة ومدى تفاعل المجتمع مع الدولة عبر محددات من الحرية أو الإكراه أو الثقة أو الشك أو المساواة والتدرج، والولاء المحلي والقومي، فالثقافة السياسية وبحكم ارتباطها بالثقافة العامة تُكتسب وتحدد ملامحها بناءً على مدى تكيف الأفراد مع البيئة السياسية والاجتماعية، ومن خلال رد فعل الناس ورغباتهم وميولهم وإتجاهاتهم[1]، وبالتالي انعكاس الثقافة السياسية على الثقافة العامة للمجتمع.

أما الثقافة السياسية: فهي تمثل الجانب السياسي من الثقافة، وتمثل انعكاسًا للثقافة العامة للمجتمع، وتؤثر وتتأثر بها، وهي تمثل علاقة السلطة الحاكمة بالطبقة المحكومة وبالعكس، وهناك عناصر تحدد عن طريقها هذه العلاقة، وهي:

أ. القيم والتصورات الإدراكية التي تميز الفرد، فإن القيم التي يحملها الإنسان تعد نتاج للثقافة.

ب. المواقف وتمثل اتجاهات الأشخاص تجاه المؤسسات أو السلطة الحاكمة.

أما محددات للثقافة السياسية[2]:

1-**الحرية والإكراه:** حيث إن الثقافة السياسية تقوم على الحرية، فلابد أن تكون طاعة أفراد العامة للسلطة على أساس الاقتناع، وليس بالخوف، وهذا مانجدهُ في المجتمعات العباسية، فالطاعات تكون عن طريق التهديد والوعيد والتخويف، وهذا يتضح فيما مرَّ بنا في كتاب بيعة المنتصر بالله في مبحث الحياة السياسية، ووضعه الجزاءات إزاء كل من يخالف البيعة وكيف وجّه خطابهُ بلغة وأسلوب يوحي بالتهديد بغية مبايعته البيعة العامة، وفي موضع آخر نجد الثقافة السياسية من خلال ماتجسد لنا في مبحث الحياة الاجتماعية في حادثة خروج العامة على المهتدي ومطالبتهم بخمسة مطالب وقد أمر بتلبيتها.

2-الشك والثقة: إنَّ عنصر الشك والثقة في السلطة الحاكمة، يتوقف على مدى ثقة العامة بالسلطة، فنلحظ ذلك جليّا في الحياة الاجتماعية للعصر العباسي، إذ نجد أن

---

(1) بوسقيعة، سليم، الثقافة السياسية ودور الإعلام في تنميتها،جامعة القسنطينة، قسم علم الإجتماع، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد:2015،11م، ص107.

(2) بوسقيعة، سليم، الثقافة السياسية ودور الإعلام في تنميتها،جامعة القسنطينة، ص111.

المجتمع عاش فاقدًا للثقة مع السلطة بسبب ما ظهر من ممارسات وأحداث وسيطرة النفوذ التركي واختلال النظام السياسي والاجتماعي ممّا أفقد ثقة الناس بالدولة.

3-المساواة والتدرج: الثقافة السياسية تؤكد على المساواة، وإبداء المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، والمساواة بين أفراد المجتمع، لكن هذا العنصر لم نلحظه في تعامل الدولة مع العامة، فكان هناك تفاوت طبقي كبير بين المجتمع ومقسم إلى طبقات.

ويتبين لدى الباحث أنَّ الثقافة السياسية كانت موجودة في العصر العباسي الثاني لكنها مقيّدة وفق مصالح التسلط التركي ونفوذهِ، بسبب تخلخل نظامه السياسي، والضعف الذي أصاب الخلفاء، وكل هذه الأحداث أثرت على الثقافة السياسية المرتبطة بالثقافة العامة، لكن رغم ذلك لم تؤثر على ازدهار الفنون الأدبية وتتطورهاومنها الرسائل وعلى وجه الخصوص الرسائل الديوانية، فكانت الثقافة السياسية حاضرة وتتضح فيما كان يكتبه الخلفاء أو من ينوب عنهم في عهودهم ووصاياهم ومخاطباتهم، فكان لابد أن يكونَ للكتّاب إلمام ومعرفة بأخبار العرب شعراً ونثراً، وكل مايتصل بالخلفاء قديماً وحديثاً[1].

وبناءً على ماتقدّمَ نلحظ أن لهذه الأحداث وظهور مراكز العلم الأثر الكبير في انتشار العلوم بصورة عامة، والدراسات اللغوية والأدبية بصورة خاصة، ممّا ساعد ذلك على بروز العديد من العلماء والأدباء المتخصصين في اللغة والأدب والنحو وغيرها من فنون اللغة العربية، ومن شأن ذلك ازدهرت الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني، وقد أخذت أبعادًا مهمةً في الحياة السياسية للمجتمع العباسي، ممّا دعت الحاجة إلى دعمها والعناية بها، باعتبارها تمثل الجانب الناطق الرسمي للدولة، وتُحدد عن طريقها سياسة الدولة تجاه الشؤون الداخلية والخارجية، فتعدُّ واحدة من الأدوات المهمة في تنظيم العملية السياسية وارتباطها بالمستويين الاجتماعي والثقافي.

---

(1) علم، حسام، دراسات في النثر العباسي، ص74.

3.3.1 الرسائل الديوانية وأبرز كتّابها ومصادرهم الثقافية

بلغت الرسائل مكانة كبيرة في هذا العصر رغم الضعف والانقلابات السياسية، فكان لها الأثر في الميول والعقول، واستمرت الحياة الأدبية في النمو والازدهار على الرغم من انقسام الخلافة وضعفها، ويرجح هذا الازدهار إلى تنافس الدويلات والإمارات الإسلامية في تشجيع الأدباء والشعراء والكتّاب[1]، وفي ظلِّ هذا التطور كان للحركة الكتابية والمخاطبات الإدارية المتمثلة بالرسائل الديوانية نصيبها منه، فقد اهتمت الدولة العباسية بنظامها الإداري وفي توظيف الكتّاب في مناصب رفيعة، فكانوا لايشغلون مناصب الدولة إلا من يتمتع بثقافة ومعرفة تامة بالأمور الإدارية وتنظيم شؤونها ومن يمتلك مقدرة عالية في الكتابة وأدواتها وأصول المخاطبات والإمكانات الفنية من براعة في القول، وفصاحة، وعذوبة الألفاظ، والعبارات المنمّقة، وجودة الصياغة، وحسن اِنتقاء الألفاظ، بالإضافة أن يتقنوا طائفة من العلوم والمعارف والآداب، فعمَدَ الخلفاء إلى كبار الكتّاب الطامحين في العيش الرغيد والثراء الفاحش في إسنادهم المناصب العليا، فتوجه الكثير منهم إلى صناعة الكتابة وجعلها وسيلة في الوصول إلى مبتغاهم[2].

وقد ظهرت الرسائل وازدهرت مع تطور الإسلام، عندما حث الرسول(صلى الله عليه وسلم) على ضرورة تعلم الكتابة والقراءة، وعند بلوغ الإسلام مرحلة الدعوة العلنية كان النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام يكتب الرسائل إلى الدول المجاورة يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام، وفي عهد الخلفاء الراشدين أخذت تنظم شؤون الخلافة السياسية، ودليل ذلك كان الخليفة عمر بن الخطاب أول من دوّن الدواوين فجعل ديوانًا للجند وآخر للرسائل، وفي العصر الأموي اِتَّخذَ الأمويون ديوانًا للرسائل، أما في العصر العباسي وعظم شأن الخلافة وضخامتها فقد ازدادت حاجة الخلفاء لديوان الرسائل وجُعلت دواوين مشابه لدى الولاة والوزراء والإمارات والدويلات المستقلة[3] ، فكان

---

(1) خفاجي، محمد عبدالمنعم، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص40.

(2) علم، حسام، دراسات في النثر العباسي، ص73.

(3) علم، حسام، دراسات في النثر العباسي، ص76.

صميم عمل هذه الدواوين هو إصدار الرسائل الرسمية الصادرة من الخليفة أو الأمير أو الوالي أو من ينوب عنهم.

وهناك دافع آخر لازدهار الرسائل في العصر العباسي الثاني، هو شيوع الخلافات والإنقسامات بين الأحزاب المتنفذة في الدولة، فأخذت تهيمن على أغلب رسائل الدولة العباسية، فقد كان الخلفاء كُتّابًا فصحاء؛ فعمدَوا إلى اختيار أفضل الكتّاب ليولّهم رئاسة دواوينهم، فكان لها آثار مختلفة في جميع الأحوال[1]، ويشير إلى ذلك أنيس المقدسي وهو يقول:"كانوا يتخيرون للإنشاء بلغاء الكتّاب لما يترتب عليه من التبعات الجسيمة، وكان للكتّاب في ذلك رزقٌ واسعٌ وجاه عريض فأقبلوا عليه وتغالوا في الافتتنان به"[2]، وأما من ناحية موضوعاتها فقد تنوعت: كالبيعة للخلفاء والخلع والعزل والتولية، والرسائل التشريعية التي اعتمدوها في إصدار التعميمات في توجيه النصح للولاة وفي تصريف أعمال الدولة مثل تعيين الولاة والقواد أو عزلهم، والرسائل العسكرية في الحروب والفتوحات الإسلامية، ومتابعة أحوال الولاة والرعية، والتوقيعات، والتهنئة والتعزية بالمناسبات المختلفة الصادرة عن الجهة العليا للدولة[3].

ونلحظ أن كثرة الدواوين وانتشارها أسعَفَ في تطور وازدهار الرسائل الديوانية، ممّا دعا الكتّاب في التفنن في المكاتبات الديوانية والتنافس فيما بينهم إلى أن وصلت قمة نضجها في العصر العباسي الثاني، ويذكر شوقي ضيف في ذلك :"لاريب في أن ذلك التنافس على النهوض بالكتابة فيها يبلغ الذروة، وهو تنافس دفع إلى التثقيف الواسع بكل ألوان الثقافات، وفي مقدمتها الثقافة اللغوية"، وحتى النساء كان لهن دواوين يقوم عليها كتّاب على الخراج والدخل والنفقات[4]، وهناك مظهر لتغلغل الثقافة بين أفراد المجتمع بمختلف الطبقات، إذ نرى أن النساء كنَّ يطالبنَّ بمساواةٍ بين الرجل والمرأة في

---

(1) علم، حسام، دراسات في النثر العباسي.

(2) المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1960م، ص222.

(3) يُنظر: ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص551. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط8، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص468.

(4) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص550.

المناصب والوظائف العامة المهمة مثل كتابة الدواوين وولاية الأقاليم، وإصدار المخاطبات في مختلف المحافل، ومن كان منهنَّ من تجلس لسماع المظالم والحكم بين المتظالمين بحضور القضاة والعلماء ومثال ذلك: أم المقتدر قهرمانة سنة 306هـ[1].

وممّا ساعد على انتشارها وازدهارها أيضًا؛ أنَّ الخلفاء العباسيين اعتنوا بالرسائل ودواوينها فخصصَّوا لها ديوانًا خاصًا سميَّ ديوان الرسائل أو صاحب المكاتبات أو ديوان المكاتبات، وجمعوا لفظ الديوان تعظيمًا لمتوليه[2]، فكان تصدر عنه الرسائل والكتب التي تحمل في مضمونها رسائل ديوانية تخص شؤون البلد الداخلية أو الخارجية، واكتسبت الطابع الرسمي بسبب الجهة التي تتبناها.

ويتضح ممّا سبق أنَّ العصر العباسي الثاني جاء مكملاً للعصر العباسي الأول في ازدهار الرسائل و تطورها ونضجها، إذ تمثل فنًا من الفنون القديمة الأصيلة التي لاتقل أهمية عن باقي الفنون، وقد تنوعت مضامينها بحسب القضايا التي تتناولها وتتبنى معالجتها، فمنها الرسائل الأدبية والعلمية، والدينية، والتأريخية، والفلسفية، والرسائل الديوانية أو ماتعرف بالسياسية[3]، والأخيرة هي التي تهمنا في هذه الدراسة.

الرسائل الديوانية:

يعرفها شوقي ضيف: "بأنّها هي الرسائل التي تصدر عن الخلفاء والوزراء والأمراء والقوّاد أو من ينوب عنهم، وكانت تتناول جميع شؤون الدولة من منشورات تتصل بأهل الذمة أو الرعية ومن ولاية العهود أو بيعة الخليفة أو خلع أو دعوة إلى الجهاد في سبيل الله أو تولية وزير أو والٍ أو تنويه بموسم حج أو عيد أو أخبار الولايات أو أمر بمعاقبة بعض الجناة"[4]، ولها بالشؤون الإدارية والسياسية للحكم، فيه لسان حال

---

(1) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص128.

(2) القلقشندي، أبو العباس، صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م،1/103-104.

(3) البيوض، حسين، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، وزارة الثقافة، دمشق، 1996م، ص5-6.

(4) القلقشندي، أبو العباس، صبح الأعشى، ص54. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص550. ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ص468.

الدولة، لما تحمله في طياتها من قيمة فنية وأدبية[1]. ويراد بها هي الرسائل التي تكون بين الخلفاء والملوك وحكام الدويلات والإمارات والقوّاد، وهي رسائل تحمل الطابع الرسمي للدولة وتعكس توجهاتها، وقد عُرفت سابقًا بالرسائل السلطانية، تكون على نوعين أما تخص الشؤون الداخلية للدولة وحكامها وعلاقاتهم بالمجتمع والرعية، وتوجّه إلى العامة أو الخاصة، أو تنظيم الشؤون الخارجية الدولة وعلاقاتها السياسية في حالة السلم والحرب، ولدورها الكبير وأهميتها أصبح لها ديوان خاص تصدر عنه فسميت بالرسائل الديوانية[2].

الرسائل الديوانية تعدُّ مصادر مهمة في المحافظة على التاريخ، وتُبين علاقة السلطة الحاكمة بالطبقة المستحكمة، وتوضح أيضًا علاقات الدولة الداخلية فيما يخص أحوال العامة والرعية، وعلاقات الدولة الخارجية.

لم يكن العصر العباسي الثاني أقل اهتمامًا من غيره في المكاتبات الديوانية، فقد أعطوها جُلَّ اهتمامهم، لما لها من أهمية في تنظيم الشؤون الإدارية للدولة، وجُعلت ركنا مهما فيها، فإزاء هذا الاهتمام والتطور الرسائلي ظهر لنا مجموعة من الكتّاب الذين كان لهم دورٌ كبيرٌ في ازدهارها وفي المساهمة على تنظيم الجهاز الإداري للدولة وهم جزء من عملية تأثير الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية على الرسائل كونهم يمثلون عَمَدَها الرئيس، التي لولاهم لما وصلت إليه الرسائل من تطور ونضج في أساليبها وفنيّاتها.

وسنتطرق لعرض مختصر عن أبرز الكتّاب في العصر العباسي الثاني(247-334هـ)، الذي بدأ بخلافة المنتصر بالله، وانتهى بخلافة المستكفي بالله[3]، بشكل منظم حسب عهود الخلفاء، ولنوضح عن طريقهم التطور في المكاتبات الديوانية،

---

(1) الهروط، عبدالحليم، الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1994م، ص26. رندا، حسين، الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني(232-334هـ): دراسة في المضامين والأساليب، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2009م، ص32.

(2) الهروط، عبدالحليم، الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، ص26.

(3) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ص283-314.

ودورهم في الخلافة، لما جاء عهد المنتصر بالله (247–248هـ)، نال الوزير والكاتب أحمد بن الخصيب مكانة مهمة لدى الخليفة حتى أصبح كاتبه ووزيرهُ[1]، ولما خلّفَ المستعين بالله المنتصر بالله، بويع له سنة(248–252هـ)، بقيَ الخصيب وزيره وكاتبه، ثم تقلد ديوان الرسائل سعيد بن حميد الكاتب، كان حافظًا مُلمًا بأخبار الأولين والآخرين، ومتمكنًا في النثر والشعر، وله معرفة في فنون العلم[2].

ثُمَّ يتولّى المعتز بالله الخلافة سنة (252–255هـ)، فيسند مهام الوزير والكاتب لأحمد بن إسرائيل، ويذكر شوقي ضيف :"أنه أحد الكتّاب الحذاق الأذكياء"[3].

ثُمَّ يأتي عهد المهتدي بالله الذي بويع بالخلافة سنة(255–256هـ)، فظهر لنا كاتب مهم في عهده هو سعيد بن عبدالملك الذي عُدَّ من أهم كتّاب عصره، ويقول ابن النديم في الفهرست:"البلغاء ثلاثة:الحسن بن وهب[4]، إبراهيم الصولي[5]، سعيد بن عبدالملك"[6]، ومن كتّابهِ أيضًا سليمان بن وهب بن سعيد، الذي قال عنه صاحب

---

(1) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج4، ص105. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص552.

(2) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج4، ص118. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص553.

(3) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص552. ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، 1960م، ص244.

(4) الحسن بن وهب: هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حُصين، كان كاتب ليزيد بن ابي سفيان لما ولى الشام، ثم كتب لمعاوية، ثم ليزيد بن معاوية وفي خلافته مات. يُنظر:ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، 1971م، ص136.

(5) إبراهيم بن العباس الصولي: هو أحد كتّاب المتوكل وقد حرر أكثر ماصدر عنه من رسائل بمختلف مضامينها. يُنظر: ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص551. ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، 1971م، ص136.

(6) ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، 1971م، ص140.

الفخري:"أحد كتاب الدنيا ورؤسائها فضلاً وأدبًا، وأحد عقلاء العالم وذوي الرأي منهم"[1].

وفي عهد المهتدي سنة (255هـ-256هـ)، الذي كانت ولايته أحد عشر شهرًا[2]، نلحظ بدأ إصطناع الكتّاب للسجع في مكاتباتهم وفي جوانب من رسائلهم على نحو ما نرى عند سعيد بن عبدالملك في كتابه في عيد الفطر الموجه لخليفته المهتدى، الذي يقول فيه[3]:" **أما بعد، فإن الله هو ولىّ أمير المؤمنين فيما استحفظه من النظر في سياسة عباده ومراعاة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإقامة شرائع دينه، ودلالة الأمة إلى مرشدها في قضاء حق الله عليها، وجمعها في المواطن التي ندبها إليها، وجعل نوافل[4]الخير والبرّ فيها، فأدام الله صلاحها، ولا أخلاها من بركة رعايته، ومن ولايته ولايته وسياسته، ولا زالت في كنف السلامة بسلامته، وظلّ العافية بعافيته، وعلى سبيل نجاة هدايته، وقد كتبت إلى أمير المؤمنين فيما وليه الله به في مخرجه إلى عيده من يوم فطره، وما وفّقه له من التقرب إليه بوسائل التذلّل في طاعته، والاجتهاد في شكره، والمناصحة في مخاطبة من حضره، وإنصاتهم لوعظه وتذكيره، وما وليه الله به من العافية، والسلامة الشاملة، والنعمة الكاملة، والعز الموصول بالسكينة، والإخبات[5]والخشوع،...، وفضله وامتنانه، وأعانهم على ما كانوا يتشوّفونه[6]، ويعدّون له في أعيادهم، من رفع حوائجهم وذكر مظالمهم، منّا من الله الله خصّ به خليفته، وأعطاه فضل مزيته، بما وفّقه له من العدل والنّصفة، والبرّ والمرحمة، والعطف والرأفة**".

---

(1) ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص247.

(2) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب، 147/4

(3) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص554. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 261/4.

(4) النافلة: العطية. يُنظر: صفوت،أحمد، جمهرة رسائل العرب،261/4.

(5) أخبت: خشع وتواضع. صفوت،أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب، 261/4.

(6) تشوف إليه: تطلع. صفوت،أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب،261/4.

والقارئ لنص الكتاب أعلاه يلحظ التطور الثقافي للكتّاب، إذ يتجلى ميل الكاتب في اعتماد الأسلوب المسجوع والمرسل في كتابهِ وإن كانت الغلبة للسجع، مبينًا الطابع المزخرف في ألفاظه وتناسقها مع الجمل التي يتوافق فيها الكلام المنثور على حرف واحد ووزن واحد، وأراد الكاتب من ذلك الاتجاه نحو الصنعة، فالسجع هو تواطؤ فاصلتين أو أكثر من النثر على تشابه في الحرف الأخير[1]، ويقول ابن الأثير : "السجع هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والفقرات، والمقصود أن تأتي كل فقرة متساوية، أو متقاربة في الطول مع أختها والاعتدال مطلوب في كل شي، والنفس تميل إليه بالطبع، والسجع داخل في باب الألفاظ لا المعاني[2]، وهذا التطور الثقافي قد أثر على بناء الرسائل الديوانية وجعلها تصدر بهذا الشكل.

لكن رغم ذلك بقيت الرسائل الديوانية تكتب بأسلوب مرسل يظهر أحيانا استعمالهم الألفاظ المزدوجة، أما السجع فيندر بها، لكن هذه عدّت إرهاصًا لظهور السجع في الرسائل الديوانية، ولتستعد الأذواق على استعمال السجع في الرسائل الديوانية[3] .

ويدخل عهد المعتمد على الله الذي بويع له سنة (256-279هـ)[4]، فيبقى سليمان بن وهب وزيره وكاتبه كما كان وزيرًا لسابقهِ، ثم أسند منصب الوزير والكاتب لأحمد بن صالح بن شيرزاد، كان كاتبًا بليغًا فاضلاً عارفًا بما يلزم، مجيدًا في النظم والنثر[5]،

---

(1) ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج1، 1939م، ص193.المقداد، محمود، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، ط1، دار الفكر، دمشق، 1993م، ص258.

(2) ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص196.

(3) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص554.

(4) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر،160/4.

(5) ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص251-254.

وأيضا عمل الحسن بن مخلد كاتبًا لدى اخيه الموفق[1]، وقد استكتب لديه الكاتب إبراهيم بن المدبر (211هـ-ت279هـ)[2] سنة263هـ.

بعد ذلك يلقانا عهد المعتضد بالله الذي بويع بالخلافة بعد موت المعتمد على الله سنة(279-289هـ)، فأصبح أبو القاسم عبيدالله بن سليمان بن وهب كاتبهُ ووزيره، فقد كان من كبار الوزراء ومشايخ الكتّاب، وكان بارعًا في صناعته وحاذقاً ماهرًا جليلًا[3]، ويشير شوقي ضيف إلى قلة رسائله الديوانية، إلا رسالة كان قد أمر بكتابتها المعتضد في لعن معاوية[4]، وأمر أن تقرأ على المنابر في صلاة الجمعة، وهو يقول فيها[5]:" **بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله العلىّ العظيم، الحليم الحكيم، العزيز الرحيم، المنفرد بالوحدانية، الباهر بقدرته، الخالق بمشيئته وحكمته، الذي يعلم سوابق الصدور وضمائر القلوب، لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في السموات العلى ولا في الأرضين السّفلى، قد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كلّ شيء عددا، وضرب لكل شيء أمدا، وهو العليم الخبير، والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته، وخلق عباده لمعرفته، على سابق علمه في طاعة مطيعهم، وماضي أمره في عصيان عاصيهم، فبيّن لهم ما يأتون وما يتّقون، ونهج لهم سبل النجاة، وحذّرهم مسالك الهلكة، وظاهر عليهم الحجّة، وقدّم إليهم المعذرة،...، والحمد لله**

---

(1) ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص251.

(2) إبراهيم المدبر الكاتب: هو إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن المدبر، المكنى أبو أسحاق الكاتب، كان كاتباً بليغاً شاعرًا فاضلاً مترسلاً، خدم لدى المتوكل فترة طويلة، ثم بعد فترة استكتبه المعتمد سنة 263هـ لابنه المفوض وضم إليه الدواوين. الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، ج6، ص71. و-الجبوري، كامل، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002هـ، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص75.القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص140-147.ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص257.

(3) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، ص186.و- ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص254-257.

(4) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص556. السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ص294. الطبري، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 55/10.

(5) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 326/4.

الذي اصطفى محمدا رسوله من جميع بريّته، واختاره لرسالته، وابتعثه بالهدى والدّين المرتضى إلى عباده أجمعين،...".

نلحظ في هذه الرسالة التي كتبت سنة 284هـ، تطور الحياة الثقافي وبيان أثرها على الرسائل، إذ نلمس أنَّ السجع أخذت بوادره تتراءى على الأفق، ودخل في نظم الرسائل الديوانية[1]، ويرى الباحث أن كتّاب هذا العصر قد تأثروا بأسلوب السجع، ممّا جعلهم يُنمِّقون مكاتباتهم به، وهذا يعطي انطباعًا عن حذاقة الكتّاب ومايمتلكون من قدرة تؤهلهم للكتابة بهذا المستوى، وعدَّ استمرارًا لمرحلة جديدة في الكتابة الرسائلية الديوانية.

لما مات المعتضد تولى الخلافة المكتفي بالله سنة(289-295هـ)، فقام الكاتب والوزير القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب بأخذ البيعة للمكتفي، وأمضى كاتباً له[2].

وفي خلافة المقتدر الذي بويع له بالخلافة سنة (295-320هـ)[3]، برز كتّاب مهمين، أمثال جعفر بن ثوابة الذي تولى ديوان الرسائل، وقد خلفه ابنه أحمد بن ثوابة سنة 312هـ، بينما ابن مقلة كان من أبرز الوزراء والكتّاب لدى المقتدر وعهدت له الوزارة للمرة الأولى، ويقول عنه ابن الطقطقي صاحب الفخري[4]:"هو صاحب الخط الحسن المشهور الذي بحسنهِ الأمثال، وهو أول من استخرج هذا الخط ونقله من الكوفي إلى الوضع الذي شاع في العالم العربي"، الذي قال عنه الصولي[5]: "**مارأيت وزيرًا منذ توفى القاسم بن عبيدالله أحسن حركة، ولاأظرف إشارة، ولا أملح خطًّا، ولا**

---

(1) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص557.

(2) ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص258-259. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4/218-224.

(3) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر،4/242.

(4) ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص270.

(5) ابن تغري، جمال الدين أبي المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3، وزارة الثقافة المصرية، 1963م، ص268.

أكثر حفظًا، ولا أسلط قلمًا، ولا أقصد بلاغة، ولا أخذ بقلوب الخلفاء، من محمد بن علي بن مقلة".

يتضح أنَّ في عهد المقتدر أصبح السجع من الواجبات في عملية الكتابة الرسائلية الديوانية، فأخذت تكتب جميع المراسلات والمخاطبات الصادرة عن ديوان الرسائل بأسلوب السجع، فليس هناك وزير أو كاتب إلا وهو يُزين كتاباتهِ بالسجع[1]، وبالمقابل كانوا وزراء المقتدر شغوفين بالسجع فلاتخرج كتاباتهم إلا وهي مسجوعةٌ، وفي مقدمتهم علي بن محمد بن موسى بن الفرات، ومحمد بن عبدالله بن يحيى الخاقاني، وعلي بن عيسى الجراح[2]، إذ نرى أن السجع أصبح في عهد المقتدر يشكل عنصرًا مهماً في كتابة الرسائل الديوانية، ويعبر عن الجمال الفني الذي يتضح بصورة جليّة في تناغم مفرداته.

ولبيان أثر الحياة الثقافية في الرسائل، مانجده في الكتاب الذي كتبه محمد بن جعفر بن ثوابة في بداية حياته عندما كان يكتب تحت يدي عبيدالله بن سليمان بن وهب، الذي أمره بالإجابة على كتاب خمارويه حين أنفذ ابنته إلى المعتضد، فقال في النص الذي نحتاجه ويُطْلعنا عن الأثر الثقافي:"**أما الوديعة فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالك، عنايةً بها، وحياطةً عليها، ورعايةً لمودتك فيها**"، **فلما اطلع عليه عبيدالله بن سليمان أخذ ينقدها موضحاً أسباب نقدهِ، وهو يقول:"تفاءلت لامرأة زُفّت إلى زوجها بالوديعة، والوديعة مستردّة، وقولك من يمينك إلى شمالك أقبح، لأنك جعلت أباها اليمين وأمير المؤمنين الشمال، وكان الأحرى بك أن تقول:"وأما الهدية فقد حسُن موقعها منا، وجلَّ خطرها عندنا، وهي وإن بعدت عنك بمنزلة ما قرب منك لتفقدّنا لها، وأُنسنا بها، وأسرورها بما وردت عليه واغتباطها بما صارت إليه**"[3].

يتبين لدى الباحث أنَّ الأثر الثقافي واضح عن طريق أسلوب النقد الذي يقدمه عبيدالله بن سليمان بن وهب لمحمد بن جعفر بن ثوابة، وأنه انتقاد يُحسن من سلوك

---

(1) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص558.

(2) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 242/4.

(3) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص560.

الكاتب ومشجعًا إيّاهُ في السير على خُطى الكتّاب الكبار، وهذا دليل واضح على مكانتهم في هذا العصر، وماوصلوا إليه من ثقافة وعلم واطلاعهم على الألفاظ والمعاني الشائعة في عصرهم والعصور السابقة، وأن يكون مطلعًا على الثقافات الأخرى[1]، وإبراهيم بن المدبر (211هـ-ت279هـ) يذكر في رسالته العذراء فيما يحتاج إليه الكاتب ومايُعينه على صنعته من المعارف والعلوم، ويحثه على الإطلاع على كتب السابقين والمتأخرين، فيقول:"**وأعلم أن الاكتساب بالتعلّم والتكلُّفِ، وطول الاختلاف إلى العلماء، ومدارسةِ كتب الحكماء، فإن أردت خوض بحار البلاغة، وطلبت أدوات الفصاحة، فتصفح من رسائل المتقدِّمين وماتعتمد عليه، ومن رسائل المتأخرين وماترجع إليه، في تلقيح ذهنك، واستنجاح بلاغتك، ومن نوادر كلام الناس وماتستعين به، ومن الأشعار والأخبار والسِّير والأسماء مايتسعُ به لسانك، ويطول به قلمك،...،وفي علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والسور والشروط ككتب السِّجلات والأمانات، فإنه أول مايحتاج إليه الكاتب، تمهَرَ في نزع آيات القرآن الكريم في مواضعها، واحتلاب الأمثال في أماكنها، واختراع الألفاظ الجزلة، وقرض الشعر الجيد وعلم العروض، فإن تضمين المثل السائر، والبيت الغابر البارع ممايزين كتابتك**"[2].

فهذه الرسالة عدّت مناهجًا للكتّاب يُتبع من قبلهم، لأنَّها من الرسائل التي تحمل في مضمونها قواعد وإرشادات وتعليمات للكتابة وتكون أشبه بالكُرّاس في كتابة الرسائل الديوانية، وتضمنت آلية حول مايحتاج إليه الكاتب وكيفية انتقاء الألفاظ والمعاني وطبقات المخاطبين.

ولطالما نحن في صدد الحياة الثقافية، نلمس عن طريقها عمق التطور والإمكانات التي يمتلكها العلماء والكتّاب على وجه الخصوص في هذا العصر ومصادرهم الثقافية التي لابد من الاطلاع عليها، وبما أن ابن المدير عاش نصف عمره في العصر العباسي الأول ونصفه الآخر في العصر العباسي الثاني، إلّا أنَّهُ عُدَّ انعكاسًا لمستوى

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص257.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 4/177-178. كرد، علي، رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، 1913م، ص176.

الثقافة الديوانية في العصرين، والطبيعة العلمية السائدة آنذاك، ويمكن أن نُجمل هذا التطور الثقافي فيما ذكره ابن المدير في رسالته العذراء، فقد احتوت على ثقافة الكتّاب وصفاتهم وزيّهم، وأدواتهم، وجميع الأمور الخاصة بالكتابة، وقد استعملت كدليل للكتّاب قبل المباشرة بالكتابة[1].

وهناك شي مهم استفاد منه الكتّاب، هو نشاط حركة الترجمة واطلاعهم على الثقافات الأجنبية المترجمة من أقوال وقصص وحكم وكتب، ممّا ساهمت في رقي الرسائل الديوانية[2]، وإزاء هذا التطور الذي لمسناه في الرسائل وما للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية من تأثير عليها، ظهرت لنا أسر عربية اتسمت بوظيفة الكتابة وعرفت بها، ومنها:(أسرة بني مدّبر[3]، أسرة بني وهب[4]، أسرة بني ثوابة[5]).

وبما أن الكتّاب فئة تتمتع بثقافة وعلم ودراية وبالأمور الإدارية التي تنظم شؤون الدولة، إلّا أنَّ تلك الصفات أصبحت عنصرًا أساسيا في إسنادهم المناصب العليا، فكان النصيب الأكبر منها للكتّاب، لحاجة الدولة إليهم فالكتابة هي التي تقربهم إلى الخلافة، ويزداد احترامهم وتقديرهم، إذ كانت وسيلتهم للوصول إلى السلطة؛ هي ثقافتهم وخبرتهم في تحرير الكتب وأصول المخاطبات الرسمية، فارتقوا بها إلى أرفع المناصب وأعلاها دون الخلافة[6].

ويقول القلقشندي: "الكتابة أشرف المناصب الدنيا بعد الخلافة[7]، ويقول أيضًا في مكانة الكتّاب: "إنَّ الكتّاب ملوك وسائر الناس سُوقةٌ"، وكذلك يشير إلى مكانتهم في كتابه صبح الأعشى عن طريق إدراج قول لأبن المقفع:"الملوك أحوج إلى الكُتّاب من

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 177/4-178. كرد، علي، رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، 1913م ص176.

(2) ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ص466-467.

(3) ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص178.

(4) ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص249.

(5) ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، ص187-188.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى، 40/1-41.

(7) القلقشندي، صبح الأعشى، 37/1. ابن عبد ربه، العقد الفريد،262/4.

الكتاب إلى الملوك"[1]، فعلت مكانتهم وأصبحوا هم المتدبرين للشؤون الإدارية للدولة وفي تنظيم أمورها الداخلية والخارجية، في ذلك يقول ابن سنان خفاجي عن مكانتهم:"الكاتب ينال بالكتابة الوزارة فما دونها من رتب الرياسة، وصناعة تبلغ به إلى الدرجة الرفيعة"[2]، والخلفاء العباسين في تفضيلهم الكتّاب راجعٌ أيضًا إلى معرفتهم بالمخاطبات، وصياغة الكتب وتسير أمور الدولة وأعمالها من إصدار كتب البيعة والعهود والتقاليد وغيرها من الموضوعات التي تقع على عاتق الخلفاء والملوك والأمراء[3]. واستمرت مكانتهم في هذا العصر بالعلو ولم تتأثر بالضعف السياسي الذي الذي أصابها، وسيطرة النفوذ التركي بعد مقتل المتوكل سنة 247هـ.

ونظرًا لأهمية الكتّاب ودورهم المهم وصل بعضهم إلى منصب الوزارة[4]، وذلك لمكانتهم الثقافية وحتى صارت حكرًا عليهم، وأنه أصبح لا ينالُ الوزارة إلا أصحاب الأقلام من الكتّاب والبلغاء والمترسلين[5]، فاخذ الكتّاب يتنافسون عليها، إذ أنه كان يشترط فيمن يستوزر أن يكون صاحب قدرة وثقافة واسعة ومعرفة كبيرة في اللغة العربية وآدابها وفنونها.

وكما تعكس الحياة الثقافية العلاقات الحميدة واحترام النقاد لأساتذتهم، وهذا ما لاحظناه عندما قدّمَ عبيدالله بن سليمان نقده إلى جعفر بن ثوابة، ويتضح تأثير هذا النقد على جعفر بن ثوابة، إذ جعله يتهمُّ بانتقاء ألفاظه والعناية بصياغة رسائله، حتى أصبح من الكتّاب المهمين في عهد المقتدر، فعهد له بتولي ديوان الرسائل، فأخذ

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى،43/1.

(2) الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ص288.

(3) الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ص288.

(4) الوزارة: أول لقب اطلق في عهد السفاح على كاتبه أبا سلمة الخلال وجاء بديلاً لاسم الكاتب، الكاتب، واستقر لقب الوزارة على من يليها من أرباب السيوف والأقلام إلى انقراض الخلافة من بغداد، وتارة يضاف ديوان الرسائل إلى الوزارة فيكون الوزير هو الذي يباشر بنفسه أو من يفوضهُ إلى من يتحدث عنه. القلقشندي، صبح الأعشى،103/1 و 448/5 و149/11. و-ابن الطقطقي، صاحب الفخري، ص155.

(5) الدخيل، حمد بن ناصر، فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي، قسم اللغة العربية، جامعة محمد بن سعود، الرياض، بحث منشور، 2006م، ص14.

يُرصع كتاباتهُ بالسجع في كل مايصدر عنه بعد ما انتشر السجع في عهدهِ، ونلمس من هذه التأثيرات الثقافية تأثيرها على الرسائل الديوانية، ونورد بهذا الصدد كتابًا كتبه ابن ثوابة باسم الخليفة المقتدر، يتضمن أمرًا في إعمام إسناد منصب الوزارة لابن الفرات لسنة 304هـ لتقليده به للمرة الثانية، ويقول فيه:"**لما لم يجد أمير المؤمنين غنى عنه، ولا للملك بُدًّا منه، وكان كتّاب الدواوين على اختلاف أقدارهم، وتفاوت مابين أخطارهم مقرّين برياسته، معترفين بكفايته، متحاكمين إليه إذا اختلفوا واقفين عند غايته إذا استقبلوا، مذعنين بأنه الحُوَّل القُلب، المحنك المجرّب، العالم بدرَّة المال كيف تحلب، ووجوهه كيف تُطلب، انتضاه[1] من غمدهِ، فعاود ماعُرف من حَدّه، فنفذ الأعمال كأن لم يغب عنها، ودَبَّر الأمور كأن لم يخلُ منها**"[2] .

وعلى ثنايا ما سبق، نجد أن الكاتب ابن ثوابة كتب كتابهُ بصورة وافية وموجزة، وتحمل في طياتها معاني بليغة، ونلحظ أيضًا أسلوب السجع في كتاباتهِ.

وكان لثقافة الكتّاب الأثر الكبير في الرسائل الديوانية، وأصبحت تقوّم عمل صناعة الرسائل، وتعكس مدى العمق الثقافي الذي وصل إليه الكتّاب، وبالتأكيد هذا التطور عكس حجم اهتمام الدولة بهذه الطبقة المؤثرة على الحكم والمجتمع، ونورد مثال على ذلك، توقيع لمحمد بن عبدالله بن طاهر والي بغداد، لما وردهُ كتاب تقدم به رجلٌ معتذرٌ عن شي بدر منه تجاه الوالي، فما كان من الوالي إلا رفض اعتذاره وموضحًا أسباب ذلك، من خلال توقيعه على الكتاب، إذ قال فيه:" **ردنا قبول عذرك، فاقتطعنا عنه ما قابلنا من قبيح خطك، ولو كنت صادقا في اعتذارك، لساعدتك حركة يدك، أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة، ويمكّن له درك البغية؟**".

يتضح أن الولاة كانوا يسيرون على نهج الخلفاء في التشجيع على الكتابة والاهتمام بها، وهذا خير دليل على دور الرسائل الديوانية في تلك الحقبة، إذ كانت الكتابة

---

(1) انتضاه: سله. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب،283/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 283/4. ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ص560.

الحسنة وانتقاء الألفاظ والخط الجيد من العناصر التي تعكس ثقافة الشخصية المخاطبة ومشاعرها.

ولما بويع القاهر بالله الخلافة سنة (320–322هـ)، أصبح ابن مقلة كاتبه ووزيره للمرة الثانية، أيضًا كاتبه جعفر بن القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب[1]، وعند مجئ الراضي بالله سنة(322–329هـ)، قلد الديوان والوزارة أبن مقلة للمرة الثالثة، وبمعاونة الكاتب والوزير السابق في عهد المقتدر علي بن عيسى الجراح [2].

ثم دخول عهد المتقي بالله سنة(329–333هـ)، كاتبه وتولى وزارته سليمان بن الحسن بن مخلد، وأبا الحسن علي بن محمد بن مقلة[3]، وفي خلافة المستكفي بالله الذي بويع له سنة(333–334هـ)، حيث اضطربت الأحوال، ولم تكن هناك وزارة وبدأت إرهاصات السيطرة البويهية على الحكم[4].

نلحظ أن حال الوزارة والكتّاب في عهد آخر الخلفاء، كان ضعيفًا ولم يكن هناك دور للكتّاب ولا للوزارة، وذلك بسبب نبوغ النفوذ البويهي وسيطرتهم على مقاليد الحكم، ويشير إلى ذلك المسعودي انه لما بويع للمطيع بالله سنة 344، غلب على أمره ابن بويه والمطيع في يده ولاحول له ولاقوة، ولاخلافة تعرف، ولا وزارة تذكر، وكان يدبر الأمور أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيزراد قيمًا بأمر الوزارة وبرسم الكتب ولم يكن يخاطب بالوزارة[5]. كما أن السجع أصبح سمة بارزة على كتابات العصر، ويكاد

---

(1) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر،248/4. ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص276.

(2) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 257/4.ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص280.

(3) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر،270/4. ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص284.

(4) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر،270/4. ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص287–288.

(5) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر،270/4. ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص289.

الناظر في رسائلهم يلحظ شيوع السجع، وأنه أصبح شرطًا من شروط الترسل وهو ثمرة التأنق، والسجع يكسب المعنى قوة[1].

ويبدو لنا أنَّ الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية، وحتى الاقتصادية منها، جاءت مُطلة على الرسائل الديوانية، لما لها من ارتباط وثيق مع بعضها البعض، فبتأثر الجوانب الحياتية، يُلقى تأثيرها على الرسائل الديوانية، التي صدرت لتعالج الأزمات والأحداث والثورات التي أحدثتها النظم السياسية المتخلخلة، وتسهم في استقرار الوضع السياسي، فكان لها دورٌ كبيرٌ في تسير الأمور التنظيمية والإدارية للدولة العباسية، وأوضحت العلاقات بين الراعي والرعية، وأصبحت دستورًا للحاكم والمحكوم.

(1) زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، دار الهلال، (د.ت)، ص269.

الفصل الثاني
الدراسة الموضوعية والفنيّة

حرص كثيرٌ من كتّاب الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني، على العناية في البناء العام لرسائلهم، فضلًا عن حرصهم في إظهار الصور الفنيّة الجميلة، راغبين في ذلك أن يكون هناك تناسب بين المبنى العام والمعنى المقصود، فقد تجلّت عنايتهم بالموضوعات، وأدى ذلك التثقيف في صناعة الرسائل إلى الإجادة في أساليبهم، من طريق اختيار الموضوعات والبراعة في الاستهلال والإبداع في الاختتام، ثم أخذوا يميلون إلى الابتداع في أساليب كتاباتهم، والإتقان في ألفاظهم ومعانيهم، فلذلك أخذوا يُنمِّقون كتاباتهم بالتنويع من أساليب الكتابة، واعتمدوا على مصادر عدّة في بناء الصورة وهذا الحرص يدل على غايتهم في الابتعاد عن الزلل والخطأ وعدم إظهار عيوب صناعتهم فيما يكتبون، وتجنب التجريح والتقريع والنقد المقيت، ويبدو أنّ اهتمامهم بجرس الألفاظ، وموسيقى التراكيب، وإضفاء التناسق مع المعاني والأفكار بصورة متلاحمة تكشف عن قيمة الرسائل الفنيّة، وفي هذا الفصل سنُلقي جَلَّ اهتمامنا في دراسة الرسائل الديوانية لهذا العصر دراسة موضوعية فنّيّة.

1.2 الموضوعات

أظهر الكتّابُ في العصر العباسيّ الثاني عنايتهم بالرسائل الديوانية، فخلّفوا وراءَهم رسائل تتسم بالطابع الرسمي؛ لارتباطها بالنظام السياسي للدولة، ومعبرةً عن ميولها وتوجهاتها وسياستها، ممّا جعل الخلفاء والولاة والقوّاد يحرصون على الاهتمام بهذا النوع من الرسائل، لضمان بقاء دولتهم وسلطانهم، وحمايتها داخليًا وخارجيًا، وبغية إحكام سيطرتهم على مقاليد الحكم، وإزاء هذه الأحداث أتخذت الرسائل الديوانية صفتها الرسمية، وأصبحت وسيلة الدولة في تنظيم نظامها الإداري والسياسي، وكانت بمنزلةِ الناطق الرسمي لما يصدر عن السلطة في مخاطبتها ذات الشّأنين الداخلي والخارجي[1]، والقارئ لهذه الرسائل يدرك قيمتها الفنية والأدبية وأثرها في الحياة

(1) الهروط، عبدالحليم، الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، ص26.

السياسية والاجتماعية والثقافية، ويتجلى لنا من خلالها إبراز الملامح السياسية التي تبنتها الدولة في الحفاظ على سلطتها، وفي تنظيم شؤونها، فقد عبرت عن الأحداث والمواقف الخطيرة التي مرت بها الدولة العباسية خلال مدّة الدراسة[1]، وأظهرت لنا كيفية معالجة الدولة لهذه الأزمات من خلال المضامين التي جسدتها الرسائل الديوانية في المخاطبات الإدارية التي عُمّمت على مناطق مسؤوليتها في سائر أنحاء البلاد والدويلات، وعدّت وسيلتها الإعلامية لإذاعة ما يصدر منها من أخبار وتوجيهات في مختلف الموضوعات[2].

تميز هذا العصر بكثرة الرسائل الديوانية الصادرة عن ديوان الرسائل، بناءً على حاجة الدولة وما تقتضي مصلحتها العامة، فعُدَّ ذلك حافزًا مهمًا لتعدد أغراض المكاتبات الديوانية التي عكست الوجه السياسي والحضاري للدولة العباسية، فلذلك اختلفت وتنوعت موضوعاتها بحسب تطور الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية، وتعددت أشكال تلك المكاتبات، فمنها مايتصل بالعلاقات السياسية الداخلية للدولة التي تنظم شؤونها الإدارية والسياسية والاجتماعية وحتى الثقافية، ومنها مايتصلُ في تنظيم علاقاتها السياسية الخارجية مع البلدان الأجنبية غير المسلمة.

وجاء إضفاء الطابع السياسي والإداري على الرسائل؛ بناءً على ما تتضمنه من موضوعات مختلفة تخصُّ أمور السلطة والرعية، ثُمَّ أنها متبادلة بين السلطات الحاكمة والولاة والقوّاد، وأيضًا تقع عليها مسؤولية تنظيم العلاقات السياسية الداخلية والخارجية، وتتبنى مصالح البلد والرعية[3]، واكتسبت صفتها السياسية والإدارية عن طريق لغتها

---

(1) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص10.

(2) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص9.

(3) أبو علي، نبيل، نقد النثر في تراث العرب النقدي؛ حتى نهاية العصر العباسي656هـ، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1993، ص270. الجبوري، رمضان، الرسائل الديوانية في العصر العباسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، اطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، 1997م، ص63.

التي تتسم بالصفة الرسمية، وعناية الكتّاب في انتقاء الألفاظ واختيار العبارات، وابتعادهم عن استعمال الغريب وحوشي الكلام، مع المحافظة على الفصاحة[1].

لذلك عزمتُ على إيجاد تصنيف موضوعي لهذا اللون من الرسائل، يكون شاملًا لأغراضها قدر الإمكان وبصورة واضحة شافية، مواكبًا بذلك هدف الدراسة في بيان الموضوعات والأغراض التي تتضمنها الرسائل الديوانية التي عبرت من خلالها عن العلاقات الإدارية الداخلية والخارجية للدولة العباسية ونظام حكمهم، وعلى النحو الآتي:

أولًا: رسائل الشؤون الإدارية الداخلية:

وتندرج في مضامينها الأغراض الآتية:

1-رسائل التولية والمبايعات.

2- رسائل الخلع أو الإقالة.

3- الرسائل التشريعية.

4-رسائل العقوبات والعزل.

5-الرسائل العسكرية.

6- التوقيعات.

7-رسائل الفتن الداخلية.

8-رسائل المجاملة.

ثانيًا: رسائل الشؤون الإدارية الخارجية.

1.1.2 رسائل الشؤون الإدارية الداخلية

شهد العصر العباسي الثاني أحداثًا وصراعات وسياسية داخلية خطِرة، كان لها الأثر على المجتمع العباسي بصورة خاصة، والإسلامي بصورة عامة، إذ لعبت الرسائل دورها في القضاء على تلك الأزمات والصراعات والفتن والثورات الداخلية،

(1) الجبوري، رمضان، الرسائل الديوانية في العصر العباسي، ص88.

والوقوف بوجه الأخطار والتحديات التي أخذت تهدد كيان الدولة العباسية، وعالجت شؤون الإدارة والتنظيم الداخلي الذي يتعلق بالحياة العامة[1]، كما أن اتساع الدولة العباسية وما تبع ذلك من أحداث وسيطرة النفوذ التركي على نظام الحكم، كان لابد أن تعتني الدولة بنظامها الإداري الذي يضمن تسيير أمور خلافتها، من خلال إصدار الرسائل بمختلف موضوعاتها ذات الطابع الرسمي، وبما أنَّ العلاقات السياسية قائمة على الرسائل الديوانية ووسيلتها في رسم خططها الإستراتيجية التي تبلورت من خلال موضوعات الرسائل الديوانية، **فمن الرسائل الديوانية التي عبرت عن هذه العلاقات، ما يلي:**

1-رسائل التولية والمبايعات:

بدأ النمط الجبري الوراثي في تناقل السلطة منذ بدايات العهد الأموي، فقد حرص الخلفاء في حياتهم على تعيين ولي لعهدهم وخليفة لهم من بعدهم من آل بيتهم، ولكن سياستهم لم تكن ثابتة؛ فتخللها العديد من حالات نقض العهود، خاصة منذ مطلع العصر العباسي، وازداد الأمر تعقيدًا بسبب التنافس على ولاية العهد بين أبناء الأسرة الحاكمة؛ أي بين الأمراء العباسيين أنفسهم، وتدخلت مجموعة من العوامل في تحديد ولي العهد، كان من أهمها العصبية والأهواء، ولجأ الخلفاء إلى استخدام وسائل شتى من أجل تثبيت ولي العهد الذي ينسجم تعيينه مع مصلحة المؤسسة السياسية الحاكمة، مما عرض أمن الدولة واستقرارها الداخلي للخطر، فكان ذلك من أبرز الإشكاليات التي واجهت النظام السياسي العباسي[2]. **أما المبايعات فهي جمع بيعة، والبيعة في اللغة:** " المُبايعةُ والطاعةُ. وقد تبايَعُوا على الأَمر: كقولك أَصفقوا عليه، وبايَعه عليه مُبايَعة: عاهَده. وبايَعْتُه من البيْع والبَيْعةِ جميعًا، والتَّبايُع مثله"[3].

---

(1) القيسي، فايز، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر، ط1، 1989م، ص111.

(2) القبج، عامر أحمد، إشكالية ولاية العهد خلال عهد الخليفة العباسي محمد المهدي (158-775/169-785م): دراسة تحليلية نقدية، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد(19)، العدد(1)، 2018، ص425.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (بيع).

أما في الاصطلاح، فالبيعة هي: "أن يجتمع أهل الحل والعقد، فيعقدوا الإمامة لمن يستجمع شرائطها"[1]، وقال عنها ابن خلدون: "اعلم: أن البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشَط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده، جعلوا أيديهم في يده، تأكيدًا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسمي بيعة"[2].

وعرف التاريخ الإسلامي البيعة منذ عهد الرسول – صلى الله عليه وآلهِ وسلّم–، فبيعة العقبة تلك التي بايعت بها وفود الأنصار الرسول – صلى الله عليه وآلهِ وسلّم فيما يعرف ببيعة العقبة الأولى والثانية، فقد استوثق الرسول الكريم لدين الله ولنفسه من الجماعة الذين دعوه إلى الهجرة إليهم فلا يخذلوه ولا يتركوه عندما تشتد عليهم الأيام، وينصرونه ويؤازرونه[3].

تعدُّ رسائل البيعة من الكتب الرسمية التي لها تأثير كبير على مسامع الخاصة والعامّة حال تنصيب خليفة جديد، وقد أخذت هذه الرسائل قيمتها وأهميتها من القضية الدينية التي تمسّ العقيدة الكامنة في نفس كل فرد من المسلمين، لهذا تعد من أهم ركائز الحكم الإسلامي في عصر الخلفاء الراشدين والعصور التالية له[4].

والمبايعة نوعان: أولًا: خاصة: وتعني مبايعة أهل الحل والعقد وإقراره وسائر وجوه الناس[5]، وهي تكون بين الخليفة وخاصته ولاتقوم إلا برضى هؤلاء الأشخاص، ولاتنعقد إلا بعد اخذ رأيهم، فإذا اجتمع أهل العقد والحل على اختيار تصفحوا أحوال

---

(1) القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، ج1، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1985، ص39.

(2) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار يعرب، 2004، ص390.

(3) آل محمود، أحمد محمود، البيعة في الإسلام تاريخها وأقسامها بين النظرية والتطبيق، عمان، الأردن، دار الرازي للنشر، 2008، ص32.

(4) الغريب، سلامة هليل، الرسائل الفنية في العصر المملوكي الأول:784/648هـ ، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة مؤتة، 2003م، ص15.

(5) القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، مآثر الإنافة في معالم الخلافة،42/1.

أهل الإمامة الموجودة فيها شروطها، فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلًا وأكملهم شروطًا– تنحصر في: العدالة، والعلم، وسلامة الحواس، سلامة الأعضاء، صحة الرأي، الشجاعة، والنسب[1]، **ثانيًا: العامة:** وهي موافقة الأمة على اختيار ومعاهدته على الطاعة له والانصياع لأوامره[2] ، وهي التي نحن بصدد تناولها ودراستها، فهي من تسميتها توجه إلى العامة؛ ولما كان يتعذر من أن يبايع كل العامة جرت العادة أن تكتب الرسائل، وتُلقى على مسامع العامة في المساجد، والأماكن المأهولة بالجمهور حتى يتمكن الناس أن يسمعوا البيعة، ومثال ذلك مايتضح لنا في كتاب بيعة المنتصر بالله، وبيعة المعتز بالله.

بيعة المنتصر بالله:

كتاب بيعة المنتصر بالله يعكس لنا أساليب الدولة في إدارة شؤونها السياسية والإدارية، وتتجلى فيه سمات مختلفة تتصل بكاتب الكتاب والموضوع الذي تبناهُ وفنية التعبير عن المعنى.

السمة الأول: تتعلق بكاتب الرسالة، والقارئ للرسالة يتبادر إلى ذهنهِ أنّها كتبت من قبل الخليفة نفسه أو من ينوب عنه، لكن في ظل الأحداث التي تزامنت مع تفاصيل هذه البيعة، وماسبقها من عملية قتل المتوكل من قبل الترك وبمشاركة ابنه المنتصر بالله[3]، يعلم أن الكاتب سعيد بن حميد قد أمره الوزير أحمد بن خصيب، بأخذ البيعة للمنتصر بالله، وقد حررها على وجه السرعة، أي كتبها تحت ضغط وخوف كبير من انقلاب المجتمع ضدهم جرّاء تلك العملية، وكتبت بناءً على إرادة الحاشية –الترك–التي تريد السيطرة على الخلافة، وليس من المستبعد أن يكون الكاتب قد أُمليَّ عليه لكتابة نصوص تلك البيعة وفق ماتُملي عليهم أنفسهم ومصالحهم، حتى وصل بهم الحال لنشر إشاعة أن الخليفة شرق بقدح شربه ومات[4]، وهذه الأحداث جعلت وزير المتوكل

---

(1) أبو الحسن علي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص5.

(2) آل محمود، أحمد محمود، البيعة في الإسلام تاريخها وأقسامها بين النظرية والتطبيق، ص22.

(3) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 9/ 235.

(4) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 9/ 235، ص235.

أحمد بن الخصيب يأمر كاتبه سعيد بن حميد لأخذ البيعة، "فذكر عن سعيد بن حميد أن أحمد بن الخصيب، قال له: ويلك ياسعيد! معك كلمتان أو ثلاث تأخذ بها البيعة، قلت : نعم؛ وكلمات، وعملت كتاب البيعة، وأخذتها على من حضر وكل من جاء"[1]. وهذه الأجواء المشحونة كانت حافزًا في إصدار كتاب البيعة بهذه اللهجة التي تتلائم مع طبيعة الأحداث التي تُلقي بآثارها على المجتمع والرعية، فجاء في كتاب البيعة للمنتصر بالله[2]:

"**بسم الله الرحمن الرحيم تبايعون عبد الله الْمُنْتَصِر بالله أمير المؤمنين بيعة طوع واعتقاد ورضا، ورغبة بإخلاص من سرائركم، وانشراح من صدوركم، وصدق من نياتكم، لا مكرهين ولا مجبرين، بل مقرين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من طاعة الله وتقواه، وإعزاز دين الله وحقه، ومن عموم صلاح عباد الله، واجتماع الكلمة، ولم الشعث، وسكون الدهماء، وأمن العواقب، وعز الأولياء، وقمع الملحدين**.....".

أما السمة الثانية: تخص موضوع الرسالة الذي يتعلق في أخذ البيعة للمنتصر بالله خلّفًا لوالده المتوكل الذي قتله الأتراك، فقد احتوت على حقائق عديدة تتعلق بعلاقة السلطة الحاكمة مع الرعية، وأيضًا يظهر جهود النفوذ التركي في بسط سيطرته على نظام الحكم والخلافة.

والمطالع لنصوص البيعة يجد واقعًا سياسيًا مضطربًا، يسوده التوتر والخوف بين السلطة والعامة كون الحدث خطرًا، وتعد حادثة مقتل الْمُتَوَكِّل على يد الرقيق التركي سابقة خطِرة في تاريخ الخلفاء العباسيين.

يتجلى في بداية كتاب البيعة أنها جاءت طواعية وغير جبرية، وربطوها بالعقيدة وبتقوى الله وطاعته، فهم أرادوا بذلك استمالة عاطفة الرعية، واكتساب بيعتهم للمنتصر

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 9/ 235.

(2) التَّشَعُّثُ: التَّفَرُّقُ. الدهماء: عامة الناس. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب (العصر العباسي الأول)، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، ص224.

بالله فأن بيعتهم حجة شرعية لخلافته، ولضمان سيطرتهم وتثبيت أركان نفوذهم وحكمهم[1].

بيد أن النسق العام للبيعة يظهر عكس ذلك، إذ أنها لم تكن طواعية وتسير بأسلوب حضاري تسوده الديمقراطية، بل إنها جبرية، حيث يبدو لنا أن هناك انزعاج من قبل العامة تجاه تصرفات الترك، واشتراك المنتصر بالله معهم على قتل أبيه، إلا أنّه أراد من هذه الجزاءات حماية نفسه، كونه يعلم أنه لم يسلم منهم، فقد قتل على أيديهم سنة248هـ[2] ، ويتضح ذلك من خلال الضمانات والعقوبات التي تترتب على من ينقض البيعة، فقد عدّت عقوبات صارمة تجاه العامة وبأسلوب يتضمن الوعيد والتهديد، فيقول:" ... **فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه مسرًّا أو معلنًا، أو مصرحًا أو محتالًا،...، فكل ما يملك كل واحد ممن خان في ذلك بشيء نقض عهده من مال أو عقار أو سائمة، أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله، محرم عليه أن يرجع شيء من ذلك إلى ماله عن حيلة يقدمها لنفسه أو يحتال بها وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقل خطرها أو يجل قدرها، فتلك سبيله إلى أن توافيه منيته، ويأتي عليه أجله، وكل مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى أحرار لوجه الله، ونساؤه يوم يلزمه الحنث، ومن يتزوجه بعدهن إلى ثلاثين سنة طوالق البتة طلاق الحرج والسنة، لا مثنوية[3] فيه ولا رجعة وعليه المشي إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها، وهو بريء من الله ورسوله، والله ورسوله منه بريئان، ولا قبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، والله عليكم بذلك شهيد، وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً**"[4].

---

(1) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في العصر العباسي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1996م، ص31.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص283.

(3) أي استثناء. الحجة: السنة. الصرف: التوبة. العدل: الفدية.

(4) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 239/9. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب،226/4.

أما السمة الثالثة: فهذه تتعلق بفنية الأداء المعبر عن المعنى، حيث نرى أن الكاتب عمدَ إلى الإطناب في هذا الكتاب، لأنه أراد أن يطمئن المرسل إليه إلى صدق كلام المرسل، وأراد كذلك أن يرسل بهذا الكتاب تهديدًا لردع –العامة–المرسل إليه، بغية حملهم على قبول البيعة، وبهذا يكون الكاتب جمع بين الترهيب والترغيب، وما دعاه إلى الإطناب أنه أراد إطلاع الناس على العهود التي تتضمن نهج سياسيته التي من خلالها ينظم شؤون العلاقات السياسية الداخلية ويضمن حقوق الرعية ومتابعة أحوالهم، وكانت غايته في وضع الجزاءات إضافةً لضمان الحماية إلى نفسه، وأيضًا عدم إثارة الفتن الداخلية التي تودي إلى انهيار الدولة، والمطلع على التاريخ العباسي يلحظ أن سياسة الخلفاء تعتمد على العنف في أغلب أحوالهم للحفاظ على أمن الدولة الداخلي.

بيعة المعتز بالله:

عندما توفي المنتصر بالله سنة 248هـ ولي الخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم ولقب بالمستعين بالله وقد زادت قوة شوكة الأتراك، وفي سنة 251هـ جاء المستعين من سامرّاء إلى بغداد، وثار عليه الأتراك، وأخرجوا الْمُعتز بالله، الذي كان محبوسًا في حجرة صغيرة في القصر، وكل واحد منهما معه غلام لخدمته، موكل بهم رجل من الأتراك يقال له عيسى خليفة بلبان، ومعه عدة من الأعوان وبايعوه[1].

وهذه الأحداث أفرزت إلى ضرورة كتابة رسالة ديوانية تتضمن البيعة من المعتز موجه للعامة مما أثر ذلك في كتابة نصوص هذه البيعة الواجب القبول بها، ونورد نصًا من كتاب البيعة[2]: " **بسم الله الرحمن الرحيم، تبايعون عبد الله الإمام الْمُعتز بالله أمير المؤمنين، بيعة طوع واعتقاد، ورضا ورغبة وإخلاص من سرائركم، وانشراح من صدوركم، وصدق من نيّاتكم، لا مكرهين ولا مجبرين، بل مقرّين عالمين بما فى هذه البيعة وتأكيدها من تقوى الله وإيثار طاعته، وإعزاز حقه ودينه، ومن عموم صلاح عباد الله، واجتماع الكلمة، ولمّ الشّعث، وسكون الدّهماء، وأمن العواقب، وعزّ الأولياء، وقمع الملحدين.....،.**

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 235/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 235/4.

في كتاب بيعة المعتز بالله تتجلى بصورة جليّة الأساليب التي بقيت الدولة العباسية تعتمدها في تثبيت حكمها، والظاهرة من خلال السمات التي استخدمت في دراسة مضامين نصوص البيعة والتي تخص المظهر الذي يتعلق بكاتبها، وما يتعلق بمضمونها وأيضًا طريقة الأداء المعبر عن المعنى.

يبدو أنَّ نص هذه البيعة لم تكن صادرة من الكاتب نفسه، وإنّما هو ينوب عن المرسل سواءً كان خليفة، أو الوالي، أو من يقف وراء تلك البيعة، وربما ترجع لرأي من له مصلحة في تلك البيعة، وإن نجهل اسم كاتبها لعدم ورود ذلك في المصادر، لكن القارئ لهذا الكتاب يجد نفسه أمام كتاب بيعة المنتصر بالله، وكأنه أخرج نسخة منه من ديوان الرسائل وعُدِّلَ عليه الشيء البسيط، كتغير الاسم المبايع له، ووضع بعض العقوبات الجديدة لمن يخون البيعة ويختر بها[1].

وأما فيما يخص السمة المتعلقة بمضمون الكتاب وفنية الأداء المعبر عن المعنى، فنلحظ أن أحداث هذه البيعة تُحيلنا إلى أن هناك تتطابقًا بين كتاب بيعة المعتز بالله وكتاب بيعة المنتصر بالله، وأن هناك من قام بتحرير هذه الكتب وفق ما تبتغيه مصالحهِ، وهذا مؤشر على أن الأتراك هم الذين قاموا بإصدار الأمر بالكتابة بتلك الصيغة أثناء بيعة المنتصر بالله، وقيامهم بنسخها في بيعة المعتز بالله، وأنَّ هذه الأحداث تدلُّ على بدء التزعزع ومن ثُمَّ الانهيار لنظام الخلافة، إزاء امتداد سلطة الأتراك وبسط نفوذهم، وسيطرتهم على نظام الخلافة في التولية وولاية العهد والخلع.

2-رسائل الخلع:

يأتي الخلع نقيضًا لعقد البيعة، وهي رسائل لها غرض معين يكتبها الخلفاء أو الولاة في خلع أنفسهم من المنصب، أي بمثابة العزل عن المهام التي عهدت إليه، أو التنحي عن البيعة ونقلها إلى غيره، وفيها يتفق الخالع والمخلوع على بنودها بناءً على الأسباب الموجبة لذلك، والتي أغلبها تكون لدواعٍ سياسية، وتعدّ فسخًا لعقد البيعة، وتكون على ضربين:الأول أن يخلع الخليفة نفسه ويبايع غيره على الخلافة، والضرب الثاني أن يخلع ولي العهد نفسه ويقدم غيرهُ[2].

---

(1) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص28.

(2) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص37.

سيطر الترك على مقاليد الحكم، وقتلوا الخليفة المتوكل وأخذوا البيعة للمنتصر بالله سنة 247هـ، أرادوا من خلال ذلك تثبيت حكمهم، فعزموا القضاء على المعوقات التي تقف أمام تنفيذ خطتهم، فضعف أمر الخلافة، فأصبحوا هم أصحاب القرار، واختفى دور الخليفة، ولخَشيَة وقلق الترك على مصيرهم بعد خلافة الْمُنْتَصِر، التي ستذهب إلى أحد أخويه الْمُعتز والمؤيد، جَالَ في فكرهم إقناع الْمُنْتَصِر بأن يخلعهما من ولاية العهد من بعده[1]، وفي ذلك أورد الطبري: "لما استقامت الأمور لمحمد الْمُنْتَصِر بالله، قال أحمد بن الخصيب لوصيف وبغا: "إنا لا نأمن الحدثان، وأن يموت أمير المؤمنين، فيلي الأمر الْمُعتز، فلا يبقي منا باقية، ويبيد خضراءنا، والرأي أن نعمل في خلع هذين الغلامين قبل أن يظفرا بنا. فجد الأتراك في ذلك، وألحوا على الْمُنْتَصِر وقالوا: يا أمير المؤمنين؛ تخلعهما من الخلافة، وتبايع لابنك عبدالوهاب، فلم يزالوا به حتى فعل"[2].

وفي سنة 248 هـ خلع الْمعتز والمؤيد أنفسهما، وكتب كل واحد منها إقرارًا بخطه أنّه خلع نفسه من البيعة التي بويع له، وأن الناس في حل من حلها ونقضها، وأنهما ليسوا أهلاً للقيادة والخلافة، ثم أشهدوا عليهم الشهود بذلك، وأجبروهم على إقرار خلعهما أمام حضور الناس والقوّاد والقضاة[3]، وجاء كتاب خلع المعتز والمؤيد نفسيهما[4]:

"**بسم الله الرحمن الرحيم: إن أمير المؤمنين الْمُتَوَكِّل على الله – رضي الله عنه– قلدني هذا الأمر، وبايع لي وأنا صغير، من غير إرادتي ومحبتي، فلما فهمت أمري علمت أني لا أقوم بما قلدني، ولا أصلح لخلافة المسلمين، فمن كانت بيعتي في عنقه فهو من نقضها في حل، وقد أحللتكم منها، وأبرأتكم من أيمانكم، ولا عهد لي في رقابكم ولا عقد، وأنتم براء من ذلك**".

---

(1) ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص13.

(2) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 244/9.

(3) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 246/9.

(4) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 246/9. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب (العصر العباسي الأول)، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، ص230.

خلع الْمُعتز نفسه:

كما ذكر سابقًا أن الأتراك أقنعوا المنتصر بخلع أخويه المعتز والمؤيد، وقد حجزا في حجرة صغيرة في القصر، ثم انقلب الأتراك على المنتصر وعزلوه، ثم قتلوه، وولوا الخلافة للمستعين بالله وهو أخو المتوكل سنة 248هـ، وبقي في الحكم إلى سنة 252هـ، لما عزلوا المستعين، عمدوا إلى إخراج المعتز بالله من سجنه وبايعوه، فجهز المعتز جيشًا لمحاربة المستعين، واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين، فوقعت بينهما معارك عدّة، وبعد تدخلات للصلح خلع المستعين نفسه في أول سنة 252هـ، وأشهد عليه القضاة وغيرهم، ورُحِّل إلى مدينة واسط، فأقام بها تسعة أشهر في حبسه، ثم ردّ إلى سامراء، وأرسل المعتز إلى أحمد بن طولون أن يذهب إلى المستعين فيقتله، فقال: والله لا أقتل أولاد الخلفاء، فندب له سعيد الحاجب، فذبحه في ثالث شوال من السنة وله إحدى وثلاثون سنة[1]، وفي نفس السنة خلع الْمُعتز أخيه المؤيد من العهد، وضربه وقيده فمات بعد أيام، فخشى الْمُعتز أن يتحدث عنه أنه قتله أو احتال عليه، فأحضر القضاة حتى شاهدوه وليس به أثر، وكان المعتز مستضعفًا من الأتراك[2].

كان المعتز مستضعفًا من الأتراك، إلى درجة أنهم كانوا هم الحكام الوحيدين، ولما طلبوا من المعتز أن يعطيهم أرزاقهم، ولم يكن قد بقي في بيت مال المسلمين أموالًا، فاجتمع الأتراك على خلعه، ووافقهم صالح بن وصيف، ومحمد بن بغا، فلبسوا السلاح وجاءوا إلى دار الخلافة، أرسلوا إلى المعتز أن أخرج إلينا، فأجابهم يقول: قد شربت دواء وأنا ضعيف، فهجم عليه الجماعة، وسحبوه من رجله، وضربوه بالدبابيس، ووضعوه في الشمس في يوم مُلتهب، وهم يضربون وجهه ويقولون: اخلع نفسك، ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب والشهود وخلعوه، ثم أحضروهُ من بغداد إلى دار محمد بن الواثق المهتدي بالله في سامراء ، وكان المعتز قد أجلاه من بغداد، فسلم المعتز إليه بالخلافة وبايعه، ثم أخذوا المعتز بعد خمس ليالٍ من خلعه، فأدخلوه الحمام

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 9/284-285. شاكر، محمود، خلفاء العصر العباسي الثاني، المكتب الإسلامي،2001م، ص104-109.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص286.

فلما اغتسل عطش، فمنعوه الماء، ثم أخرج فسقوه ماء بثلج، فشربه وسقط ميتًا، وذلك في سنة 255هـ[1]، وقد جاء في كتاب خلع المعتز نفسه[2]:

"**بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أشهد عليه الشهود المسمّون في هذا الكتاب، شهدوا أن أبا عبد الله ابن أمير المؤمنين الْمُتَوَكِّل على الله أقرّ عندهم وأشهدهم على نفسه، في صحة من عقله، وجواز من أمره، طائعًا غير مُكرَه، أنّه نظر فيما كان تقلّده من أمر الخلافة والقيام بأمور المسلمين، فرأى أنه لا يصلح لذلك ولا يكمل له، وأنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها، ضعيف عن ذلك، فأخرج نفسه وتبرّأ منها وخلعها من رقبته وخلع نفسه منها،...، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة 255هـ**".

ويتضح ممّا سبق أن الخلافة العباسية قد وصلت إلى أدنى درجات الانحدار والضعف، ويظهر المشهد الذي أجبر فيه المعتز بالله خلع نفسه، أن الأتراك كلمة الفصلِ في هذه المدّة من الخلافة، فيخلعون الخليفة جبرًا، ويجبرونه على اتهام نفسه بعدم أهليته للخلافة، ثم يقتلونه عطشًا.

أن هذه المخالعات التي تضمنت أسلوب الإقالة والعزل عكست لنا سمات الخلافة العباسية وما آلت إليه الأحداث وماترتب عليها من أزمات وإثارة الفتن حتى بين الأسر الحاكمة والأخوة، بسبب النزاعات على السلطة، وبغية سيطرة الترك على الحكم.

أما السمات التي عكستها فهي: **السمة الأولى المتعلقة بالكاتب الذي كتب الرسالة،** هو المخلوع شخصيًا لكنه أملي عليهم، أي المعتز والمؤيد في كتاب الخلع الأول الخاص بخلع المعتز للمرة الأولى، فلما ولّى الخلافة المنتصر بالله أمر بإحضار أخويه المعتز والمؤيد، وعلموا سبب إحضارهم هو تقديم الاستقالتهم جبرًا عن ولاية

---

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص286. الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 390/9-391. ابن الأثير، الكامل في التأريخ، 256/6.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب (العصر العباسي الأول)، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، ص271.

العهد والبيعة للمنتصر بالله، فكان الكتاب يجري بين المرسل هما المعتز والمؤيد والمرسل إليه هو المنتصر بالله، **ويتضح في الكتابين أعلاه أنه (خلع المعتز والمؤيد، وخلع المعتز للمرة الثانية)، أنه قد أملي عليهم ووافقوا على ما جاء في مضمون كتاب الخلع.**

أما السمة الثانية التي تتعلق بمضمون رسائل الخلع الخاصة بالمعتز والمؤيد، نلحظ فيه أن مضمون هذا الكتاب هو إقالتهم عن ولاية العهد والبيعة للمنتصر بالله، وأنهم أرغموا على الخلع ولم يكن بموافقتهم بل جاء بصورة جبرية، حتى أنه أُملي على المعتز والمؤيد، ولم يكن منهما إلا أن وقعا عليه، مجبرين على خلع أنفسهما[1]، فلم يكن لهما خيار ثالث، إما القتل، وإما أن ينفذوا ما طلب منهم، فاختارا أن ينفذا مطلب المنتصر، الذي كان بطلب من الأتراك، وهذا يؤكد ما كان للأتراك من نفوذ، فهم الذين يعينون، وهم الذين يعزلون، ثم قرأت من قبل أحمد بن الخصيب، وقال كل منهما:" هذه رقعتي وهذا قولي، فاشهدوا عليّ، وقد أبرأتكم من أيمانكم وحلّلتكم..."[2].

أما السمة المتعلقة بالمضمون الذي يخص كتاب خلع المعتز للمرة الثانية، فمضمونه أن مجموعة من الجند الترك قد طالبوا المعتز بالله أن يعطيهم أرزاقهم، بغية قتلهم صالح بن وصيف التركي، ولم يكن في بيت المال من النقود التي تسد حاجتهم، أرسل المعتز إلى أمه يسألها أن تعطيه مالًا، فأجابته بعدم وجود أموال لديها، وإزاء ذلك ثاروا عليه وأجبروه على خلع نفسه، وجهزوا كتابًا بخلعهِ ولم يكن منه إلا أن وقع عليه بالخلافة والبيعة لمحمد بن الواثق المهتدي بالله، حتى وصل بهم الحال أن أجبروه على إتهام نفسه بعدم أهليته للخلافة ثم قتلوه[3].

وفيما يخص السمة المتعلقة بفنيّة الأداء المعبر عن المعنى، فنجد أن كاتب الكتاب خلع المعتز والمؤيد مال إلى الإيجاز، ويظهر أن الكاتب أسقط المقدمات كلها والخاتمة رغم أن الكتاب موّجه إلى الخليفة وهو المنتصر بالله، وهذا ليس من عادة

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 245/9.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، ص230.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص286. الطبري، تاريخ الطبري:تاريخ الرسل والملوك، 390/9-391.ابن الأثير، الكامل في التأريخ، 256/6.

المكاتبات الموّجه للخلفاء، لكنه أثبت الموضوع فقط، ويبدو أن سبب هذا الإيجاز يعود إلى الدواعي التي كُتبَ فيها، أو الحالة الشعورية المسيطرة على الكاتب أثناء الكتابة، وربما رغبة المرسل من إبلاغ المرسل إليه بمضمون رسالتهِ بصورة سريعة، وهذا الإيجاز جاء متناغمًا مع طبيعة الحدث والأجواء القلقة التي سادت فترة كتابة هذا الخلع.

بينما الكتاب الثاني الخاص بخلع المعتز بالله للمرة الثانية، قد جنح الكاتب فيه إلى الإطناب نوعًا ما، بسبب طبيعة الحدث الذي دعا إلى ذلك، فأحتاج الكاتب أن يطيل في تعنيف المخلوع وأنه غير قادر على الخلافة، ولايصلح لها، وأنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها[1]، وذلك لتكون حجةً شرعيةً في إقرار الخلع له، والبيعة للمهتدي بالله، بعد ذلك أقرَّ بما قرئ عليه ثم وقع.

3-الرسائل التشريعية:

هي الرسائل التي تحمل في مضامينها أوامر بتقليد الولاة والعمال والعهود[2]، ومنح الصلاحيات لهم، وكذلك تتضمن الأوامر والتوجيهات الصادرة عن الخلفاء والأمراء، وكذلك الرسائل التي يستوجب تعميمها على الرعية أو مايعرف بالمناشير[3]، ففي هذه

---

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص287. الطبري، تاريخ الطبري:تاريخ الرسل والملوك، 391/9.

(2) العهود: هي الواجبات والصلاحيات المناطة بالمكلف بمنصب الولاية بالعهدن لو منصب آخر، وهي أشبه بوثيقة رسمية تعطى لتسلم منصب معين عبارة عن دستور مصغر، أو منهج مرسوم، فكان لابد لمن يتم اختياره أن يكتب عهدهُ. رندا، حسين، الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني(232-334هـ): دراسة في المضامين والأساليب، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2009م، ص32.

(3) المناشير: تطلق على الرسائل التي تذاع بين الناسم، وتقوم الدولة بإصدارها وتوجيهها،أما تكون للعامة أو للخاصة، وأنها تحمل مضامين عدّة وتتسم بالطابع الرسمي، فيه تظهر سياسية الدولة وميولها، ويقول محمد الدروبي:"أنه بيان إعلامي يُذاع بين الناس ليتسنى لهم العلم بمضمونه"، في تحديد سمة المنشور أمران،الأول، فهو أن يستهدف المنشور عامة الناس، والثاني، يكون متعلقًا بين الجهة التي توجه المنشور والجهة التي تتلقاه. الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، اطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية،1996م،

الرسائل ترسم أسس وثوابت الولاة والعمال وغيرهم[1]، ومن أهم الرسائل التي تجسد هذا الجانب (عهد الموفق إلى أحد الولاة وكتبه أبو العباس بن ثوابة)، الذي يحمل في صفحاتهِ أغلب الموضوعات التي تتضمنها الرسائل التشريعية، التي يمكن توظيفها في موضوعات الرسائل الديوانية، وهي بمثابة رسم للصلاحيات الممنوحة له في أداء المهام المكلّف بها، يذكر ابن ثوابة ماجاء في هذا الكتاب، ويقول فيه [2]: " **أمره بتقوى الله وطاعته، وخشيته ومراقبته،.، وأمره أن يشعر قلبه خيفة الله وهيبته والتفويض إليه، والاعتماد عليه، وأن يجعل كتاب الله عز وجل له إماما،...، أمره أن يكون أول مايُعنى به ويقدّمه،إقامة الصلاة لمواقيتها،...، وأمره أن يلهم نفسه في كل حال من حالاته، وصغير وكبير من أمره،...، وأمره أن يحسن الولاية لأهل عمله، والسياسة لمن استرعى أمره، ويكثر الجلوس لهم، والنظر في أمورهم...، وأمره أن يتفقّد من معه من موالى أمير المؤمنين وأوليائه،.، وأمره أن يقدّم أهل الفضل والصلاح والمشايعة والموالاة والنصيحة للسلطان ويدنيهم ويقرّبهم،...، وأمره ألّا يقدم على سفك دم، ولا تخلية سبيل محبوس، ولا قطع مستحقّ للقطع، حتى يكتب إليه باسم من وجب ذلك عليه، واسم أبيه وقصّته، في إقرار إن كان منه،...، وأمره أن يشرف على أهل الدّعارة والفساد في عمله ويقمعهم ويردعهم، فيشرّد بهم، ويعاقب من استحق العقوبة منهم بقدر جرمه،...، وأمره فمن تجاوز أمره وتعداه تقدّم في حبسه وكتب باسمه واسم أبيه،...، وأمره أن يتفقّد طرف عمله ومسالحه،...، وأمره أن يحسن معونة أحمد بن محمد، المتقلّد لأعمال الخراج والضّياع قبله،...، وأمره أن يتفقّد من فى الحبس قبله، ويكثر عرضهم والنظر في أمورهم، والأسباب التي حبسوا بها،...، وأمره أن يتخيّر للحسبة على أهل الأسواق وسائر أصحاب الصناعات والبياعات، من يعرف بالقصد في مذهبه، والستر في نفسه، والعفاف في طعمته،...، وأمره أن يقرأ عهده على أهل عمله، ويعلمهم رأيه فيه، وعنايته بما فيه صلاحهم،**

ص10. الطراونة، نعمات، ديوان الرسائل في العصر العباسي الأول، اطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، 2008م، ص76.

(1) الجبوري، رمضان، الرسائل الديوانية في العصر العباسي، ص63.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 290/4.

والإحسان إليهم، والعدل عليهم،...، ثم أخيرًا، هذا عهدي إليك، وأمري إياك فيما قلّدتك وأسندت إليك، فامتثله واعمل به ولا تجاوزه، واستعن بالله فيما غلبك منه يقك، وأسأل الله أن يصلى على محمد عبده ورسوله، وأن يوفّقك ويحسن كفايتك، والسلام".

وعند دراسة هذا الكتاب نلحظ فيه سمات مهمة، **أولها: تتعلق بكاتب الرسالة** المرسل والمرسل إليه، وبموضوعها وفنيّة الأداء المعبر عن المعنى.

السمة الأولى: نجد فيه أن الرسالة موجّه من أبي أحمد الموفّق بالله ولىّ عهد المسلمين إلى أحد ولاته المسند إليه أحدى مناطق أعماله[1].

أما السمة الثانية التي تتعلق بموضوع الكتاب، فهذا الكتاب يتضمن مجموعة أوامر وتوجيهات كانت بمثابة العهد الذي يشمل الصلاحيات الممنوحة لهذا الوالي والتي ينبغي أن لايتجاوزها، وهي موجه من الجهة العليا إلى الجهة الأدنى منها، وأيضًا عبرت عن مجموعة وصايا رسمية تمثل سياسية الدولة في تسير أمورها الإدارية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، لذلك اكتسبت مضامين هذا الكتاب الغطاء الشرعي في تنفيذها، ممّا دعاه في آخر الكتاب أن يأمره بتعميم وإذاعة هذه العهود والأوامر والتوجيهات على مناطق مسؤوليته، والعمل بموجبه، والاستعانة بالله في تنفيذ ماجاء في هذا الكتاب.

وفيما يخص **السمة الثالثة المتعلقة بفنية الاداء المعبر عن المعنى،** نجد أن الكاتب عمدَ إلى الإطناب فيه والتوسع؛ لأنّ موضوع الكتاب يقتضي الإطالة والتفصيل، وذلك لحساسية المنطقة الواقعة تحت سلطة هذا الوالي، ولابد من المحافظة على ثغورها، إذ لابد من تذكير الوالي بالواجبات والصلاحيات للمهام التي أسندت إليه، وفي مراعاة الرعية ومتابعة أحوالهم، وبضرورة حماية هذه المنطقة من أخطار الأعداء والمحرضين على الفتن والثورات.

ومن الأغراض التي توظف ضمن الرسائل التشريعية رسائل **التقليد** كما يعرفها القلقشندي:"يقال قلدته أمراً كذا، والتقليد بمثابة أمر بالتعيين يصدر إلى موظف من كبار الموظفين، في توليهم للمناصب: صاحب ديوان، قضاة القضاة، نظار الأوقاف،

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 290/4.

الوزراء،أمراء النواحي والولاة، وكتاب السر"[1]. وهي تشبه في زماننا بالمراسيم أو الأوامر التي يصدرها رئيس الدولة بتعيين كبار الموظفين في مناصبهم الهامة، كالوزراء والسفراء والمحافظين، **ومن رسائل التقليد وما كتبه محمد بن عبد الله إلى عماله باستخلافه أخاه عبيد الله بعده، قبل مماته أثر علة لازمته بسبب تقرحات في الحلق والرأس سنة 253هـ[2]:" أما بعد: فإن الله عزوجل جعل الموت حتما مقضيّا جاريا على الباقين من خلقه، حسب ما جرى على الماضين،...، وإن يحدث بي الحدث الذي هو سبيل الأولين والآخرين، فقد استخلفت عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين، أخي الموثوق باقتفائه أثرى، وأخذه بسدّ ما أنا بسبيله من سلطان أمير المؤمنين، إلى أن يأتيه من أمره ما يعمل بحسبه، فاعلم ذلك وأتمر فيما تتولاه بما ترد به كتب عبيد الله وأمره إن شاء الله".**

أما سمات تلك الرسالة: الأولى تتعلق بكاتب الرسالة، وهو محمد بن عبدالله بن طاهر والي بغداد إلى عماله. **والسمة الثانية** المتعلقة بموضوع هذه الرسالة، يتجلى لنا موضوعها في تقليد عبيدالله بن طاهر خلّفًا له على ولاية بغداد[3]. **أما السمة الأخيرة المتعلقة بفنية الأداء المعبر عن المعنى** أن الكاتب استخدم الأسلوب الواضح واعتمد على الإيجاز في القول، كون الوضع لايحتمل الإطناب فيه، ربما لسوء حالته الصحية وتداعيات مرضه الشديد، وأنَّ المعاني التي استخدامها لم تكن بعيدة عن إدراك المتلقي لها، وبالإمكان الوقوف عليها والوعي بها، حيث اكتفى بالإقتصاد في الكلام، وأنه أراد التعبير بشكل سريع عن غرض رسالته.

4-رسائل العقوبات والعزل:

دعت حاجة الدواوين إلى وضع نوع من المكاتبات تكون أشبه بالعيون المراقبة لعمل الولاة وعمالهم في مناطق مسؤوليتهم، ويقوم هذا النوع من الرسائل بتوجيه

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى،101/11. سليم، محمود، عصر سلاطين المماليك، مج5، ق1، ج3، المكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، 1955م، ص132-138.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 270/4.

(3) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 276/9-277.ابن الأثير، الكامل في التأريخ، 244/6.

العقوبات إلى المخالفين منهم، وكلٌّ حسب مخالفته، وتتراوح هذه العقوبات بين العتاب الخفيف والمداراة والطرد المخزي وصولا للموت[1]، ويمثل هذا النوع من الرسائل كتاب أحمد بن طولون إلى ابنه الذي عصى عليه، ومُنذرًا له ومُوبّخًا على فعله، كتبه ابن عبد كان[2]، يقول فيه[3]: "**من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين، إلى الظالم لنفسه، العاصي لربّه، الملمّ بذنبه، المفسد لكسبه، العادي[4] لطوره، الجاهل لقدره،...، أما بعد، فإن مثلك مثل البقرة تثير المدية بقرنيها، والنملة يكون حتفها في جناحيها، أيها الأحمق الجاهل، الذي ثنى على الغيِّ عطفه، واغترّ بضجاج المواكب خلفه،.، إذ على الله عزوجل تمرّدت وشردت، فإنه تبارك وتعالى قد ضرب لك في كتابه مثلا: ((قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ))[5]،...، فحينئذ تعلم أيها المخالف أمر أبيه، القاطع رحمه، العاصي ربّه، أي جناية على نفسك جنيت،...، إلا أن تراجع من طاعتنا، والإسراع إلى ما قبلنا، خاضعا ذليلا كما يلزمك، فتقيم الاستغفار مقام اللعنة، والرّقّة مقام الغلظة، والسلام على من سمع الموعظة فوعاها، وذكر الله فاتقاه، إن شاء الله تعالى**".

وفي هذا الكتاب نكشف السمات التي تتعلق بكاتب الكتّاب، وموضوعها وفنيّة الأداء المعبر عن المعنى، **فالسمة الأولى فيما تتعلق بالكاتب**، يتضح أنها موجّه من والي مصر أحمد بن طولون إلى ابنه العباس العاصي عنه.

---

(1) الجبوري، رمضان، الرسائل الديوانية في العصر العباسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص67.

(2) هو أبو جعفر محمد بن عبدالله بن عبد كان، كان كاتب في الدولة الطولونية، كونه بليغًا مترسلًا فصيحاً. ابن النديم، الفهرست، ص197. الياقوت، معجم الأدباء، 85/6. ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه، 348/1. القلقشندي، صبح الأعشى، 95/1.

(3) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 171/4. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 317/4.

(4) العادي: عدا الأمر وعنه: جاوزه، والطور: القدر.

(5) سورة النحل، الآية: 112.

ثم السمة الثانية التي تخص موضوعها، أنَّ أحمد بن طولون تولى ولاية مصر سنة257هـ في عهد الخليفة المعتمد، ثم توجه إلى الشام غازيًا، وأثناء مغادرة والده، عمدَ إلى أخذ الأموال التي في عهدت الدولة، والنزول إلى أفريقيا، بعد ذلك علِمَ والده بذلك، فأرسل كتابًا يستعطفه ويستميل فيه عواطفه، لكن لم ينجح ذلك، ثُمَّ أرسل جيشًا لمقاتلة العباس وأصحابه، فهزم هو ومن معه، وأُخذَ أسيرًا إلى أبيه فأمر بضربهِ مائة سوط وحبس في حجرة في دارهِ سنة 268هـ، ومات أحمد بن طولون سنة 270هـ[1].

أما في السمة الثالثة المتعلقة بفنيّة الأداء المعبر عن المعنى، فكاتب الرسالة عمدَ إلى الإطناب وذلك لتفاقم الأمر، وأنه أراد أن يطيل في الكلام الموجه إلى ابنه لعله يرجع إلى رشدهِ دون مقاتلة، فحدثه حديثًا لينًا فيه نوعًا من العاطفة بغية استمالة عواطفهِ، فلم يرجع ممّا جعل والده يغضب ويجهز جيشًا للقبض عليه وجلبهِ إليه، لأنَّ هذا الفعل يَعدُّ تجاوزًا على سيادة الدولة الطولونية وأمنها، ومهددًا كيانها السياسي والاجتماعي، فكان لابدَّ على الكاتب أن يستعمل هذا الأسلوب عاكسًا وجهة نظر أحمد بن طولون، ويبدو أنه أراد استمالة مشاعر ابنه العباس وحملهُ على الرجوع عن فعلتهِ، لكن رفض العباس للعدول عن موقفهِ، جعلهُ ملزمًا أن يستخدم القوة في ردعهِ حتى يكون عِبرةً لغيرهِ.

وهذا الكتاب يتضمن شي يشبه اليوم مايعرف بعقوبة الإنذار، فهو وجه له توبيخًا وإنذاراً على فعلتهِ، وعلى الرغم من ذلك نجد هذا الكتاب امتاز بكثافة اللغة وقساوتها والمبالغة في إظهار الشدّة في مواجهة المخالفة، يتضح إزاء ذلك الدور الكبير الذي مارسته الرسائل الديوانية في إرجاع وردع المخالف، والسيطرة على مقاليد الحكم.

ومن رسائل العقوبات مانجده في كتاب سعيد بن عبدالملك إلى عبيدالله بن سليمان بن وهب، عندما منع حاجب بن سليمان عن رؤيته، فكتب إليه[2]:" **سرت إلى بابك- أعزك الله- عند ما حدث من أمرك، فلم يقض لقاؤك، وعلمت أن ثقتك بما عندي قد مثّلت لك حالي من السرور بنعمة الله عندك، وأرتك موضعي من الاعتداد**

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، 5/7. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 317/4. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4/ 171.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 282/4.

بكل ما خصّك ووصل إليك، فوكلت العذر إلى ذلك،...، وهو- كما علمت-، لئيم الطبيعة، يحجب عنك الكرام، ويأذن عليك للّئام، كلما نجمت[1] له يد بيضاء، أتبعها يدا سوداء، فإن رأيت- أعزك الله- أن تصرفه عن باب مكارمك فعلت إن شاء الله".

ومن الرسالة السابقة تتجلى مكانة الكتّاب والعلاقة الودية التي بينهم، ممّا تُدّلي بانعكاسها على الرسائل الديوانية، وكشفت لنا عن السمات التي ركزنا عليها في دراسة موضوعات هذا النوع من الرسائل، والتي جعلناها أسلوبًا نتبين عن طريقهِ كاتب الرسالة (المرسل والمرسل إليه)، وموضوعها وفنيّة الأداء المعبر عن المعنى، **فالسمة الأولى** نلحظ أن الرسالة تجري بين المرسل الكاتب سعيد بن عبدالملك، والمرسل إليه الكاتب عبيدالله بن سليمان بن وهب.

وأما السمة الثانية التي تخص موضوع الرسالة، إذ عمدَ سعيد بن عبدالملك أن يوصي عبيدالله بن سليمان بن وهب بإعفاء الحاجب ومعاقبته، كونه لم يدخله على ابن سليمان، معبرًا فيه عن اِمتعاضهِ وغضبه من هذا الأمر، ونلاحظ كيف يصفه بأنه لئيم يدخل اللئام ويمنع الكرام، وتتضح من طلب المعاقبة مكانة سعيد الكاتب بالنسبة لابن سليمان.

وفيما يخصُّ فنيّة الأداء المعبر عن المعنى، الكاتب جنحَ نحو وجازة التعبير لرغبته في سرعة إيصال خبر تلك الحادثة وغضبه الشديد من تلك الإهانة، فلذلك جاءت العبارات الموجهه للمخاطب المرسل إليه قصيرة ومركزة.

5-الرسائل العسكرية:

أدَّى الفتح الإسلامي للدولة العباسية خلال مدَّة حكمها إلى إنشاء دولةٍ مترامية الأطراف، تتمتع بقوة ونفوذ عسكري، حيث أوجدت لها نظام دفاعي كبير يُمكنها في المحافظة على قوتها وسلطتها وحكمها، فكانت لابد أن تنتشر قواتها العسكرية في سائر الأراضي الواقعة تحت مناطق مسؤوليتها، فدعتها الحاجة إلى التمسك بالرسائل الديوانية واتخاذها وسيلة في السيطرة على مناطق حكمها، فجرت مكاتبات متبادلة بين القيادات العليا(الخليفة)، وبين القوّاد والولاة، احتوت هذه المكاتبات على مضامين عسكرية كالأوامر في أخذ الحيطة والحذر من الأعداء والتربص بهم، في تحصين

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 282/4.

مواقع مدنهم، أو الاستعداد لغزو، أو في إسناد الجبهات والحدود المحاذية لمناطق العدو، وأيضًا تدخل في مضامينها البرقيات التي هي كتب عسكرية ترسل في الحروب والأزمات السياسية الخطرة، وفي الانتصارات وتكون قصيرة ووافية وموجزة، وهي تعد إخباراً سريعًا للقيادة المركزية بالانتصار والفتح والأمور الهامة جدًا[1] وعلى ضوءها تصاغ الكتب في ذلك.

ومن الرسائل التي تفضي بنا لمضامين عسكرية، وتغطي هذا الجانب بوضوح، كتاب محمد بن عبدالله بن طاهر إلى أهل بغداد بأمرٍ من الخليفة المستعين سنة 251هـ[2]، كتبه سعيد بن حميد الكاتب[3]، الذي يتضمن أوامر عسكرية بتحصين مدينة السلام(بغداد)، عندما عقد المعتز الحرب على عمهِ المستعين، فسار إلى بغداد ومعه جمعٌ من الترك والمغاربة، فصدهم ابن طاهر، فكتب سعيد كتابًا وأذاعه على الناس في مسجد بغداد الجامع، **وفي ثنايا هذا الكتاب تتضح لنا سمات متعددة:**

أولها: ما يتعلق في المرسل والمرسل إليه، الكتاب موجّه من محمد بن طاهر إلى أهل بغداد. **ثم السمة الثانية:** تتعلق مضمون الرسالة، فهو يتحدث فيه بعدة محاور منها التحميد والشكر لله في مطلع الكتاب، ومن ثمَّ الإشادة بالخلفاء العباسيين وحمايتهم على الدين، ويشير إلى فضل المستعين، بعد ذلك يتحدث الكاتب عن دور والي بغداد ابن طاهر بصفته القائد العسكري، والإشادة بحنكتهِ وخبرته في المعارك ومادحًا له من ألفاظ المديح، والتي تجلت من خلال عباراتهِ، وهو يقول[4]:" **ولله عند أمير المؤمنين- في رئيس دعوته، وسيف دولته، والمحامى عن سلطانه، ومحلّ**

---

(1) بلبع، عبدالحليم، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، عبدالحليم، مطبعة الانجلو المصرية، القاهرة، 1995م، ص144.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 237/4.

(3) هو سعيد بن حميد، ويُكنى أبا عثمان، كاتب وشاعر، يتمتع بجزالة الألفاظ وعذوبتها، وله مجموعة من الكتب، قلده عمل كاتب لأحمد بن الخصيب، وقلده المستعين ديوان الرسائل.ابن النديم، أبو الفرج محمد، الفهرست، تحقيق:رضا تجدد، ص137. و-يُنظر:الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 264/9.

(4) الطبري، تاريخ الطبري الرسل والملوك، 298/9. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 240/4.

ثقته، والمتقدّم في طاعته ونصيحته لأوليائه، والذّابّ عن حقه، والقائم بمجاهدة أعدائه، محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين- نعمة يرغب إلى الله في إتمامها، والتوفيق لشكرها، والتطوّل بمن أراد المزيد فيها، فإن الله قدّر لآبائه القيام بالدعوة الأولى لآباء أمير المؤمنين، ثم جمع له آثارهم بقيامه بالدولة الثانية".

ثمَّ يتناول محورًا مهمًا لتوجيهات وأوامر المستعين لابن طاهر بتحصين بغداد، حيث أمره بتكثيف جهودهِ، فعمل ابن طاهر بما جاء فيها، وقام بشحن الجانب الشرقي والغربي بالرجال والعُدَّة، ووكَّل بكل ناحيةٍ من يقوم على حفظها وحراستها، وجعل بكل باب من الأبواب قائدًا يقفُ على حراستها، وحمى أسوارها، وأتخذ عليها مناوبات للحراسة ليلاً ونهارا، وأرسل الرجال للاستطلاع عن العدو ومعرفة أعدادهم وحركاتهم ومقاصدهم، وأخذ يشد عليهم ويرفع من همّمهم والإصرار على مقاتلة الكفّار، محتسبين خطاهم لدى الله وواثقين بالثواب الآجل، والجزاء العاجل،إذ قال[1]:" **وقد رتّب محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين بذلك الباب والأبواب التي سبيلها سبيله من أبواب مدينة السلام الجيوش في العُدّة الكاملة، والعِدّة المتظاهرة، مَعَاقلُهم التوكّل على ربهم، وحُصونُهم الاعتصام بطاعته، وشعارهم التكبيرُ والتهليلُ أمام عدوهم، ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين يأمرهم بتحصين ما يليهم، والإمساك عن الحرب ما كانت مندوحةٌ**[2].

ثمَّ يتناول محورًا آخر في الكتاب نفسه واصفًا خطورة تلك الفرقة الضالة(الأتراك)، وما أحدثته من فتنة وانشقاقات داخل البيت العباسي، حيث انقسمت الخلافة إلى مركزين عسكريين، في سامراء المعتز الذي يدعمه الترك، والمستعين الذي يدعمه أيضا الترك الموجودين في بغداد مع مناصرة والي بغداد له، وقال في ذلك:"**وقد علمتم ما كان كتاب أمير المؤمنين تقدّم به إليكم فيما أحدثته الفرقة الضالّة عن سبيل ربها، المفارقة لعصمة دينها، الكافرة بنعم الله، ونعم خليفته عندها، المباينة لجماعة الأمة التي ألّف الله بخلافته نظامها، المحاولة لتشتيت الكلمة بعد اجتماعها.**

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري الرسل والملوك، 298/9. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 242/4.

(2) مندوحة: سعة. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 242/4.

ثم في المحور الأخير يتحول في نهاية كتابه لإعلام الناس وإذاعة النصر عليهم، ويقول:" **حتى ألحقوهم بالمعسكر الذي كانوا عسكروا فيه وجاوزوه، وسلبوهم كلّ ما كان من سلاح وكراع[1]وعتاد الحرب، فمن قتيل غودرت جثته بمصرعه، ونقلت هامته إلى مصير فيه معتبر لغيره، ومن لاجىء من السيف إلى الغرق، لم يجره الله من حذاره، ومن أسير مصفود[2]يقاد إلى دار أولياء الله وحزبه، ومن هارب بحشاشة[3] نفسه، قد أسكن الله الخوف قلبه، فكانت النّقمة بحمد الله واقعة بالفريقين: من وافى الجانب الغربي قادما، ومن عبر إليهم من الجانب الشرقي منجدا لم ينج منهم ناج،...، والحمد لله رب العالمين، قامع الغواة الناكبين عن دينه، والبغاة الناقضين لعهده والمرّاق الخارجين من جملة أهل حقه حمدا مبلّغا رضاه. وموجبا أفضل مزيده، وصلّى الله أولا وآخرا على محمد عبده ورسوله الهادي إلى سبيله، والداعي إليه بإذنه، وسلّم تسليما**".

أما في السمة الثالثة المتعلقة بفنيّة الأداء المعبر عن المعنى، فنلحظ أنَّ الكاتب حرر كتابهُ بناءً على ما أمره والي بغداد ابن طاهر الذي عبر عن وجهة نظر الخليفة والتصميم على تنفيذ أوامره والعمل بموجبها، لضرورة الحرص على حماية الدولة والخلافة والسلطة، فلذلك لجأ إلى أسلوب الإطناب بسبب إدراكهم صعوبة الوضع وخطورته، إذ لابد من المتابعة والتذكير وتوجيه تعليمات تسهم في المحافظة على تدارك الأخطار والاستعداد للوقوف بوجه الأعداء، ومن الواجب أن يقدم الكاتب صورة تفصيلية لما حدث بين جيوش المستعين بقيادة ابن طاهر، وجيوش المعتز الآتية من سامراء بغية الاستيلاء على الخلافة في بغداد، ممّا دعاه إلى استخدام اللغة المؤثرة وانتقاء الألفاظ الدلالة على القوة والعزم، والتصوير الدقيق لأحداث هذه المعركة.

---

(1) الكراع: اسم يجمع الخيل، 242/4.

(2) صفده كضربه: شده وأوثقه كأصفده وصفده، 242/4.

(3) الحشاشة: بقية الروح في الجريح والمريض. يُنظر:صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب،239/4.

6-التوقيعات:

يعدُّ فن التوقيعات من الفنون المهمة في النثر العربي له أصوله وأساليبه في الكتابة، ويمثل مظهرًا من مظاهر التجدد والنضج للنثر الأدبي العربي في العصر العباسي الأول والثاني، وتعود إرهاصات بدايتهِ إلى عصر ماقبل الإسلام، ثم تتطور في العصر الإسلامي والأموي، وفي العصر العباسي اكتملت أركان هذا الفن ونضج وازدهر، ثم بعد ذلك أصبح فنًا يرتبطُ ارتباطً مباشرًا بالشؤون التنظيمية والإدارية للدولة، يختصّ به الخلفاء والوزراء والأمراء في التوقيع في القضايا المهمة العامة والخاصة وفي الشؤون الخارجية في الحرب والسلم، ويقتصر هذا الفن على ذوي البلاغة والفصاحة والمتمكن في اللغة وآدابها [1]، ويرى شوقي ضيف: "أن التوقيعات عبارات موجزة بليغة، وتعودَّ ملوك الفرس ووزراؤهم أن يوقِّعوا بها على مايقدّم إليهم من تظلمات الأفراد من الرعية وشكاواهم، وحاكاهم خلفاء بني العباس في هذا الصنيع، وكانت تشيع بين الناس ويكتبها الكتّاب ويتحفظونها"[2]، وتكتب التوقيعات في الولايات والمكاتبات ومن الأمور المتعلقة بالمملكة، والتحدث في المظالم، وهو أمرٌ جليل، ومنصب حفيل، إذ هو سبيل الإطلاق والمنع، والوصل والقطع، والولاية والعزل، إلى غير ذلك من الأمور المهمات"[3].

نشأ هذا الفن ضمن المكاتبات الإنشائية ذات الطابع الرسمي، ويندرج ضمن الرسائل الديوانية[4]، وللتوقيعات ملامح وسمات خاصة عرّفت بها، فنجد أنها تتسم بالإيجاز والدقة ومتانة تركيبها، وقوة معناها، وتستمد مصادرها من الاقتباس من القرآن

---

(1)- يُنظر: رعدان، عبدالكريم، فن التوقيعات في الأدب العربي، بحث منشور، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، عدد:34، 2012م، ص229.

(2)-ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ص489.

(3)- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،114/11.

(4) حجاب، محمد، بلاغة الكتّاب في العصر العباسي، ط2، مكبتة الطالب الجامعي، مكة المكرمة،1986م، ص95.

الكريم، والحديث الشريف، والأمثال والحكم، والشعر، وفيها متعة للناظرين وللسامعين لحسن وقعها وجمال ألفاظها[1].

جسدت التوقيعات في العصر العباسي الثاني مواقف الخلفاء والأمراء والولاة والوزراء عند النظر في مطالب المتظلمين والشكّايات وقضاء الحوائج، ورفع الأذى عن الرعية ومراعاتهم وإنصاف أهل الحق، والعفو عن المذنبين والصفح عنهم، وبعضها تحمل مضامين تخص التوجيهات والأوامر التي تضمن تيسير شؤون الحكم، وكما تعدُّ انعكاسًا لنظامهم الإداري، ونورد مجموعة من التواقيع تجسد مضامين هذا الفن، التوقيع الأول ما يصدرُ في التوجيهات والأوامر، توقيع كتب به محمد ابن عبد الله بن طاهر إلى الكتّاب سنة 251هـ، أيام الفتنة بين المستعين والمعتز، يأمرهم بالإيجاز في كلامهم دون الإطالة. يقول في ذلك: " **دَقَّقوا الأقلامَ، وأوجَزوا الكلامَ، فإنَّ القرَاطِيسَ لا تُرامُ، والسَّلام** "[2].

والتوقيع الثاني ما يصدر منها في **العفو والصفح، نورد مثالًا عن ذلك توقيع محمد بن طاهر في كتاب لرجل أراد الاعتذار والعفو عمّا بدر منه تجاه والي بغداد،** إذ قال له[3]: "**أرَدنَا قُبولَ عُذرِكَ، فاقتطَعَنَا عنه ما قابَلَنا مِن قَبيحِ خَطِّكَ، ولو كُنتَ صَادِقاً في اعتِذَارِكَ لسَاعَدَتكَ حَركةُ يدك، أو مَا علمتَ أنَّ حُسنَ الخَطِّ يُناضِلُ عن صَاحِبِهِ بوضوح الحُجَّة، ويمكّن له دَركَ البُغية؟** ".

والتوقيع الثالث في قضاء الحوائج، ورفع الأذى عن الرعية ومراعاتهم، وإنصافهم، والنظر في العلماء والأدباء ومراعاة حقوقهم، ماوقع به عبيدالله بن سليمان بن وهب إلى أبي العيناء حينما طالبه برزقه، وكان عبيد الله قد أخره عنه، فوقع إليه معتذراً على التأخير قائلاً[4]: " **أنَا – أسعَدَكَ اللهُ –على الحال التي عهِدتَ، وميلِي**

---

(1) رعدان، عبدالكريم، فن التوقيعات في الأدب العربي، ص229. صديق، سامية، فن التوقيعات في النثر العربي: تأصيل وتحليل، بحث منشور، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، عدد: 36، 2005م، ص81-86.

(2) صفوت، جمهرة رسائل العرب، 399/4.

(3) صفوت، جمهرة رسائل العرب، 399/4.

(4) صفوت، جمهرة رسائل العرب، 282/4.

إليكَ كما علمتَ، وليسَ مَن أُنسِينَاهُ أهمَلنَاهُ، ولا مَن أخَّرنَاهُ تركنَاهُ، مع اقتِطاعِ الشُّغل لنا، واقتِسَامه زماننا، وكان مِن حقِّكَ علينا أن تُذكِّرَنا بنفسك، وتُعلِمنَا أمرَكَ، وقد وقّعتُ لك برزقِ شهرين، لِتُزِيحَ عِلَّتك، وتعرفني مبلغَ استحقاقِكَ لأُطلِق لك باقيَ أرزاقك، إن شاء الله والسَّلام"[1]. وله توقيع في شأن عامل، وكان توقيعهُ[2]:" **أنا قادر على إخراج هذه النّعرة[3] من رأسه، والوَحَرَةِ[4] من صدره، والنّخوة[5]من نفسه**".

التوقيع الرابع نورد توقيعًا لعلي بن عيسى الجراح[6] إلى بعض العمال في ذكر أموال متخيّرة، وتفاصحَ في كتابهِ[7]:" **دعني من تشديقك وتقعيرك، وتفاصح على نظيرك، فخير الكلام ما قلّ ودلّ ولم يملّ**". التوقيع الخامس، كان علي بن عيسى يتناوب الوزارة مع ابن الفرات[8]، فكتب إليه ابن الفرات يستشهده على زُورٍ، فوقع ابن

---

(1) صفوت، جمهرة رسائل العرب، 283/4.

(2) صفوت، جمهرة رسائل العرب، 400/4.

(3) النعرة بضم ففتح وكرقية: الخيلا والكبر، يقال: إن في رأسه نعرة: أي كبرا، والأصل فيه أن الحمار إذا نعر (كفرح) ركب رأسه، فيقال لكل من ركب رأسه: فيه نعرة، وفى خاص الخاص(النغرة) وهو تصحيف. صفوت، جمهرة رسائل العرب، 400/4.

(4) الوحرة في الأصل: وزغة تكون في الصحارى أصغر من العظاءة(بكسر العين) وهى على شكل سام أبرص، وقيل: ضرب من العظام، وهى صغيرة حمراء تعدو في الجبابين، لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت، وهى أخبث العظاء، لا تطأ طعاما ولا شرابا إلا سمته، ولا يأكله أحد إلا أخذه قيء، وربما هلك آكله، والوحر بالتحريك أيضا، غش الصدر وبلابله والغيظ والحقد، قالوا: وأصل هذا من تلك الدويبة التى يقال لها الوحرة، شبهوا العداوة ولزوقها بالصدر بالتزاق الوحرة بالأرض، وفى خاص الخاص(والوغرة) وهو تحريف. 400/4.

(5) النخوة: الكبر والعظمة، وفى زهر الآداب(والنحرة) وهو تحريف. 400/4.

(6) هو علي بن عيسى الجراح، ولى الوزارة للمقتدر، كان شيخًا من شيوخ الكتاب، عرف بزهده وفضله، حافظًا للقرآن الكريم ومطلعاً على تفسيرهِ وأحكامهِ.ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص267.

(7) صفوت، جمهرة رسائل العرب، 400/4.

(8) هو أبو الحسن علي ابن الفرات، أستوزره المقتدر وتولى الوزارة ثلاث مرات، آخرها سنة 312هـ، كان من أجل الناس وأعظمهم كرمًا وجوداً، فاضلاً نبيلاً ذا مروءة. ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص266.

عيسى على كتابهُ قائلا[1]: "**لا تلمني على نكوصي عن الشهادة لك بالزّور، فإنه لا بقاء لاتّفاق على نفاق، ولا وفاء لذي مين[2] واختلاق[3]، وأحرى بمن تعدّى الحق في موافقتك إذا رضيَّ، أن يتخطّى إلى الباطل في مخالفتك إذا سخط، وبمن كذب لك، أن يكذبَ عليك**".

عكست مضامين هذه التوقيعات سمات عدّة منها مايتعلق في الكاتب وفي موضوعها وفي فنيّة الأداء المعبر عن المعنى.

السمة الأولى فيما يتعلق بكاتب التوقيع، نلحظ أنَّ جميع التواقيع كانت صادرة عن كاتبها، وربما كتبوها بأنفسهم، ويتضح أيضًا أنَّ معاني هذه التوقيعات تعدُّ تعبيرًا عن مشاعر المرسل، فالتوقيع الأول كان بين المرسل محمد بن طاهر والمرسل إليهم هم مجموعة من الكتّاب، والتوقيع الثاني بين محمد بن طاهر إلى رجل أراد الإعتذار له، والتوقيع الثالث بين عبيدالله بن سليمان بن وهب والمرسل إليه أبي العيناء، والتوقيع الرابع توقيع علي بن عيسى الجراح وبعض عمالهِ، والخامس جاء بين المرسل ابن الفرات والمرسل إليه علي بن عيسى الجراح.

أما مايتعلق السمة الثانية الخاص بالموضوعات، فنلحظ أن هذه التوقيعات عبرت عن منظومة الحكم في متابعة أحوال الرعية وحل مشكلاتهم، والمعضلات التي يتقدمون بها إلى أصحاب السلطة والنفوذ والحكم، فالتوقيع الأول يتضمن توجيهًا أثناء أحداث معركة جيش المستعين بقيادة ابن طاهر والي بغداد، وجيش المعتز، حيث أصدر ابن طاهر توجيه بالإيجاز في الكلام والإقتصاد في القراطيس. التوقيع الثاني، تقدم رجلٌ بكتاب بشأن الإعتذار من محمد بن طاهر، فوقّع به لرجلٍ، لكن إنّ خطَّ ذلك الرجل كان عارضًا بين قبول إعتذارهِ، فما كان من محمد بن عبد الله طاهر عند رؤيته للخطِّ الذي كُتب به الاعتذار إلا رَفضَ عذره لسوء خطّه، طالباً منه تحسين خطّه؛ ليكون شفيعاً له في قبول عذره. والتوقيع الثالث، يتضمن توجيهًا برفع الأذى والظلم وقضاء الحوائج، ومراعاة أحوال الأدباء، حين تقدم أبي العيناء إلى عبيدالله بن سليمان

---

(1) صفوت، جمهرة رسائل العرب، 401/4.

(2) المين: الكذب.

(3) في الأصل(واختلاف) وهو تصحيف، 401/4.

يطالبه بتأخر رزقهُ، فوقع معتذرًا عن ذلك. وفي التوقيع الرابع، يدعوهم ابن عيسى الجراح إلى التكلم بإحتراز ودقة وإيجاز، وأن يكون كلامهم وافيًا وموجزًا في مطلبهم بشأن الأموال المتخيّرة. التوقيع الخامس، أراد ابن الفرات أن يستشهد علي بن عيسى الجراح على موضوع فيه زور، فردّ عليه ابن عيسى قائلا من يكذب لك يكذب عليك[1]، أي أنّه أبدى رفضه في الشهادة له بالزورِ، كونها تخالف المبادى، والقيّم الأخلاقية والدينية التي أوجدها الإسلام.

أما السمة الثالثة التي يتعلق بفنيّة الأداء المعبر عن المعنى، فنجد أنَّ التوقيعات السابقة تتسم بالإيجاز والاقتصار وهذه من السمات الرئيسية لفن التوقيعات، معتمدًا بشكل أساسي على الإيجاز التعبيري، وتكون غايته الإيجاز اللفظي[2]، وكما نلحظ أنَّ عباراتها قصيرة متجانسة ونلحظ السجع في بعض ثنايا هذه التوقيعات.

7-رسائل الفتن الداخلية:

ظهرت في العصر العباسي الثاني العديد من الأحداث والأزمات التي ساعدت على التمرد على السلطة والنظام، بسبب الضعف الذي أصاب الذي الدولة العباسية إزاء التدخل التركي في بناء نظامها والتحكم بأمور الخلافة، حيث أدت تلك الصراعات إلى تخلخل النظام السياسي ونشوب ثورات ضد الظلم الواقع على المجتمع الذي تفشى فيه الفساد والجوع والعوز، ومن أهم تلك الثورات التي تطالعنا في هذه الدراسة هي ثورة القرامطة التي بدأت من (278-469هـ)، ومن أهم زعمائها صاحب شامة[3].

ومن الرسائل التي وقعت بين أيدينا وجسدت هذا الجانب، مانجدهُ في الكتاب الذي وجههُ صاحب شامة إلى عامله جعفر بن حميد، يقول فيه[4] :" "**بسم اللَّه الرحمن الرحيم من عبد اللَّه أحمد بن عبدالله المهدى المنصور بالله الناصر لدين الله القائم**

---

(1) صفوت، جمهرة رسائل العرب، 401/4.

(2) رعدان، عبدالكريم، فن التوقيعات في الأدب العربي، بحث منشور، مجلة الدراسات الإجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، عدد:34 ،2012م، ص260-261.

(3) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس، 2009م، ص185.

(4) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج10، ص105. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب،340/4.

بأمر الله الحاكم بحكم الله، الداعي إلى كتاب الله، الذاب عن حرم الله، المختار من ولد رسول الله أمير المؤمنين وإمام المسلمين،...، وولد خير الوصيين، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين، وسلم كثيرًا، إلى جعفر بن حميد الكردى:

سلام عَلَيْك، فإني أحمد إليك اللَّه الَّذِي لا إله إلا هو، وأساله أن يصلى على جدي محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أما بعد، فقد أنهى إلينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفره، وما فعلوه بناحيتك، وأظهروه من الظلم والعيث والفساد في الأرض، فأعظمنا ذلك، ورأينا أن ننفذ إلى ما هناك من جيوشنا من ينقم الله به من أعدائه الظالمين، ...، وآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، وصلى الله على جدي محمد رسول الله. وعلى أهل بيته وسلم كثيرًا".

حملت هذه الرسالة السمات التي ارتأينا دراستها، **السمة الأولى** التي تتعلق بالكاتب، الرسالة جرت بين صاحب شامة وهو المرسل إلى عامله جعفر بن حمدي الكردي المرسل إليه.

أما السمة الثانية التي تخص دراسة الموضوع، فالرسالة تحمل في مضامينها عدّة قضايا منها تقديم المواساة لجعفر بن حميد على مافعله الأعداء بناحيتهِ، وقيامهم بالعبث والفساد في الأرض، وكذلك تتضمن إطلاع صاحب شامة على هذا الحدث، وكان رأيّهُ تجهيز الجيوش للقضاء، والانتقام من الظالمين، وأيضًا قام جعفر بن حميد بإذاعة هذا الكتاب على أصحابه، وأعوانه طالبًا منهم بالنهوض معه لقتال هؤلاء الأعداء، وأمرهُ بالبحث والتحري عن الخائن الذي تعاون مع الأعداء للقيام بفعلتهم هذه.

نلحظ في هذا الكتاب أنَّ صاحب الشامة يأخذ مكانًا يُنظار فيه مكانة الخليفة عن طريق التوجيهات التي يُعطيها، ولا كأنه في الحقيقة يمثل مجموعة متمردة خرجت على أنظمة الدولة، بغض النظر عن السبب وراء خروجهم، لكنهم عَبّروا عن فِتنة وثورة تمردت على السلطة وهم في نظرها خارجين عن القانون، ولابدَّ من قمعهم ومحاربتهم، وجسدت هذه الأحداث إحدى الفتن التي طرأت خلال عهد الدولة العباسية.

أما السمة الثالثة، التي تخص فنيّة الأداء المعبر عن المعنى، فكان لابدَّ على الكاتب أن يتحدث بإسهاب في كتابه وذلك لكون الحادث يتطلب التوسع والتفصيل في ذلك.

8- رسائل المجاملات:

عند دراستنا لرسائل العصر العباسي الثاني ظهر أمامنا مانعرفه اليوم برسائل المجاملة، فكثيرًا ماكانت الدواوين تستلم أو تصدر كُتبًا تبدو في ظاهرها رسائل اجتماعية وشخصية ، أو في التهنئة أو التعزية أو الأعياد وماشابه ذلك، وكما ذكرنا سابقًا في أنها تحمل صفة رسمية تسعى من خلالها الدولة إلى تقوية العلاقات بين مراكز الدولة والقوى السياسية وعامة الناس ومع الشخصيات المؤثرة كالأدباء والعلماء والكتّاب، وأن الكتب الصادرة في هذه المضامين التي تكون غايتها اجتماعية تكون عبارة عن رسائل مجاملة، نلحظ فيها جزالة الألفاظ ومتانتها وتماسك تراكيبها، وبعضها تكون منّمقة بالسجع والدعاء، عبرت هذه الرسائل عن العلاقات الاجتماعية بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة، وكان هذا النوع من العلاقات يظهر في أحيان كثيرة معبرًا عن صلات الصداقة والمودة بين أصحاب السلطة وفئات المجتمع المختلفة من عامة الناس[1].

وقد آثرت تسميتها برسائل المجاملات لسببين: أولهما: أنّها تأتي تعبيرًا عن العواطف الداخلية، وتساهم في معالجة القضايا الاجتماعية والشخصية، والجهات الرسمية هي المسؤولة عن إصدارها، لكونها بحاجة لمثل هذه الرسائل بغية تثبيت حكمها وفي مخاطبة فئات المجتمع كافة، السبب الثاني: أنّها لاتقتصر على الإخوان حيث تشترك الكافة في الحاجة إليها[2].

أولا: رسائل التعزية:

هي المكاتبة بالأحداث العارضة للإنسان في هذه الدنيا، وتتضمن شيئًا من الوعظ، والإرشاد والصبر، ولابد من الإيمان بقضاء الله وقدره، وتكون بين الرئيس والمرؤوس ومن المرؤوس إلى الرئيس، ومن النظير إلى النظير[3]، ومن الرسائل التي عبرت عن هذه المضامين مايتضح في الرسائل التي تظهر فيها مشاعر الحزن والألم، ثُمَّ نأخذ

---

(1) الجبوري، رمضان، الرسائل الديوانية في العصر العباسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص78.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، 5/9.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، 80/9.

مثالًا على ذلك كتاب تعزية سعيد بن حميد إلى والي بغداد محمد بن عبدالله بن طاهر عن بعض أوليائه، وهو يقول[1]:" **ورد علىّ الخبر- أعز الله الأمير- بحادث قضاء الله في الولي الناصح، المطيع الشاكر، فلان- رحمه الله فكان وقع المصاب به على حسب علمي بمحلّه كان من الأمير وما يرعاه من حق طاعته ونصيحته، وما يجرى عليه من أدبه وسلوك نهجه، والتمسّك بأمره، وما يوجبه الأمير لمن وسمه بمعروفه، وشرّفه باختياره، واختصّه بالقرب من خدمته، هذا مع ما أخلص الله بيني وبينه من المودة الصادقة، والثقة الصحيحة التي بعثتنا على التمسك بحبل الأمير، والاتصال بأسبابه، والوقوف في ظلّه، فإنّ الله عز وجل جعل ذلك سببا بجمع أهله، وإن اختلفت بهم الأسباب، وتفرقت بهم الديار، وتباعدت الأشكال...**".

ثُمَّ نورد كتابًا في تعزية أبو العباس بن ثوابة الكاتب إلى عبيدالله بن سليمان بن وهب وزير المعتمد الكاتب في تعزيته عن أخيه، قائلاً فيه[2]:" **الله يعلم- وكفى به عليما- لقد أردت مكاتبتك بالتعزية، فرأيت عيبا أن أفديك بنفس لا بدّ لها من الفناء، ولا سبيل لها إلى البقاء، ومن أظهر لك شيئا يضمر خلافه فقد غشّ،..**". ويرد عليه عبيدالله بن سليمان بن وهب في كتابه، قائلًا فيه[3]:" **وصل كتابك بالتعزية عن أخي وفهمته، وقد جلّت مصيبتي به وعظمت، فنكَأَتِ[4]القلب، وهدّت الرّكن، وأذهبت القوة، ونغّصت العيش، وأزرت بالأمل، فعند الله أحتسبه، وإياه أسأل تفضّلا عليه، وصفحا عنه، وتغمَّدا[5] لذنوبه، وصبرا على حادث قضائه، واستعدادا للموت وتأهّبا له، فإنه مصرع لا بد منه، ومورد لا محيص عنه، وقد كنت استجفيتُ كتابك، وأنكرت تأخّر تعزيتك وعددت ذلك من هفوات الإخوان الذين يقع التقصير منهم، وتصحّ نيّاتهم وضمائرهم، فرددت الزلل من فعلك، إلى موثوق به من نيتك وضميرك، وأسأل الله ألّا يعد مناك على أحوالك كلّها، ويمتّعنا بمواهبه فيك**".

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 256/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 288/4-290.

(3) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 288/4-290.

(4) من نكأ القرحة، قشرها قبل أن تبرأ وتطيب.

(5) تغمدا: أي سترا وغفرانا لها.

ثانيًا: رسائل التهنئة:

هي الكتب التي يعبر فيها عمّا يختلجُ في النفس من أحاسيس تحمل مشاعر الفرح والموّدة والسرور تجاه المخاطب، ويشير إلى ذلك القلقشندي في صبح الأعشى:"كتب التهاني من الكتاب التي تظهر فيها مقادير أفهام الكتّاب، ومنازلهم من الصناعة، ومواقعهم من البلاغة، وهي من المكاتبات الجليلة النفيسةِ، لما في التهنئة البليغة من الإفصاح بقدر النعمة، والإبانة عن موقع الموهبة، وتضاعف السرور بالعطية، وأغراضها لاتقف عند حد[1].

ومن المضامين التي عبرت عن هذه الرسائل مانجدهُ في رسائل التي تكون مدعاة للفرح والسرور، إذ تعدُ هذه الرسائل نقيضًا لرسائل التعزية، وتؤدي نفس الغرض الذي تؤديه رسائل التعزية في الحفاظ على الموّدة والألفة ومشاعر الأخوة والصداقة، ويمكن إدراجها ضمن الرسائل التي تطغى عليها المجاملة في القول، وتنوعت الموضوعات التي تعالجها رسائل التهنئة، وتكتب على ضوء المناسبة التي تحدد، كالتهنئة في الشفاء من المرض، وبالسلامة من السفر، أو العودة من الحج، إنجاب الأولاد، أو بإسناد عمل أو بالإعفاء من عمل، وهذا على صعيد الشخصي الذاتي قد يكون صادر من العامة تجاه الخلفاء والوزراء أو بالعكس، وعلى الصعيد الإجتماعي، في التهنئة بأعياد الفطر والأضحى المباركين، والأعياد الأخرى[2]. وقد كانت تهنئة الخليفة الجديد بالملك في مقدمة هذه المضامين، لما يتبوأ مكانًا دينيًا وسياسيًا واجتماعيًا، إلا أنه من كثرت الخلفاء الذين وقعت خلافتهم خلال مدة الدراسة، فما بقي من رسائل تهنئة الخلفاء بخلافتهم يكاد يكون طفيفًا[3].

ولتوضيح ذلك، نورد رسالة التهنئة لسعيد بن حميد مهنئًا أحد أصدقائه، لإسناده منصبًا، ويقول فيه[4]:" **أنا أهنئ بك العمل الذي ولّيته، ولا أهنّئك به، لأن الله أصاره إلى من يُورده موارد الصواب، ويُصدره مصادر الحجّة، ويصونه من كل خلل**

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، 5/9.

(2) الدروبي، محمد،الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص221.

(3) الدروبي، محمد،الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص222.

(4) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 252/4.

وتقصير، ويمضيه بالرأي الأصيل، والمعرفة الكاملة، قرن الله لك كل نعمة بشكرها، وأوجب لك بطوله المزيد منها، وأوزعك من المعرفة بها ما يصونها من الفتن، ويحوطها من النقص".

ولسعيد بن حميد الكاتب رسالة مضمونها التهنئة بالإعفاء من المنصب، ويَعدُّ هذا النوع من نوادر التهاني[1]، يقول فيها[2]:"**حفظك الله بحفظه، وأسبغ عليك كرامته، وأدام إليك إحسانه. إن سروري بصرفك، أكثرُ من سرور أهل عملك بما خُصُّوا به من ولايتك، وقد كنت أعزك الله- فيما يُربأ[3]بك عنه، بما أنت عليه فى قدرك واستئهالِكَ، ولكنا رجونا أن يكون سببًا لك إلى ما تستحق، فطبنا نفسا بالذي رجونا، فالحمد لله الذي سلّمك منه، ونسأله تمام نعمه عليك وعلينا فيك، بتبليغك أملك وآمالنا فيك، وشفع ما كان من ولايتك بأعظم الدرجات، وأشرف المراتب، ثم خصّك الله بجميل الصّنع، وبلّغك غاية المؤمّلين**".

ورسائل التهنئة بالأعياد تعدُّ صنفًا من أصناف رسائل التهاني[4]، ولم تقتصر التهاني على الأعياد الإسلامية (عيد الفطر والأضحى)، بل تعداها إلى الأعياد الفارسية، وفي ذلك يتضح الأثر الفارسي على الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع العباسي وبالتالي تأثيرها على الرسائل الديوانية، ومن ذلك عيد نيروز وهو أول أيام الربيع أشهر الأعياد الفارسية، والتي نالت اهتمام الخلفاء، إذ كثر الاحتفال فيه في النواحي التي يغلب عليها الفرس[5]، ونورد نموذجًا على ذلك، ماقالهُ سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان في يوم النَّيروز[6]:" **أيّها السيد الشريف، عشت أطول الأعمار، بزيادة من العمر موصولة بفرائضها من الشكر، لا ينقضي حقّ نعمة حتى يجدّد لك أخرى، ولا يمرّ بك يوم إلا كان مقصّرا عما بعده، موفيا عما قبله**". وكتاب

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، 73/9.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 251/4.

(3) إنى لأربأبك عن هذا الأمر: أي أرفعك عنه، واستأهله: صار أهلا له ومستحقا. ص251.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، 39/9.

(5) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص221.

(6) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 246/4.

آخر له إلى تهنئة صديق له في هذا اليوم[1]:" **هذا يوم سهّلت فيه السّنة للعبيد الإهداء للملوك، فتعلّقت كلّ طائفة من البرّ بحسب القدرة والهمة، ولم أجد فيما أملك ما يفي بحقّك، ووجدت تقريظك أبلغ في أداء ما يجب لك، ومن لم يؤت في هديّته إلا من جهة قدرته فلا طعن عليه**".

تعكس هذه الرسائل ثلاثة سمات مختلفة، تتعلق بالكاتب، وبالموضوع، بالفنيّة المستخدمة في التعبير عن الأداء.

السمة الأولى: إذا تأملنا رسائل التعازي سنلاحظ أن الرسالة الأولى كانت بين المرسل سعيد بن حميد إلى المرسل إليه محمد بن عبدالله بن طاهر والي بغداد، والرسالة الثانية كانت بين المرسل أبو العباس بن ثوابة إلى المرسل إليه عبدالله بن سليمان بن وهب.

أما رسائل التهنئة، فقد كانت الأولى والثانية بين المرسل سعيد بن حميد إلى المرسل إليه وهو أحد أصدقائه. والرسالة الثالثة كانت بين المرسل سعيد بن حميد والمرسل إليه بعض أصحاب النفوذ والسلطان والرابعة بنفس الشأن لكن إلى صديق له، ونلحظ إزاء ذلك أن رسائل التعازي قد صدرتا عن كاتبيها بشخصيهما، فعَبّرا عما يعتليهما من مشاعر الحزن والأسى تجاه المرسل إليه، وفيما يخص رسائل التهنئة، فالمعاني الواردة فيها تعطي انطباعًا على أنها كتبت من الكاتب شخصيّا.

وعلى ثنايا ماسبق، أنَّ هذه الرسائل سواءً صدرت عن صاحبها أو من ينوب عنه، نراهُ يبذل قُصارى جهدُه في سبيل التفنن بها وإظهارها بالصورة المميزة، عن طريق استعمال الألفاظ الأكثر وقعًا في نفس المرسل إليه، قاصدًا التأثير فيه.

السمة الثانية: سارت رسائل المجاملات مع تنوع موضوعاتها، في هدف واحد هو الحرص على مشاركة المرسل للمرسل إليه في مناسابتهِ العامة والخاصة، وجاءت تعبيرًا عن إظهار مشاعر المودّة والصداقة والألفة بين الجهات الحاكمة والفئات المحكومة أو بالعكس.

وبناءً على ذلك، نلحظ في رسائل التعازي أنّها اختلفت في مضامينها، فالرسالة الأولى للمرسل سعيد بن حميد إلى المرسل إليه محمد بن عبدالله بن طاهر، قدمت

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 247/4.

التعازي له بفقد بعض أوليائهِ، وتبادل معه مشاعر الحزن والأسى، قاصدًا منه الرضى بقضاء الله وقدرهِ، التسليم لما قسمَّ به الباري عزّ وجلّ.

وفي الرسالة الثانية قدّمَ أبو العباس بن ثوابة التعازي لعبيدالله بن سليمان بن وهب بفقد أخيهِ، داعين له بالصبر والسلوان على مصيبتهِ، والميل إلى ذكر الله في أن يعوضه جزاء ذلك خيرًا.

أما رسائل التهنئة، فقدّمَ سعيد بن حميد إلى أحد أصدقائهِ التهاني والتبريكات في إسناد منصب له، ونلحظ أن المرسل استخدم ذكاءه في انتقاء الألفاظ، فهو يجعل المنصب قد تشرّف به، وأنَّ علينا أن نُهنئ المنصب بتولي صديقهِ لا العكس، وهو أراد من ذلك عكس صفاتهُ الحميدة وأنه خير من تبوأ هذا المنصب.

ثُمَّ في هذا النوع من الرسائل وردت رسائل في التهنئة من الإعفاء من المنصب، وهذا ماجسدتهُ رسالة سعيد بن حميد إلى المرسل إليه وهو أحد أصدقائهِ، أراد أن يواسيه على ذلك، أنه ترّفعَ بصديقهِ عن هذا المنصب، وهذا المنصب لايستحقهُ، إنما يستحق الأفضل منه، ويرى أنَّ تركَهُ للمنصب أمرًا محمودًا.

أما موضوع رسائل التهاني في الأعياد، فكانت الرسالة الثالثة مرسلة إلى بعض أصحاب السلطان في التهنئة في بقدوم عيد نيروز، والرابعة جاءت أيضًا في ذات الموضوع، جريًا فيه على عادات الفرس، فهو من أهم الأعياد بالنسبة لهم، وبسبب سيطرة الفرس على الدولة العباسية في بعض فتراتها، عمّدَ الكتّاب إلى الاهتمام بهذا العيد[1].

أما في السمة الثالثة المتعلقة بفنيّة الأداء المعبر عن المعنى ، فتتمثل هذه الفنية في المراوحة بين الإيجاز والإطناب، إذ نلحظ في رسائل المجاملات هناك رسائل يحاول فيها الكاتب أن يطنب لغرض إيصال مقصدهُ، بينما البعض الآخر يوجز في تقديمها.

فالإطناب نجدهُ في بعض مواطن رسائل التعزية والتهنئة، ففي رسالة التعزية التي يقدمها سعيد بن حميد إلى والي بغداد، جنح فيها إلى الإطناب نوعًا ما، لأنَّ موضوع

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، 47/9.

الرسالة يفضي إلى الإطالة، وذلك لإبداء المواساة والتعزية لفقده بعض أوليائهِ، ويبدو أنَّ وراء هذا الإسهاب علاقة طيبة بين المرسل والمرسل إليه.

ويتضح لدى الباحث الإطناب في كتاب تهنئة سعيد بن حميد إلى أحد أصدقائه، عندما تم إعفاءه من المنصب، فالمرسل أراد أن ينفس عن الحالة الشعورية التي كانت تعتلي المرسل إليه، فلذلك لجأ إلى استخدام العبارات التي لها أثرها في النفس، ممّا دعاهُ إلى التطويل البسيط.

وكذلك في رسالة سعيد بن حميد التي قدمها لبعض أهل السلطان في التهنئة بقدوم عيد نيروز، لأن المخاطب هم أصحاب سلطة ونفوذ فلذلك أراد أن يرفع من شأنهم، والتقرب إليهم سعيًا لتوطيد علاقته بهم.

أما الإيجاز، فيتضح فيما تبقى في رسائل التعزية والتهنئة، ففي تعزية أبي العباس بن ثوابة إلى عبيدالله بن سليمان بن وهب لفقده أخيه، مال صاحبها إلى الإيجاز في تلك الرسالة، لأنه على علم تام بشعور المرسل إليه، فقد عمل على تقديم مقصدهُ بصورة مباشرة ومختصرة، خشية تزايد الألم والأسى والحزن في نفس المرسل إليه، فاقتصر على تقديم العزاء والواجب، ويبدو أن الكاتب كان يشعر بالحرج من المرسل إليه بسبب تقصيره عن أداء الواجب.

وفي رسائل التهنئة ماغلب عليها الإيجاز مانجدهُ في رسالة سعيد بن حميد، المرسلة إلى أحد أصدقائهِ مهنئًا له بتكليفه بمنصبٍ ما، ورسالة تهنئة سعيد بن حميد إلى أحد أصدقائه بقدوم عيد نيروز، وأن ميل الكاتب إلى الإيجاز بسبب الموقف الذي يتطلب ذلك، أو بالأحرى مكانة المرسل إليه، حيث جاءت العبارات تتضمن اللفظ القليل الذي يعطي معنى كبيرًا، وبأقل الألفاظ.

ويتضحُ من طريق هذه النصوص المظاهر التي عزمنا على تبنيها في دراسة موضوعات الرسائل الديوانية، والتي تحمل في جوانبها مضامين التعزية والتهنئة، وإن كانت هذه المضامين تخص الرسائل الإخوانية، بيد أنها تحمل الصفة الرسمية؛ لأنَّها صدرت عن الجهة الرسمية للدولة، ومُبتغى إصدارها هو الاستقرار الاجتماعي، وبث روح الوّد والألفة بين السلطة والعامة، فكانت تتبادل هذه الرسائل بين الخلفاء والوزراء

وبين العامة من الناس أو الخاصة، وأحيانًا تصدر من ديوان الرسائل إلى رجالات السلطة وأصحاب النفوذ.

2.1.2 رسائل الشؤون الإدارية الخارجية

ساعدت الرسائل الديوانية في إبانة العلاقات السياسية الخارجية للدولة العباسية مع البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، وتجلت سياستها عن طريق تلك العلاقات التي عبرت عنها تلك الرسائل، والتي أرادت الدولة العباسية من خلالها أن تحافظ على أمنها واستقرارها الخارجي مثلما كان للرسائل الديوانية دورٌ في المحافظة على أمنها الداخلي، إذ كان لهذه الرسائل إمكانية التأثير في المرسل إليه رغبةً في مصلحة المرسل، وأنها ربطت بين المرسل والمرسل إليه رغم البعد والغياب[1].

أفصحت الرسائل الديوانية عن طريق الشؤون الإدارية ملامح السياسة الخارجية للدولة، ويتضحُ لدى الباحث أنَّ الرسائل في الشأن الخارجي التي وصلت إلينا ليست بحجم الرسائل الإدراية الداخلية، لربّما بسبب الأحداث السياسية والحروب أو الكوارث الطبيعية تعرضت للتلف والضياع والاندثار، فما وجدناهُ من رسائل في هذا الشأن وضمن هذه المدّة رسالة محمد بن طغج الأخشيدي، والتي تحدثنا عليها في موضع سابق، ورسالة الأميرة برتا ملكة الفرنجة إلى الخليفة المكتفي وردهُ عليها، والتي سوف نسلط عليها الضوء، إذ تجلى فيها السمات التي تبنتها الدراسة في الكشف عن موضوعات الرسائل الديوانية.

كتبت الأميرة كتابًا سريًا سنة (293هـ) موجهًا إلى الخليفة المكتفي بالله مرسلةً معه بعض الهدايا والأشياء النادرة، من أجل كسب رضى الخليفة وعقد تحالف معه ضد الروم البيزنطيين، وتضمن الكتاب أيضًا عقد معاهدة في إرجاع الأسرى المسلمين، وأظهرت نيتها في تعزيز الثقة في العلاقات السياسية المتبادلة بين الجانبين، نذكر

(1) البنداري، حسن، فن الرسالة في العصر العباسي، بحث منشور، الناشر رابطة الأدب الحديث، العدد: 12، 2018م، ص12.

بعضًا من رسالتها[1]: "**بسم الله الرحمن الرحيم، حفظك الله بسلطانه أيّها الملك، الجيد العهد، القوي السلطان، من كل أعدائك، وثبت لك ملكك، وأدم سلامتك في بدنك ونفسك منذ الآن إلى الأبد، أنا برتا بنت الأوتاري الملكة على جميع الفرنجيّين، أقرا ياسيدي الملك عليك السلام، وأنه جرت بيني وبين ملك إفريقية صداقة؛ لأني لم أكن أتوهّم أن ملكًا يكون فوقه يملك الأرض إلى هذه الغاية، إن مراكبي كانت قد خرجت، فأخذت مراكب ملك إفريقيا وكان رئيسها خادمًا لهن يقال له علي، فأسرته ومئة وخمسين رجلًا كانوا معه في ثلاثة مراكب، وبقوا في ملكي سبع سنين، ووجدتهُ عاقلًا فهمًا، فأعلمني أنك ملك على جميع الملوك، وقد صار إلى مملكتي خلق كثير، فلم يصدقني منهم عنك إلا هذا الخادم الذي يحمل إليك كتابي هذا، وقد بعثت معه هدايا،...، وهي: خمسون سيفًا، وخمسون ترساً، وخمسون رمحًا فرنجية، وعشرون ثوبًا منسوجة بالذهب، وعشرون خادما، وعشرون جارية، وعشرة أكلب كبار لاتطيقها السباع، وسبعة بزاة، وسبعة صقورة، ومضرب حرير بجميع آلاته،... ،فأني متوقعة لموافاته، وقد حملته سرًا يقوله لك إذا رأى وجهك وسمع كلامك، ليكون هذا السر بيننا، لا أحب أن يقف عليه أحد غيرك وغيري وغير هذا الخادم ، وكبت الله عدوك، وجعله وطءَ قدمك، والسلام**".

وعند اطلاع الخليفة على مضامين رسالتها أظهر المكتفي بالله موافقته على بعض القضايا التي طرحتها الأميرة برتا، وبالأخصُّ موضوع طلب الهدنة والأمان والتحالف، وإرجاع الأسرى، وطلبه من الملكة من الإسراع في الرد على كتابه وفقًا لما تقضيهِ المصلحة العامة، ورأى في تحالفها معه فرصة مناسبة لردع الأعداء، فأمر المكتفي وزيره العباس بن الحسن الكاتب الأصفهاني بصياغة رد الخليفة، إذ يقول[2]: "**بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله المتوحد بملكه، اللطيف بعباده، قاسم شيم الفضل بينهم، وباسط يد الطول والإنعام عليهم، قسم لأمير المؤمنين ما اختصه به من خلافته، وأصار إليه من وراثة سلطانه، أشرف أخلاق المكارم وأبسق**

---

(1) ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ط1، دائرة التراث العربي للمطبوعات والنشر، 1959م، ص48-51.

(2) ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ص54-58.

منازلها،...،وقد أدى الخادم السر الذي ذكرت إيداعك إياه، ويحمل في جوابه ما يؤديه بإذن الله، والسلام على من اتبع الهدى".

عكست هذه الكتب السمات التي تتعلق بالكاتب والموضوع الرئيس، والسمة الخاصة بالأداء المستخدم في التعبير عن المعنى.

فالسمة الأولى التي تخص الكاتب، نلحظ أن الرسالة كتبت من المرسل الأميرة برتا ملكة الفرنجة، إلى المرسل إليه الخليفة العباسي المكتفي بالله الذي تولى الحكم سنة (289-295هـ)[1]، ثم رسالة الرد للخليفة المكتفي عليها، ونلحظ أن الرسائل لم تكن صادرة من الكاتب باعتبارها له، وإنما هو ينوب عن المرسل في المخاطبة.

أما السمة الثانية فتتعلق بموضوع الرسالة، فالرسالة الأولى موضوعها الرئيسي يحتملُ احتمالين، الأول: أنها كانت ترغب بالزواج من الخليفة المكتفي ومعجبة بشخصيته، حسب ما ذكره ابن الزبير في الذخائر والتحف[2]، والاحتمال الثاني: أنها أرادت عقد التحالف معه لضمان الحماية والقوة والنفوذ لمماليكها، ويبدو عند النظر في نصوص ثنايا هذا الكتاب، وفي الرسالة الثانية، نلحظ أنَّ الخليفة المكتفي عمّدَ إلى الإجابة على رسالتها، لما فيه من مصلحة للدولة العباسية، فأنه وجد في تحالفها معه فرصة مهمة في إسناد صراعهُ ضد الروم، وكذلك يضمن إرجاع الأسرى من المسلمين، وأيضًا تضمن صورة عن ضرورة الحرص على حماية الدولة بالنسبة لمكتفي بالله، وحرص الأميرة برتا على حماية ملكها وحكمها.

وفيما يخصُّ السمة الثالثة المتعلقة بفنيّة الأداء المعبر عن المعنى، نجد أن الكتّاب في الكتابين عمَدوا إلى الإسهاب، وذلك لكون الأمر يقتضي ذلك بغية التفصيل والإبانة عن مضمون هذه الرسائل، فرسالة الأميرة برتا احتاجت فيها أن تكشف عن نواياها وهدفها في مراسلة الخليفة المكتفي بالله، وأيضًا يتضح الإطناب في رد المكتفي بالله على هذه الرسالة؛ لأنّهُ رأى من مصلحته الإجابة على ماجاء فيها من جوانب مهمة تخصُّ الدولة والمسلمين في طلب الهدنة والأمان، وفك الأسرى منهم، حتى أنّهُ

---

(1) ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص258-259. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4/218-224.

(2) ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ص48-51.

حثَّ الأميرة برتا على الإسراع في الرد على كتابهِ لما يقتضي ذلك لمصلحة العامة وحماية الدولة من الأخطار الخارجية، فكان لابدَّ من الإطناب لطبيعة هذا الموضوع.

2.2 البناء الفنيّ

تناولنا فيما سبق الموضوعات التي جسدتها الرسائل الديوانية، وكشفت الأغراض التي كانت تؤديها، والتي جاءت كترجمة عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، وما تبعها من آثار ساعدت في إفراز تلك الرسائل، وعند الوقوف على عملية الاستقراء للرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني، واطلاعنا على الرسائل التي وقعت بين أيدينا، فضلًا عمّا تناثر منها في بطون المصادر التي يُعتدُ بها، يبدو أن هناك تباين في رسائل هذا العصر في مبناها وفصولها، وتقسيم أجزائها، وتعدد أساليب الكتّاب، تبعًا لموضوع الرسالة الذي تحدد من خلاله طول الرسالة وقصرها.

وسنقف في دراستنا على ملامح البناء الشكلي عند صياغة الرسائل الديوانية، فالهيكل الذي تُبنى عليه تلك الرسائل بشكل عام، هو المقدمة وما تحمله من براعة الاستهلال أو حسن الابتداء، والغرض الذي هو مقصد الرسالة، والخاتمة، فإنّ الأدباء رسموا معالم عامة وأسسًا قد تختلف باختلاف الأزمان، لما طرأ عليها من تطورات وتغييرات في منهجها على مرِّ الأيام، حتى استقرت أحوالها في العصر العباسي، حيث أخذت منحى معينًا سار عليه الكتّاب، ولطالما في دراستنا نقصد الرسائل الديوانية فإننا سنُلقي الضوء على الأجزاء الرئيسية التي تُشكل الهيكل العام في بناء تلك الرسائل، وهي المقدمة التي تتمثل في الاستهلال أو الابتداء، والغرض ، والخاتمة، وهذا لايعني أن هذه الأجزاء منفصل بعضها عن بعض، بل نلحظ أنها مرتبطة مع بعضها فهي كالجسم الواحد، فالمقدمة تحمل في طياتها معاني تتم عمّا سيأتي في الغرض، الذي تسرد فيه الأحداث بصورة متسلسلة واضحة، متماسكة منسجمة، إلى أن يصل الخاتمة وحُسن التخلص التي هي خلاصة العرض وعصارة الرسالة. **وفيما يلي سنحاول الوقوف على السمات الفنيّة في بناء الرسائل الديوانية، وماوضعهُ المختصون من شروط وضوابط في كتابتها:**

1-المقدمة (براعة الاستهلال أو الابتداء):

ويراد بها المقطع الأول الذي تستفتحُ به الرسائل، وهي أول مايصل إلى المرسل إليه، فهي تساعد على جذب القارئ وشد انتباهه لما سيأتي بعده من الكلام[1]، فلذلك عمّدَ كتّاب الرسائل إلى الاهتمام بمقدماتٍ الرسائل الديوانية كونها تمثل الجزء المهم والأهم في بنية الرسائل، وأبدوا عنايتهم وحرصهم على إظهارها بالمظهر الحسن والجميل الذي يليق بقيمتها الفنيّة والأدبية، والمحافظة على أجزائها وعلى الوحدة الموضوعية فيها، وأرادوا من ذلك تحقيق التناسب بين موضوع الرسالة ومكانة المرسل وبين المرسل إليه[2]، من أجل التعبير عن المضامين التي كُتبت بشأنها، التي تكشف عن مدى اهتمامهم في المقدمة والغرض والخاتمة، وإزاء هذا أخذوا يبدعون في براعة الاستهلال وحسن الابتداء، والانتقاء الجيد للألفاظ والمفردات، والدارسين لهذا اللون من الرسائل أشاروا إلى مجموعة من السمات التي أشار إليها بوضوح القلقشندي وهي[3]: الاستفتاح، والعنوان، والسلام والدعاء، والحمدَلَةَ، وذكر الصلاة على النبي(صلى الله عليه وآلهِ وسلم)، ومن ثم التخلص إلى المتن الغرض الرئيس بإحدى طرق البعدية، وأشترطوا أن تفتتح الرسائل الديوانية بالبسملة[4].

ونلحظ أيضًا عن طريق الاطلاع على الرسائل في هذا العصر، اختلاف مقدمة كل رسالة عن الأخرى، تبعًا للمضامين المتناولة[5]، وعلى مايبدو أنَّ هذا الاختلاف يؤدي إلى اختلاف ما يشترطُ من ضوابط في رسم البدايات والنهايات[6].

يشير إلى ذلك الصولي، في الاستفتاح بالبسملة، إذ يقول: "ليبارك لهم فيما يحاولون ويؤجروا عليه"[1]، وأشار القلقشندي إلى ضرورة الابتداء بالبسملة، قائلًا[2]:"

---

(1) الهاشمي، أحمد، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، 1969م، ص39-40.

(2) الهاشمي، أحمد، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ص39-40.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، 217/6.

(4) أبو علي، نبيل، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص285.

(5) النحال، رشا، فن الرسائل في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، فلسطين، غزة، 2014م، ص116.

(6) أبو علي، نبيل، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي، ص285.

لايصلحُ كتابٌ إلا يكون أوله (بسم الله الرحمن الرحيم)"، ويذكر أنَّ أول من كتبها أهل مكة وقريش، ثم جاء الإسلام بعد ذلك، ولم تزل الكتب تذكر باسمك اللهم حتى نزل قوله تعالى"إنَّهُ من سليمان وإنَّهُ بسم الله الرحمن الرحيم"، فاستفتح بها رسول الله (صلى الله عليه وآلهِ وسلم)، وصارت سُنَّةً بعده[3]. ومن الرسائل الديوانية التي صورت البسملة في مقدمتها، مانجدهُ في كتاب بيعة المنتصر بالله[4]، وكتاب بيعة المعتز بالله[5] ، وكتاب خلع المعتز والمؤيد[6]، ويرى القلقشندي: "وجوب تقديم البسملة في أول الكلام المقصود، وتكتب في أصناف المكاتبات والولاية والمبايعات والتقاليد والعهود، تبركًا بالابتداء بها وتيمّنًا بذكرها"[7].

وعند استقراء الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني، يتضح أن أغلب المكاتبات التي جاءت لتعالج القضايا السياسية والاجتماعية الداخلية والقضايا الخارجية، يطغى عليها ذكر البسملة في أول الكلام[8]، وكذلك نجد أنَّ الكتّاب العباسيين التزموا بذكر البسملة حتى في مكاتباتهم الخارجية مع الأعداء والمعارضين لسياستهم، ويتبين ذلك في كتاب الأميرة برتا إلى الخليفة المكتفي بالله[9]، إذ تكشف مدى أهمية البسملة للمسلمين وأنها ركن مهم في مخاطباتهم، وتوحي بمضامين الود والاحترام والأمان، ممّا جعل ملكة الفرنجة أن تصدر كتابها بذكر البسملة، وعلى مايبدو أرادت الكشف عن سلميتها وتبيان المشاعر تجاه المرسل إليه، بينما هناك

---

(1) الصولي، أبو بكر، أدب الكتاب، المكتبة العربية، بغداد، 1922م، ص32.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، 219/6.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى،6 /219.

(4) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 224/4.

(5) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 235،237/4.

(6) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 230/4.

(7) القلقشندي، صبح الأعشى، 222/6.

(8) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص471.

(9) ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ص48-51.

رسائل خارجية سقطت منها ذكر البسملة في صدرها، وعزمت الدخول في الموضوع مباشرةً، ككتاب محمد بن طغج الإخشيد إلى أرمانوس ملك الروم[1].

وفي مقابل ذلك نلحظ أنَّ هناك مجموعة من الرسائل القصيرة سقطت منها الافتتاح بالبسملة، ويرى الباحث أنَّ طبيعة موضوع الرسالة قد يستوحب السرعة في الإخبار بأوجز العبارات، واحتمال أن يكون للحالة للشعورية دورٌ في هذا الإسقاط، إذ أراد الكاتب الدخول في موضوعهِ، دون الإشارة إلى الافتتاح بالبسملة، ومن الرسائل التي وردت في ذلك، كتاب سعيد بن حميد في الفتح للقائد وصيف: "**أما بعد، فالحمد لله الحميد المجيد، الفعّال لما يريد، الذي خلق الخلق بقدرته، وأمضاه على مشيئته، ودبّره بعلمه،...**"[2]، ويبدو أنّهُ لم يكن من المناسب ذكر البسملة في الرسائل التي تحتوي أخبارًا عن الحرب والدمار والقتل وإراقة الدماء.

وأيضًا يشير القلقشندي إلى أنَّ هناك أغراضًا نثرية تقع ضمن الرسائل الديوانية تسقط منها المقدمات (الافتتاحات)، منها فن التوقيعات، والمراسيم، إذ يقول: "ومايكتب في التواقيع والمراسيم الصغار ليس من الأمور المهمة، فتناسب ترك البسملة في أولها"[3] ، بينما يرى الدروبي أن التوقيعات تشتمل على أمور مهمة وأمور غير مهمة، مهمة، فهو فنٌ ليس مخصوص بأيٍّ الأمرين، ويشير في إسقاط البسملة منها هو طبيعة هذا الفن الذي يعتمدُ على الإيجاز ويعدُّ أهم سمة من سماتهِ، فعباراتهِ تكون موجزة وقصيرة[4].

ثم ننتقل إلى عنصر آخر من عناصر المقدمة ألا وهو العنوان، اهتم الكتّاب بهذا الجزء، وأرادوا أن يحدث تناسب بين العنوان الذي تحمله الرسالة والموضوع الذي تتضمنه، ولابد أن يكون دالًا على غرضها، وحاملًا إحدى العبارات التي نستعلم من طريقها موضوع الرسالة، كأن تكون العبارات دالة على الحرب أو السلم أو التعزية، أو

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 357/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 257/4.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، 211/6.

(4) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص275.

الشكر، أو التحميد على نصر[1]، وأن يناسب أيضًا مكانة المرسل للمرسل إليه، إذ يقال: "من الأمير فلان إلى فلان أعزه الله، فيقدِّم في اللفظ من قدّمت كفايتهِ أو عنايتهِ، وأن يكتب إلى من هو أرفع منه، فيبدأ بذكر خططه ثم يأتي بكنيتهِ ثم يدعو له بما يشاكلهُ من الدعاء..."[2]، ولابد أن يسلم على المرسل إليه، ويقدم لفظ السلام، فيقول:"السلام عليك"[3].

ويشير الكلاعي في تسمية العنوان بهذا الاسم؛ لأنه يدل على الكتاب ممن هو إلى من هو[4]، وإنَّ إثبات العنوان له دورٌ كبيرٌ في إيضاح أطراف المراسلة، ويجعل المراسلة منعقدة الأطراف، واضحة المعالم[5]، وفي الغالب يأتي ترتيب العنوان في رسائل هذا العصر، بعد البسملة، ومثال ذلك مانجده في كتاب المنتصر بالله إلى محمد بن عبدالله بن طاهر والي بغداد، حيث جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله محمد المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين"[6].

وقد نرى أن يأتي العنوان متصدرًا المقدمة دون ذكر للبسملة، وهذا المنحى يتضح بصورة جليّة في رسائل هذا العصر، كما هو الحال في رسالة المنتصر بالله إلى محمد بن عبدالله بن طاهر في خلع المؤيد والمعتز[7]، ويبدو لنا تقديم أسم المرسل على المرسل إليه، لكونها مخاطبات جرت من الأعلى إلى الأدنى، فلذلك اقتضى التقديم لإظهار الإجلال والاحترام لمكانة المرسل كأن يكون الخليفة أو الأمير أو الوالي، كما هو الحال في رسالة أحمد بن طولون إلى ابنه أبي العباس الذي تمرد عليه[8].

---

(1) الكلاعي، أبو القاسم، إحكام صنعة الكلام، دار الثقافة للنشر، بيروت، 1966م، ص52.

(2) الكلاعي، أبو القاسم، إحكام صنعة الكلام، ص53.

(3) الكلاعي، أبو القاسم، إحكام صنعة الكلام، ص80.

(4) الكلاعي، أبو القاسم، إحكام صنعة الكلام، ص53.

(5) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص477.

(6) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 4/227-230.الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 9/241-244.

(7) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 4/231-235.

(8) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 4/316-317.

وقد يرد أن يقوم الكاتب بإضفاء الألقاب والنعوت، وإكساب المرسل الصفات الحميدة، بينما يخفي اسم المرسل إليه أو يأتي به مجردًا من إضفاء الألقاب والنعوت، ويتجلى ذلك في كتاب صاحب شامة القرمطي إلى أحد عمالهِ، قائلًا فيه: "**بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدىّ المنصور بالله الناصر لدين الله، القائم بأمر الله، الحاكم بحكم الله، الداعي إلى كتاب الله، الذّابّ عن حرم الله، المختار من ولد رسول الله، أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، ومذلّ المنافقين، خليفة الله على العالمين، وحاصد الظالمين، وقاصم المعتدين، ومبيد الملحدين، وقاتل القاسطين**[1]**، ومهلك المفسدين، وسراج المبصرين، وضياء المستضيئين، ومشتّت المخالفين، والقيّم بسنّة سيد المرسلين، وولد خير الوصيّين، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطّيبين، وسلم كثيرا، إلى جعفر بن حميد الكردي**"[2].

نلحظ قيّام الكاتب بإضفاء مجموعة من الألقاب التي تضفي العظمة والأبَّهَة للمرسل، وفي المقابل يجرد اسم المرسل إليه من عبارات التبجيل والفخامة، ويبدو لنا من إيراد هذا تضاد في المعنى قد يريد المرسل إظهار مكانة المرسل إليه واستكانة منزلتهُ.

ونجد أيضًا شكلًا مختلفًا في إيراد العنوان، إذ يُذكر اسم المرسل بصورة واضحة، مع الإكتفاء بذكر النعوت والألقاب للمرسل إليه دون أن يكون هناك إعلان عن اسمهِ، مثال ذلك مانجدهُ في كتاب أحمد بن طولون لما ثار عليه ابنه العباس، قائلًا[3]: " من من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين، إلى الظالم لنفسه، العاصى لربّه، الملمّ بذنبه، المفسد لكسبه،...".

ثُمَّ بعد ذلك نتناول عنصرًا آخر من عناصر المقدمة، عنصر التحية والسلام الواردة في نصوص الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني، إذ يقول القلقشندي في ذلك: "إنما جُعل السلام في ابتداءِ الكتب وصُدُورها لأنه تحية الإسلام المطلوبة

---

(1) القاسطين:أي الجائرين. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 341/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 341/4.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، 6/7. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب،317/4.الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص486.

لتأليف القلوب"[1]، على مايبدو أن الكتّاب عمّدوا إلى ذلك من أجل تلطيف الأجواء بين المرسل والمرسل إليه واستمالة المخاطب.

إنَّ رسوم الكتابة في العصر العباسي بقيت على المنهج الذي كانت عليه في العصر الإسلامي والأموي فيما يخص التحية والسلام، ويضعونها بعد البسملة والعنوان، وقبل الانتقال إلى الحمدلة والبعدية[2]،

كما هو الحال في كتاب صاحب الشامة إلى أحد عماله[3]، ونلحظ هناك بعض الرسائل تخلو من السلام، بالأخص رسائل التهديد والوعيد والرسائل الحربية والسياسية، موضوعات هذه الرسائل لاتتناسب مع ما يقتضيه السلام من سلمية وأمان للمرسل إليه، وللاطلاع على الرسائل التي ستغني كاتبها عن السلام يُنظر في كتاب الوزير ابن مقلة إلى القوّاد والعمال في حادثة الإيقاع بجند الرَّجَّالة المَصَافِّيَّة[4] ببغداد.

ولطالما أن السلام كان مبعثًا للأمان والسلامة، فنورد مثالًا على ذلك مانجدهُ في كتاب أحمد بن طولون إلى ابنه العباس، قائلًا: "**سلامٌ على كل مُنيب مستجيب، تائبٍ من قريب، قبل الأخذ بالكَظَم[5]، وحُلولِ الفَوتِ والندم**"[6].

بعد ذلك نُلقي الضوء على جانب (الحمدَلَةَ)، عن طريق إيراد الألفاظ التي تدل على الحمد والشكر لله، والثناء والصلاة على النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآلهِ وسلم)، فحمد الله يوجب البركة واليُمن، ويذكر القلقشندي قولًا عن رسول الله في الحمدلله، يقول فيه:"كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأُ فيه بحمدالله فهو أجذمُ"[7]، ويرى النقاد أن يلحق التحميد الإشارة إلى غرض الرسالة، وأن يوحي بمضمونها[8]، ويشير إلى ذلك

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، 229/6.

(2) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص490.

(3) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 341/4.

(4) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 354/4.

(5) الكظم: مخرج النفس. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 317/4.

(6) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 317/4.

(7) القلقشندي، صبح الأعشى، 224/6.

(8) أبو علي، نبيل، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي، ص287.

زكي مبارك، قائلًا: "حتى يكون في صدر كتابك دليل واضح على مرادك وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك"[1].

والتحميد له عدّة حالات يأتي بها، فقد يجيء بعد البسملة مباشرةً، كما في كتاب المهتدي ردًّا على الموالي[2]، أو تبدأ بالتحميد مباشرةً دون البسملة، كما في كتاب إبراهيم الصولي[3] ، وقد يأتي التحميد بعد البعدية، كما هو الحال في كتاب خلع المعتز والمؤيد[4].

بعد ذلك يستحب أن تلحق التحميد لله عزوجل بالثناء والصلاة على الرسول الأعظم في صدور المكاتبات العباسية في هذا العصر، طلبًا للتبرك في ذكرها، ولمكانة رسولنا الكريم ومنزلتهُ في حياة الإسلام والمسلمين، فيلجأ الكتّاب إلى ذكر الحمدلله مقرونةً بالثناء على النبي (صلى الله عليه وآلهِ وسلم)، ويشير القلقشندي في ذلك، قائلًا: "**لانِزاعَ في أن الصلاة على النبي مطلوبةٌ في الجملة،...، فإذا أُتيَ بالحمدِ في أوّل الكتاب، ناسب أن تُؤتى بالصلاة على النبي في أوّلهِ**"[5]، للدلالة على على ذلك يرجى النظر في كتاب المنتصر بالله إلى محمد بن طاهر[6]، وكتاب احمد بن طولون[7]، وكتاب صاحب شامة[8]، وكتاب رد المهتدي على الموالي[9]، ونلحظ إزاء ذلك أنَّ أسلوب ذكر الصلاة لم يكن يسير في صيغة ثابتة وبصورة موحدة في جميع الرسائل.

---

(1) مبارك، زكي، الرسالة العذراء، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، 1931م، ص22.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 354/4.الطبري، تاريخ الرسل والملوك،224/9.

(3) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 157/4،154. الطبري، تاريخ الرسل والملوك،79/9.

(4) صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب، 231/4.الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 125/9. 125/9.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، 227/6.

(6) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 227/4.

(7) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 317/4.

(8) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 340/4.

(9) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 4/ 274،272.

وفي جزء التخلص إلى المتن، يتضح لنا كثرة استعمال الكتّاب هذا الأسلوب من المقدمة إلى المتن، ويكون من طريق تعبير (أما بعد)[1]، تستعمل هذه الأداة الفاصلة في صدور المكاتبات والولايات، وربما استعملت في ابتدائها، وهي عبارة مركبة من لفظين(أما) حرف شرط، (بعد) ظرف زمان، وتقع في الكلام لتوكيد الخبر، والفاء لازمة لها، لتصل مابعدها بالحرف الملاصق لما قبلها، فتقول:"أمّا بعدُ فأطال الله بقاءك"[2].

ويقول ابن الأثير في الإفادة من التخلص بأما بعد أو غيرها من أدوات الاقتضاب، هو من أجل قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره، فالكاتب عندما يفتح كتابه بالبسملة وذكر الله والتحميد والثناء، وأراد الخروج إلى الغرض الرئيس، فأنه يلجأ إلى الفصل بين غرضهُ وبين ذكر الله والتحميد بقوله(أما بعد)[3]، للكشف عن ذلك يُنظر كتاب المنتصر بالله بخلع المعتز والمؤيد[4]، فهو يبدأ بمقدمة طويلة نسبيًا، تجعل القارئ يستعد للدخول في الموضوع المقصود، ويتحدث فيها الخليفة المنتصر بالله عن مسؤوليته تجاه الرعية وحماية الدولة داخليًا وخارجيًا وفي صلاح العباد والبلاد، فهذه المهام تحتاج أن تتلاءم شخصيات مؤهلة للقيادة تتصف بالعزيمة والشجاعة والحزم، منوهًا إلى أنَّ الخلافة أمر جليل وعظيم، وتقع هذه المسؤوليات في عاتق الخليفة المعهود له، فبعد هذه المقدمات جعل المستمع يدرك الشي القادم وهو إصدار أمر بخلع المعتز والمؤيد والمبايعة للمنتصر بالله. والناظر لهذا الكتاب يجد أن دواعي الخلع كانت لأسباب تتعلق بمصلحة إصلاح البلد والرعية، ومن الواجب أن يختار من يصلح لهذه الواجبات، بيد أن المتعمق بأحداث هذا العصر، سيلحظ أن دواعي إفراز هذا الكتاب هو الأثر السياسي على الرسائل الديوانية إزاء سيطرة النفوذ التركي، وتحكمهم بأمور الحكم والخلافة، وخطورة هذا الحدث جعل المنتصر بالله يطيل في المقدمة، لأنّه أراد التمهيد إلى موضوعه الرئيس بعد البعدية، وهذا يمثل الوجه الأول

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى،231/6. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،القسم الثالث، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص139.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، 231./6

(3) ابن الأثير، ضياء الدين،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص139.

(4) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 231/4. الطبري،تاريخ الرسل والملوك،9 /247.

في كتابة البعدية، أي أن يبدأ الكاتب بالدخول إلى موضوعه بعد البعدية. أمّا الوجه الثاني لها، فأن تأتي البعدية بعد البسملة، كما هو الحال في كتاب محمد بن طاهر إل أهل بغداد[1].

وقد ترد في أول الكلام دون أن يكون هناك ذكر للبسملة والعنوان والتحية والحمدلة، كما نجده في كتاب محمد بن طاهر إلى عمال النواحي[2]، وقد ترد تارةً قبل الحمدلة، وهذا ما نجده في كتاب سعيد بن حميد في فتح وصيف[3]، ويشير الدروبي إلى تعدد مواطن استعمال أسلوب التخلص هذا[4]، وقد ألقى الباحث الضوء على الاستعمالات الواردة في الرسائل التي تقع ضمن فترة الدراسة.

ومن ثمَّ يبدو للباحث أنّ هناك مجموعة من الألفاظ التي اتفق الكتّاب على وجودها في مقدمات الرسائل الديوانية، وقد أشار إليها الكلاعي في كتابهِ:"كتبتُ، كتابي، كتابنا"[5]، وبهذه الألفاظ يتوصلون الكتّاب إلى غرضهم، وهذه الألفاظ ترتبطُ في الكتب الصادرة عن دار الخلافة ودواوين الإنشاء، ومثال ذلك مانجدهُ في كتاب في السلامة لسعيد بن حُمَيد[6]، وكتاب لسعيد بن عبدالملك[7].

بينما تتجلى بعض هذه الوسائل بصورة واضحة في الرسائل الواردة أيضًا، وترد بصيغة:"وصل كتابك أو رقعتك، ورد عليَّ، بلغني، فهمتُ كتابك"[8]، وهذه الرسائل تتطلب ردًا عليها، ومثال ذلك مايتضح في كتاب رد سعيد بن حُمَيد على كتاب سعيد بن عبدالملك الكاتب[9]، كتاب تعزية لابن ثوابة الكاتب[1]، وكتاب تعزية سعيد بن حُمَيد إلى والي بغداد[2].

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب،4/227،237.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب ، 4/266،261.

(3) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب ، 4/266،261.

(4) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص511.

(5) الكلاعي، أبو القاسم، إحكام صنعة الكلام، ص69.

(6) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 4/253،252.

(7) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب،4/264.

(8) الكلاعي، أبو القاسم، إحكام صنعة الكلام، ص69.

(9) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 4/260،

ويتضحُ مما سبق أنَّ عناصر المقدمة لايشترطُ وجودها مجتمعةٌ في الرسالة[3]، حيث لاحظنا خلو كثيرٌ من الرسائل من بعض تلك العناصر. ومن ثمَّ ننتقل إلى الجزء الثاني من أجزاء الرسالة الثلاث ألا وهو العرض أي مضمون الرسالة الذي كتبت لأجلهِ.

2-الغرض:

يمثل الغرض الموضوع الرئيس في أي عمل أدبي سواءً كان شعرًا أو نثرًا، وبما أنَّ الرسائل الديوانية-موضوع دراستنا- التي تُعدُّ فنًا من فنون النثر، فلابد لها أن تأخذ نفس الشكل البنائي لفن الرسائل بشكل عام، فالغرض يُشكلُ أهم جزء من أجزاء الرسائل، وفيه تتجلى قدرة الكاتب الفنيّة في طرحهِ للمشكلة التي يروم معالجتها طرحًا مقنعًا، وعن طريقهِ تعرف قدرة الكاتب في توظيف أدواته الفنية بما يحقق المُتعة للقارئ[4].

للغرض دورٌ كبيرٌ في تنظيم عملية الاسترسال بالكلام وفق الهيكل البنائي النموذجي للرسائل، فإنَّهُ يمثل جوهر القصد الذي تُبنى من أجلهِ الرسالة، ممّا جعل الكتّاب في الرسائل الديوانية يقرنون رسائلهم بالأدلة التي تؤيد صحة كلامهم وإدعائهم، وتدعم آراءهم[5]، وأيضًا عمدوا إلى الاهتمام بهذا الجزء عن الطريق التمهيد له بما يناسبهُ، بغية إثارة القارئ وجذب مسامعه وكسب رضاه، ويظهر اهتمامهم أيضًا في ماينتقون من ألفاظ جزلة وواضحة ذات معانٍ جليلة[6]، وكذلك تجلت في رسائل هذا العصر الوحدة الموضوعية والبناء الفني المنسجم، الذي يودي إلى استعمال الأسلوب

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 289/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 255/4.

(3) أبو علي، نبيل، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي، ص290.

(4) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص512.

(5) الحسن، غانم، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص37.

(6) الحسن، غانم، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص37.

الحسن في عملية الانتقال عند فصل الخطاب[1]. وإنَّ الظروف المختلفة –كما أسلفنا سابقًا–التي تتصل بالجوانب الحياتية للدولة العباسية، أدت إلى تنوع مضامين الرسائل الديوانية، فتعددت فيها الأغراض وكثرت بناءً لمقتضيات مصالح الدولة، فكل هذه الأحداث أثرت في بناء الرسائل وخاصةً في مضامينها[2]، بيد أنَّ هذا التنوع في المضامين لم يؤثر على النسق العام لها.

وعلى مايبدو أن هذا التنوع يُعزى إلى التطور الإداري، واتساع مناطق مسؤولية الدولة العباسية، وكثرة المهام والأعمال التي تقع على عاتقها، ممّا جعلهم يهتمون في نظامهم الإداري، الذي كانت تجسده الرسائل الديوانية، فكان لها دور في معالجة القضايا الداخلية والخارجية، منها ماكان يكتب في التولية، والمبايعات، والرسائل العسكرية، والرسائل التشريعية، والتوقيعات، التي لها ارتباط بالمؤسسة الحاكمة[3].

والمطالع لرسائل العصر العباسي الثاني، يجد أنَّ هناك رسائل قصيرة تصدر لمعاجلة موضوع واحد لاتتجاوزه، بينما هناك رسائل طويلة تتضمن مجموعة مضامين، تكون السبب في إفراز هذه الرسائل، ويسير بها الكاتب في نسق واحد للمحافظة على الوحدة الموضوعية للغرض الرئيس[4]، فالرسائل القصيرة التي عالجت موضوع واحد، فإنها تتجلى في رسائل المجاملات من تعزية وتهنئة، وخير مثال مانجده في كتاب تعزية سعيد بن حميد إلى محمد بن طاهر في بعض أوليائه[5]، وأيضًا في كتاب التهنئة لسعيد بن حميد إلى أحد أصدقائه لإسناده منصبًا[6]، وكذلك جسدت رسائل التوقيعات هذا الجانب، فيه جاءت لتعالج القضايا التي تخص المرسل من شكوى وقضاء حوائج ودفع بلاء، والتواقيع تمثل إجابة المرسل إليه في رقعة المرسل، وهي

---

(1) الصابي، أبو الحسن، رسوم درا الخلافة، دار الرائد العربي، بيروت، (د.ت)، ص108.القلقشندي، صبح الاعشى، 331/6

(2) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص514.

(3) الغريب، سلامة، الرسائل الفنية في العصر المملوكي الأول، ص308.

(4) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص519.

(5) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 282/4.

(6) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب ، 252/4.

لاتتعدى الموضوع الواحد[1]، كما هو الحال في توقيع محمد ابن عبد الله بن طاهر إلى الكتّاب سنة 251هـ، أيام الفتنة بين المستعين والمعتز[2]، توقيع لعلي بن عيسى الجرَّاح[3] إلى بعض العمال في ذكر أموال متخيّرة، وتفاصحَ في كتابهِ[4].

ولتوضيح الرسائل الطويلة التي تحمل أكثر من مضمون، نورد كتاب محمد بن طاهر إلى أهل بغداد[5]، الذي حمل مجموعة مضامين جاءت لتعالج الأزمة التي سوف تواجه المستعين ووالي بغداد محمد بن طاهر، فتحدث في مطلع الكتاب بالتحميد والشكر لله ، ومن ثمَّ الإشارة إلى دور الخلفاء العباسيين في المحافظة على الدين، وكذلك أشار إلى دور المستعين، ثُمَّ تحدث الكاتب عن دور والي بغداد ابن طاهر واصفًا شجاعته وخبرته في المعارك، ثمَّ يعمَد الكاتب إلى ذكر التوجيهات والأوامر الصادرة من المستعين لابن طاهر بتحصين بغداد، وأخيرًا يلوح إلى النصر، فهذه المضامين لم تخرج عن الموضوع الرئيس وهو عزم المعتز على مقاتلة عمه المستعين وأخذ البيعة منه وإعادة مركز الخلافة العباسية إلى بغداد، ولزيادة الإطلاع النظر في كتاب عهد الموفق إلى أحد الولاة[6]، حيث جاء فيه مجموعة مضامين لكنها تؤدي معنى واحد يتوافق مع ما يتضمنه الكتاب وهو تحديد الصلاحيات الممنوحة.

وأخيرًا، سنتطرق إلى الجزء الثالث والأخير من أجزاء الرسالة، وهو الخاتمة، وتمثل الخلاصة النهائية لما جاءت به الرسائل الديوانية.

---

(1) القلقشندي، صبح الاعشى، 331/6. ضيف، شوقي،العصر العباسي الأول، ص483.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 399/4.

(3) هو علي بن عيسى الجراح، ولى الوزارة للمقتدر، كان شيخًا من شيوخ الكتاب، عرف بزهده وفضله، حافظًا للقرآن الكريم ومطلعاً على تفسيرهِ وأحكامهِ.ابن الطقطقي، محمد بن علي،الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص267.

(4) صفوت، أحمد، جمهرة، رسائل العرب، 400/4.

(5) الطبري، تاريخ الطبري الرسل والملوك، 298/9. صفوت،أحمد، جمهرة رسائل العرب، 240/4.

(6) صفوت، أحمد، جمهرة، رسائل العرب، 290/4.

3-الخاتمة:

يمثل هذا الجزء الأساس المكمّل الذي تُبنى عليه الرسالة، وهو الجزء الأخير الذي سوف يسمعه القارئ، وقد اصطلح عليه بعض النقاد(الختام)، وأشاروا إليه:"أن يكون محكمًا، لايمكن الزيادة عليه، ولايأتي بعدهُ أحسن منه..."[1].

ونبه النقاد إلى ضرورة العناية والاجتهاد في النهايات، عن طريق استعمال الألفاظ والعبارات التي تتسم بالجزالة والوضوح، ولابد أن ترتبط الخاتمة بأصل المقدمة والغرض[2]، وألا تكون منفصلة عما قبلها، وإنما تكون امتدادا للمسار الذي نظم أول الرسالة ووسطها، ويكون الترابط بينها جميعا ترابطا وثيقا[3]، ويبدو أنَّ النقاد أرادوا من ذلك الحفاظ على الوحدة الموضوعية للنسق العام للرسالة.

ويتجلى أنَّ الكتّاب عمدوا إلى الاهتمام بخواتيم رسائلهم مثلما اهتموا في مقدماتها، وجاء ذلك بسبب إدراكهم أهمية الخاتمة وتأثيرها على المرسل إليه، وأنَّهم انتبهوا إلى مدى عضوية العلاقة بين صدر الرسالة وعجزها، ممّا جعلهم يجنحون إلى أن تكون نهايات رسائلهم مُتسقةٌ مع بداياتها[4].

ويشير القلقشندي إلى تنوع الخواتيم مثلما تنوعت البدايات، بناءً على الموضوع الذي تتناوله الرسالة، ويحصرها في مجموعة أطراف هي:"الانتهاء بالمشيئة، أو ذكر التاريخ، أو وضع إشارة في نهاية الكتاب، أو الحمدلة، أو الصلاة على النبي (صلى الله عليه وعلى آلهِ وسلم)، أو الحسبلة، أو التتريب عن طريق وضع الرمل الأحمر على الرسائل للبركة ولقضاء الحاجة"[5]. بيد أنَّ هذه الاستعمالات لم ترد جميعها في الرسائل الواقعة

---

(1) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق:محمد محي الدين، باب المبدأ والخروج والنهاية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (د.ت)، ص239.

(2) مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة ناشرون، لبنان،2007م، ص191.

(3) الشهيد، حشر الدين، الرسائل الإخوانية في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2007م، ص188.

(4) الدروبي، محمد، الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص522. الحسن، غانم، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص372.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، 6/231-271.

الواقعة ضمن مدّة الدراسة المحددة بل ورد بعضها. وللوقوف على تنوع اختتام الكتّاب لرسائلهم، لابد من النظر إلى الرسائل التي جسدت تلك النهايات المختلفة، فمنهم من كان يختمها بآية قرآنية، أو يضمنها مع نسق الكلام ويجعلها تتناسب مع الموضوع المطروح[1]، أو من يختمها ببيت شعري[2]، أو بلفظ المشيئة[3]،

أو الصلاة على النبي[4]، أو الحمدَلَة[5]، أو ينهون رسائلهم بالحسبلة[6]، أو بالدعاء[7]. ويبدو أنَّ هناك رسائل سقطت منها الخاتمة، كما هو الحال في الرسائل القصيرة التي لاتحتوي على مقدمة أو خاتمة، وهذا مانجدهُ في التوقيعات التي أشرنا إليها سابقًا.

وبناءً على ماتقدّم، فإنَّ الخاتمة تتضمن مجموعة مفردات أو عبارات تنتهي بها الرسائل الديوانية، وهي في مجملها لاتخرج عن صورة ما اشترط في الافتتاح بها، لكن قد تتذيّل الرسائل ببعض الأمور كالتأريخ الذي أكد عليه المختصون في إثباتهِ أثناء الكتابة[8]، أو اسم الكاتب، أو اسماء الشهود، الذين واكبوا الأحداث التي أفرزت تلك الرسائل، وغاية التذيّل هي للتأكيد والتوثيق[9]، ومثال ذلك مانجده في كتاب المنتصر بالله إلى محمد بن طاهر أثناء غزو وصيف التركي بلاد الروم[10] ، وكتاب المنتصر

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة، رسائل العرب، 224/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة، رسائل العرب، 284/4.

(3) صفوت، أحمد، جمهرة، رسائل العرب، 322/4.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 105،107/10. صفوت، أحمد، جمهرة، رسائل العرب، 342/4،344.

(5) صفوت، أحمد، جمهرة، رسائل العرب، 288/4،341.

(6) صفوت، أحمد، جمهرة، رسائل العرب، 237/4.

(7) صفوت، أحمد، جمهرة، رسائل العرب، 289/4،260،282.

(8) القلقشندي، صبح الأعشى، 235/6،192،226.

(9) الدروبي، محمد،الرسائل الفنية في القرن الثالث الهجري، ص534.

(10) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 343/9. صفوت، أحمد، جمهرة،رسائل العرب، 227/4.

بالله بخلع المعتز والمؤيد[1]، ومثال على كتابة أسماء الشهود مانلحظه في كتاب خلع المعتز لنفسه للمرة الثانية والمبايعة للمهتدي بالله سنة255هـ[2].

ويرى الباحث أنَّ الأحداث التي مرت بها الدولة العباسية دعت الكتّاب إلى الاهتمام بالهيكل العام لرسائلهم، ويبدو أنَّهم كانوا مصرّين على أن يتفحصوها من أولها إلى آخرها، ومراعاة الألفاظ، والمعاني فيها، ليظهروها بأحسن مظهر، وحتى يسلموا من قدح القادح وطعن الطاعن، فلذلك هم ملزمين بتنقيحها وتدقيقها، لتُلائم طبيعة حاجتها، والدواعي التي دعت لإصدارها، ممّا جعلهم يُنمّقون مقدمتها وغرضها وخاتمتها.

3.2 اللغة والأساليب

لطالما اهتم الكتّاب بالرسائل الديوانية وعدّوها فنًا مهمًا من الفنون النثرية التي أصبح لها شأنٌ كبيرٌ لدى الخاصة والعامة، ويعوَّلُ عليها في الأمور المهمة، وفي تسيير شؤون الدولة الخارجية والداخلية، إذ أدى ذلك إلى توجّه الدولة العباسية في تنظيم شؤونها الإدارية، وإفساح المجال للمختصين من الأدباء بالاعتناء بالجوانب الفنيّة للرسائل الديوانية، كونها تمثل واجهة الدولة العباسية في مكاتباتها بالشأنِ الداخلي والخارجي، ممّا جعل الكتّاب يزيّنون مكاتباتهم بأحسن ما يتوصل بها في فن الترسل والخطاب[3].

وساعد التطور الحضاري والثقافي للدولة العباسية في رقي الحركة الأدبية وازدهارها، بغض النظر عن الضعف السياسي الذي ألمَّ بالخلافة العباسية وسيطرة النفوذ التركي على مقاليد الحكم والسلطة، وتجسد هذا التطور في تنمّي القدرات اللغوية التي اكتسبها الكتّاب وتوسع مداركهم ومهاراتهم الكتابية، وتمكنهم في التحكم بناصية اللغة وأساليبها، وهذا التمكن في اللغة ساهم في إنماء ثقافتهم وفكرهم وخيالهم، إذ أثر ذلك على تطور الرسائل الديوانية من ناحية اللغة والأساليب، وأخذت هذه الرسائل

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة، رسائل العرب، 231/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة، رسائل العرب، 271/4.

(3) الإنسي، عبد الباسط، أبدع الأساليب في إنشاء الرسائل والمكاتبات، ط3، مطبعة جريدة الإقبال، بيروت، 1913م، ص2-3.

تعتمدُ على ثقافة المبدع وما يمتلكهُ من مقومات وأدوات تُعينهُ في الكتابةِ، ولبيان ذلك لابد من الوقوف على الجوانب الفنيّة المستخدمة في رسائل هذا العصر، التي تُظهر براعة الكاتب ومقدرتهُ في توظيف الفكرة والمضمون، وكل هذه تعدُّ وسائل لإقناع المرسل إليه واستمالة مشاعره تجاه ما يريدهُ المرسل، وسنوجّه الأنظار إلى بعض الأساليب الفنيّة التي تجلت لنا في الرسائل الديوانية.

1.3.2 العناية بالألفاظ والمعاني في الرسائل الديوانية

يعدُّ انتقاء الألفاظ من أهم الأسس الفنيّة في تكوين الأسلوب، عن طريقها يدرك القارئ المقصد الرئيس للرسائل، فالألفاظ مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنص، ويشير الجاحظ إلى ذلك، قائلًا:"من أرَاد معنىً كريمًا فليلتمس له لفظًا كريمًا؛ فإنَّ حقّ المعنى الشريف للفظ الشريف ومن حقهما أن تصونهما عمّا يُفسدهما"[1]، ويرى ابن قتيبة أنه لابد على الكاتب أن يتجنب الكلام الوحَشِيُّ الغريب، الألفاظ ذات الاستعمالات القليلة، وترك التقعير والتعقيب، أي استعمال المعاني العميقة[2]، على ما يبدو أنَّ الكتّاب في الرسائل الديوانية كانوا دائمًا يتجهون إلى استخدام الألفاظ الواضحة البسيطة، والابتعاد عن التكلّف والمجاهدة في التصنع، ويشير الجاحظ إلى عدم التوعُّر، فيقول:" إياك والتوعُّر، فإنَّ التوعّر يُسلِمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستلهك معانيك، ويشين ألفاظك"[3]، بناءً على ذلك عمد الكتّاب إلى العناية بألفاظهم، والانتقاء السليم لها، لأنها تعدُّ مفصلًا مهمًا في بناء الهيكل العام للرسائل، وتسهم في تحديد القيمّة الفنيّة والجمالية لها، وعند استخدام الألفاظ لابد من مراعاة ثلاثة منازل[4]: أولها: أن تكون الألفاظ عذبة ورشيقة، وثانيها: بساطة التركيب، وآخرها: أن تحمل معنى ظاهراً معروفاً.

---

(1) الجاحظ، البيان والتبين،136/1.

(2) ابن قتيبة، أبو محمد، أدب الكاتب، شرح وتقديم: علي فاعور، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة السعودية العربية، ص17-19.

(3) البيان والتبين،136/1.

(4) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم: أحمد الحوفي وبدري طبانه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)،163/1.

وكذلك ينبه النقاد إلى ضرورة مناسبة الألفاظ لقدر المرسل والمرسل إليه، فلابد أن يفرق الكتّاب أقدار المعاني، ويوازنوا بينها وبين أقدار المخاطَبين، فيخصص لكل طبقة صيغة تخاطَب بها، ومراعين مقاماتهم، وأن يراعي فيها العبارة لمقتضى الحال[1]، إذ تقسم الألفاظ ومعانيها على أقدار المقامات فكلام الناس فيه مستويات، فهناك الكلام الجزل والسَّخيف والمليح والحسن والقبيح والخفيف والثقيل[2]، فالناس أيضًا فيهم مستويات كما مرَّ بنا الحال في الفصل السابق، فمنهم الطبقة العليا الخاصة، والوسطى والطبقات الدنيا.

ثمَّ إنَّ بساطة الألفاظ والمعاني ووضوحها، قد تكشف عن ضمير مرسلها، فالمعاني المستورة والوحشية والمحجوبة، لا يعرِفُ الإنسان عن طريقها ضمير صاحبها، ولا حاجته، ولا تساعدهُ على الكشف عمّا يَختلجُ في خاطرهِ ونفسهِ، حتى يبلغ حاجته[3]، وعلى ما يبدو إزاء استعمال البساطة، أنّها تساعد على تقريب وجهات النظر، وتجعل الخفي ظاهرًا، والغائب شاهدًا، والبعيد قريبًا، وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيدًا، والمقيد مطلقًا، والوحشي مؤلفًا، وبوضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وحسن الاختصار ودقة المدخل ينكشف المعنى [4]، فإنَّ وضوح الدال يؤدي إلى وضوح المدلول، وسنسعى في هذه الدراسة إلى بيان اللغة والأساليب للرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني.

وبما إنَّ الرسائل الديوانية عُدّت وسيلة إعلامية، إلّا أنَّ عملها كان يتجه لمخاطبة جمهور مختلف من الناس وبمختلف الثقافات، فالألفاظ والمعاني المتكلّفة والمعقدة، قد لا تفهمها العقول الجاهلة، والناس البسيطة، فالكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان[5].

---

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبين،139/1.

(2) البيان والتبين144/1. المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية، ص179.

(3) المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية، ص180.

(4) المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية، ص180.

(5) البيان والتبين،84/1. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 176/1.

وعند مطالعتنا لرسائل العصر العباسي الثاني، نلحظ أنَّ أغلبها تميل إلى البساطة والابتعاد عن تناول الألفاظ، والمعاني الغريبة أوالمعقدة، وهذا ليس على سبيل الحصر، و من الصعب أن نُسلِّم بطغيان السهولة، والوضوح في أغلب الرسائل، لأنّه في بعض الأحيان يعمدُ الكاتب إلى التوعّر واستخدام الغريب، حتى يناسب أسلوب السجع، أو في ميله إلى إخفاء المعلومات واتخاذه أسلوب التعميّة والتشفير[1] في نصوصها، لكن بشكلٍ عام نراها تتصف بالجزالة ووضوح المعاني، وعلى ما يبدو أنَّه لطبيعة تناول الرسائل الديوانية الأمور التي تخص الدولة العباسية داخليًا وخارجيًا أسبغ عليها الصفة الرسمية، وجعلها تجنح نحو الوضوح والنأي عن استخدام الغريب في الكلام، لأنه عن طريق الكلام الفصيح نكشف مقاصد المرسل، فالفصاحة عند ابن الأثير هي الابتعاد عن الغموض والخفاء[2]، ويرى أنَّ الألفاظ الجزلة تكثر في وصف المعارك والحروب، وفي التهديد والتخويف وأشباه ذلك من الأمور الرسمية، أما الألفاظ الرقيقة؛ فتكثر في المودّات واستمالة العواطف وأشباه ذلك من رسائل المجاملات التي عبرنا عنها في دراستنا، وهو يقصد بالجزل أن يكونَ متينٌ في عذوبتهِ وممتعٍ عند سماعهِ، والرقيق هو اللطيف الناعم الملمس[3].

ولتقفي آثار عناية الكتّاب في اختيار ألفاظهم ومعانيهم بما يناسبها من أفكار، نورد مثالًا على ذلك، ما يتضحُ لدى الباحث في افتتاحية كتاب محمد بن عبدالله بن طاهر إلى أهل بغداد[4]:" **فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته، والقادر فلا يعارض في قدرته، والعزيز فلا يذلّ في أمره، والحكم العدل فلا يردّ حكمه، والناصر فلا يكون**

---

(1) التعميّة: هو الاعتماد على إخفاء المعنى المقصود دون التصريح به، إذ يحتاج بعض الكتّاب إلى استخدام أسلوب التشفير في تعمية المعاني، من خلال التعبير بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه. يُنظر:المصري، أبو الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1963م، ص579. مطلوب،أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص633. الرسالة العذراء: صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 176/4. مبارك، زكي، الرسالة العذراء، ص28.

(2) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 185/1.

(3) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.

(4) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 237/4.

نصره إلا للحق وأهله، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحد عن أمره"، نلحظ كيف أنَّ الكاتب اختار ألفاظاً تُناسب المعنى والغرض، وبما أنَّ الصراع يدور حول الخلافة؛ إلّا أنَّهُ يعطي مقدمة مفادها تقديم الوعظ والإرشاد ودعوتهم للرجوع إلى الباري عز وجل، لأنه هو الحاكم العادل والعزيز الذي لا يذل مع اسمه شيء، ثمَّ يوصي أتباعه بمجموعة وصايا بأسلوب واضح وبسيط وجزل، قائلًا فيه: "**وأمرهم بتقوى الله وطاعته، والأتباع لأمره، والتصرف مع كتابه، والتوقّف عن الحرب حتى تسبق التذكرة الأسماع، وتنزل الحجة بالتتابع منهم والإصرار، فنفذوا في جمعٍ يقابل جمعهم، مستبصرين في حق الله عليهم، مسارعين إلى لقاء عدوهم، محتسبين خطاهم ومسيرهم واثقين بالثواب الآجل، والجزاء العاجل**".

ونورد مثالًا آخر[1]:"**والحمد لله العزيز القهّار، الملك الجبّار، الذي اصطفى الإسلام واختاره، وارتضاه وطهّره، وأعلاه وأظهره، فجعله حجة أهله على من شاقّهم، ووسيلتهم إلى النصر على من عَنّد[2] في حقهم،...، حتى انتهت كرامة الله إلى خاتم أنبيائه، وحامل كتابه، ومفتاح رحمته صلى الله عليه وسلم**".

ويتضحُ لدى الباحث أنَّ عناية الكتّاب لم تقتصر على الاهتمام بالألفاظ فقط ، فالاهتمام هو بالمعنى أيضَا، ويشير إلى ذلك ابن الأثير:" إذا العرب قد أصلحوا ألفاظهم، وحسنوها، ورقَّقوا حواشيها؛ فلا تظن أنَّ العناية إذ ذاك إنما هي بألفاظ فقط؛ بل هي خدمةٌ منهم للمعاني ونظير ذلك إبراز صورة الحسناء في الحلل الموشية،...،"[3]. وأيضًا يرى ابن الأثير أنَّ العرب كانت تعتني بألفاظها وتزخرفها، عناية منهم بالمعاني التي تحتها، فالألفاظ هي التي تخدم المعنى[4].

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 257/4

(2) عند: أي مال.

(3) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 65/2.الحسن، غانم، الرسائل الأدبية النثرية، ص421.

(4) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 69/2.

ولبيان ذلك نورد كتاب محمد بن طغج[1] مخاطبًا فيه الملك آرمانوس، الذي أراد التقليل من شأن القائد بن طغج، إذ أدعى أنه لا يخاطب منهم دون الخليفة، فأجابه بكتاب نتناول نصًا منه، يقول فيه[2]: "**وأما الملك الذي ذكرت أنه باق على الدهر، لأنه موهوب لكم من الله خاصة، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين، وإنّ الملك كلّه لله، يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممّن يشاء، ويعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، بيده الخير وإليه المصير، وهو على كلّ شيء قدير**"

والمطالع لهذا النص يجدهُ غاية في وضوح المعنى بعيداً عن التعقيد، اعتمد فيه الكاتب على ألفاظ جزلة متينة تعطي عذوبة في الفمّ وتطرق أسماع المخاطَبين، تناسب المعنى وتتلائم مع ثقافة المرسل إليه، حيث لا يجد المتلقي عناءً في تفسيرها وفي بيان معانيها.

ومثال ذلك أيضًا ما توصلت الدراسة إليه في الرسائل الديوانية التي تكون ذات جنبة اجتماعية وإصدارها يكون لدواعي المجاملات، ففي كتاب تعزية أبو العباس بن ثوابة الكاتب إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتمد الكاتب في تعزيته عن أخيه، يقول فيه[3]:" **الله يعلم- وكفى به عليما- لقد أردت مكاتبتك بالتعزية، فرأيت عيبا أن أفديك بنفس لا بدّ لها من الفناء، ولا سبيل لها إلى البقاء، ومن أظهر لك شيئا يضمر خلافه فقد غشّ،..**".

وكتاب سعيد بن عبدالملك الموجه لخليفته المهتدي في عيد الفطر ، الذي يقول فيه[4]:"**وقد كتبت إلى أمير المؤمنين فيما وليه الله به في مخرجه إلى عيده من يوم فطره، وما وفّقه له من التقرب إليه بوسائل التذلّل في طاعته، والاجتهاد في شكره، و**

---

(1) ولى حكم مصر سنة 323 فى خلافة الراضى بالله أحمد بن المقتدر (الذى ولى الخلافة سنة 322 ومات سنة 329) وتوفى الإخشيد سنة 335 (وقد استولى بنو بويه على بغداد سنة 334 فى خلافة المستكفى بن المكتفى بن المعتضد). صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 357/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 357/4.

(3) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 288/4-290.

(4) ضيف،شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص554. صفوت، أحمد ، جمهرة رسائل العرب، 261/4.

المناصحة في مخاطبة من حضره، وإنصاتهم لوعظه وتذكيره، وما وليه الله به من العافية والسلامة الشاملة، والنعمة الكاملة والعز الموصول بالسكينة".

توضح لدى الباحث أنَّ الألفاظ والمعاني لم تخرج عن إطار الوضوح والبساطة في اللفظ والمعنى والتركيب في النموذجين السابقين ، ولا نقصد بالبساطة هو الضعف والتقهقر في جوانبها الفنيّة، فالكتّاب وضعوا لكل مناسبة ألفاظًا واضحة المعنى تتناسب مع مضامينها.

اتسمت الرسائل الديوانية في هذا العصر بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني، الذي يؤدي إلى بساطة التعبير، إذ يراهُ ابن الأثير شرطًا ينبغي مراعاتهُ عند الكتابة في هذا الفن، لكي يبتعد عن الغريب والوحشي من الكلام[1]، وعلى ما يبدو أنَّ هذا الأسلوب يكثر في موضوعاتها ذات الطابع الرسمي، كونها كتب صادرة عن الجهات العليا التي لا تحتمل إلا التعبير بشكل سليم وواضح غير قابل للتأويل، عكس الكتب الواردة إليها التي قد يسلك الكاتب فيها إلى التفنن في التعبير عن مطلبهِ وحاجته، لكن لا يخرج عن الضوابط التي يعهد عليها الكتّاب في مخاطبة الرئيس للمرؤوس وبالعكس.

2.3.2 الأساليب في الرسائل الديوانية

المتأمل في رسائل العصر العباسي الثاني، يلحظ أنَّ هناك دورًا كبيرًا لديوان الرسائل[2]، إذ هو الجهة المسؤولة عن صدورها، إذ ساعد في توحيد اللغة والأساليب لدى الكتّاب أثناء كتابة رسائلهم، وهذا الديوان له دور مهم في وضع الأسس الفنيّة للمكاتبات لكي يسير عليها الكتّاب، من تحديد الألقاب وأقدار المخاطَبين ووضع الهيكل العام لها، وفي تحديد صيغ كتابة الرسائل بناءً على مضامينها، إضافةً إلى ذلك قدرة الكتّاب وثقافتهم واتساع مداركهم اللغوية والأدبية، فكل هذه العناصر أدت إلى تجلي ملامح اللغة والأسلوب المتبع في تحرير رسائلهم.

---

(1) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 185/1.

(2) ديوان الرسائل: يُعرّفه القلقشندي، هو ديوان خاص بالأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تُنشأ عنه وتبتدأ منه، وكان يعبر عنه في الزمن المتقدم بديوان الرسائل، إذ كان الكاتب يُنشأ لكل حدث كتابًا، ورما قيل عنه بديوان المكاتبات. القلقشندي، صبح الأعشى،90/1.

إنَّ الغاية من اكتشاف جماليات العمل الأدبي لا تقف عند اللغة من جمالية الألفاظ وحسن المعاني، بل تكتمل جماليات النص عن طريق الكشف عن أهم الأساليب والأدوات الفنيّة التي تجلت وشاركت في إثراء النتاج النثري لرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني، إذ عمدَ الكتّاب إلى استعمال أساليب فنيّة مختلفة داخل النص النثري، بغية المساعدة في إيصال الغرض والمقصد الرئيس للمرسل إليه، وسنُلقي الضوء على الأساليب اللغوية التي تجلت بصورة واضحة في الرسائل الديوانية، فمنهم من اعتمد على الأسلوب المرسل، والأسلوب المسجوع، وأسلوب الازدواج ، ومنهم من عمدَ إلى استعمال أسلوب الخطاب، ومنهم من يميل نحو استعمال الظواهر الأسلوبية كظاهرة التكرار التي تجلت في رسائلهم، حرصًا منهم على إحداث علاقة بين صياغة الأسلوب الفنيّ والموضوعات.

الأسلوب المرسل غير المقيد:

هو أن يميل الكاتب في معالجة الموضوعات التي يقصدها إلى استعمال التعبير البسيط الواضح دون تكلّف وعناء، قاصدًا اهتمامه باللفظ والمعنى بعيدًا عن الصنعة، تاركًا الكلام يأتي على سجيتهِ، ويشير الجاحظ إلى ذلك، قائلًا:" الأسلوب المرسل لا سجع فيه ولا ازدواج ولا تقطيع، ولا ترى فيه غموضًا أو جفاءً أو ثقلاً في الكلام[1]، وهذا الأسلوب كان بارزًا في القرن الأول والثاني ومطلع القرن الثالث، منطلقين من كلام مبارك إذ قال:" لا نكاد نجد في القرن الثاني وأوائل الثالث، كاتبًا يتخذُ السجع طابعًا وملازمًا لنثرهِ"[2]، وهذا لا يعني أنَّ الذين لم يلتزموا بالسجع ابتعدوا عن القواعد الرسمية في الكتابة، بل إنهم عمدوا إلى استعمال جوانب فنّية أخرى عند كتابة رسائلهم[3]، إذ يتيح الأسلوب المرسل للكاتب الحرية في اختيار الألفاظ والمعاني، وفي

---

(1) الجرجاني، عبدالقاهر،أسرار البلاغة في علم البيان، تعليق:محمد رشيد، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،1983م، ص10. بلبع، عبدالحكيم، النثر الفنّي وأثر الجاحظ فيه، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، القاهرة، ص218.

(2) مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، ص25.

(3) مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ص84.

استعمال الأساليب الفنّية بناءً على طبيعة الموضوعات المتناولة، وأشار زكي مبارك إلى ذلك، قائلًا: " إنَّ الموضوعات هي التي تحدد نوع الصياغة"[1]. ولبيان الداعي لاستعمال هذا الأسلوب في الرسائل الديوانية، هو لطبيعتها الرسمية، فلابد أن تكون واضحة مفهومة للجميع، ولا تؤول لمعنى آخر، ومثال ذلك ما نجدهُ في كتاب محمد بن سليمان بن وهب الكاتب إلى القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي بالله سنة 291هـ، يُبشره بالنصر على القُرمطي صاحب شامة بعد أن هزم أصحاب القرمطيّ وقتلوا، قائلًا فيه[2]:" **بسم الله الرحمن الرحيم ، قد تقدمت كتبي إلى الوزير- أعزه الله- في خبر القرمطي اللعين وأشياعه، بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاء الله**". نلحظ هنا الكاتب يتجه إلى الأسلوب المرسل، لأنه يريد التركيز على المعنى أكثر من الألفاظ، لأنها برقية عاجلة لا تقتضي الإطناب والتأني في انتقاء الألفاظ وعنايتها لحساسية الموقف، فأرسل الكلام إرسالًا فجاءت الفكرة واضحة.

والأسلوب المرسل يُعطي مساحة غير مقيدة في أن يُدّعم الكاتب كلامه بشيء من كتاب الله أو الحديث الشريف[3]، وهذه من السمات الواضحة على هذا الأسلوب فالكاتب يتجه إلى الاستشهاد بالآيات القرآنية حتى يُسند حجتهُ، نذكر مثالًا على ذلك ما نجدهُ في كتاب المنتصر بالله بخلع المعتز والمؤيد[4]، فإنَهُ يورد الآية الكريمة، قال تعالى:((**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**))[5]، نلحظ أنَّ الكاتب أراد أن يُدّعم موقفه فلجأ إلى توظيف السياق المباشر من الموروث الديني، عن طريق تضمين آية من سور القرآن الكريم بأسلوب مباشر، ولطالما نظام الخلافة يقوم على البيعة والطاعة، فاختار الآية القرآنية التي فيها دلالة على الطاعة وعدم العصيان، والغاية من توظيف النص القرآني؛ جاء ليحقق تناسبًا بين مضمون الآية وطبيعة الحدث، وإسناد

---

(1) مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ص25.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 344/4.

(3) الجبوري، رمضان، الرسائل الديوانية في العصر العباسي، ص134.

(4) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية، 230/4.

(5) سورة النساء، الآية:59.

حجته، ليزيد من التأثير في نفوس المرسل إليهم، بغية ألا يحصل رد فعل تجاه فعلته، التي هي بالأصل جاءت لتلبية المصالح السياسية للنفوذ التركي.

أسلوب السجع:

ويُعرفه ابن الأثير: "هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"[1]، أما القلقشندي، فيراهُ: "هو تقفية مقاطع الكلام من غير وزن"[2]، كقوله تعالى:((وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا))[3] . والسجع هو الاعتدال في مقاطع الكلام، فالنفس تميل إليه بالطبع، ولابد أن يظهر على الألفاظ التكلّف والصنعة، وتكون حلوة حارّة طنانةً رنانةً، وأن يسير اللفظ تجاه المعنى لا العكس[4].

ويبدو أنَّ أسلوب السجع في معظم الرسائل ذات الشأن السياسي الداخلي أو الخارجي والمتعلقة بأمور الرعية والخلافة، نرى أسلوب سجعها واضحاً ليس فيه صنعة أو تكلّف، فهو لم يكن ذا قصد أو استدعاء، بل جاء على مقتضى الطبع والسّليقة، ولبيان ذلك نورد كتاب المهتدي بالله إلى الموالي، قائلًا فيه[5]: "**أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم، وعلى أيديكم؛ فهمت كتابكم وقرأته على رؤسائكم، فذكروا مثل الذي ذكرتم، وسألوا مثل الذي سألتم، وقد أجبتكم إلى جميع ما سألتم، محبة لصلاحكم وألفتكم واجتماع كلمتكم، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم، وأن تصير دارّة عليكم، فليست لكم حاجة إلى حركة، فطيبوا نفسا والسلام**".

نلحظ أنَّ ألفاظ الفواصل اتفقت على روي واحد، وبتكرار السجعات في النص السابق عن طريق حرف الميم، في الكلمات الآتية:(بكم، أيديكم، رؤسائكم، ذكرتم، سألتم، كلمتكم، أرزاقكم، عليكم)، أحدثت جرسًا موسيقيًا جميلًا يجذب الانتباه. ونورد

---

(1) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 210/1.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، 269/2.

(3) سورة العاديات، الآية: (1-5).

(4) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 212/1-213.

(5) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 274/4.

مثالًا آخر في كتاب عهد الموفق لأحد عماله، يقول فيه[1]:" **أمره بتقوى الله وطاعته، وخشيته ومراقبته، في سرّه وعلانيته**". يتجلى في هذا النص لزوم الكاتب إلى السجع، إذ أراد من ذلك أن يجعل المتلقي أو القارئ(المرسل إليه) أن يكون في عملية تواصل مستمر مع النص، وأن يطرق حواسه الصوتية، ويحرك مخيلتهِ من أجل إدراك المعنى ومضمون رسالته التي جاءت فيها بنود كثيرة وطويلة، وحتى لا تكون مدعاة الْمَلَل والضيق لما فيها من توصيات و توجيهات. وأيضًا يتضحُ هذا الأسلوب في كتاب أحمد بن طولون لابنه العباس العاصي عنه، يقول فيه[2]:" **إلى الظالم لنفسه، العاصي لربّه، الملمّ بذنبه، المفسد لكسبه، العادى لطوره، الجاهل لقدره**". ويتضح أيضًا في كتاب صاحب شامة القرمطي، يقول فيه[3]: "**أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، ومذلّ المنافقين، خليفة الله على العالمين، وحاصد الظالمين، وقاصم المعتدين، ومبيد الملحدين، وقاتل القاسطين، ومهلك المفسدين، وسراج المبصرين، وضياء المستضيئين، ومشتّت المخالفين، والقيّم بسنّة سيد المرسلين، وولد خير الوصيّين، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطّيبين**"، حقق الكاتب في هذا النص عن طريق الكلمات الآتية (المؤمنين، المسلمين، المنافقين، العالمين، الظالمين، المعتدين، القاسطين، المفسدين، المبصرين، المستضيئين، المخالفين، المرسلين، الوصيّين، الطّيبين)، تناسبًا في المفردات والتساوي في الفاصلة، وتكاد تكون الجمل على مستوى واحد من حيث الطول، إذ عمَدَ إلى المساواة النسبية بين الفقرات، وقصر الفقرات يدل على قوة التمكن وأحكام الصنعة[4] ، والسجع القصير من أوعَر السجع مذهبًا[5]، ممّا أدى إلى حدوث سرعة في الانتقال إلى الفقرة التالية مع ضمان الاستمرارية التفاعلية في النص مع القارئ.

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 290/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 316/4.

(3) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 340/4.

(4) الحلبي، شهاب الدين، كتاب حسن التوسل إلى صناعة الترسل، مطبعة ابن فندي، مصر،1897م، ص74.

(5) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 257/1.

ومثال ذلك أيضًا ما نجدهُ في توقيع عبيد الله بن سليمان بن وهب إلى أبي العيناء حينما طالبه برزقه، وكان عبيد الله قد أخره عنه، فرد إليه معتذراً على التأخير قائلاً[1]:"**أنَا – أسعَدَكَ اللهُ –على الحال التي عهِدتَ، وميلِي إليكَ كما علمتَ، وليسَ مَن أُنسِينَاهُ أهمَلنَاهُ، ولا مَن أخَّرنَاهُ تركنَاهُ، مع اقتِطاعِ الشُّغل لنا، واقتِسَامه زماننا، وكان مِن حقِّكَ علينا أن تُذكِّرَنا بنفسك، وتُعلِمنَا أمرَكَ**". نلتمس في هذا النص الانسجام في تراكيبهِ، والجودة في السبك، وجمالية التوازن الإيقاعي، فالقارئ يحس بتلك الموسيقى الجميلة التي يوجدها السجع، فتعطي نغمًا رائعًا يثير انتباه المرسل إليه، واستمالة مشاعره وعواطفه . وعلى ما يبدو أنَّ السجع يتجلى في معظم الرسائل في هذا العصر، فهو لم يقتصر على القصيرة والطويلة[2].

أسلوب الازدواج:

لهذا الأسلوب أثرٌ واضحٌ في الكلام، فيجعلهُ جميلاً رشيقًا منمّقًا، ويشير إليه ابن الأثير، قائلًا:" أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن"[3]، إذ حرص الكتّاب أن يلائموا بين ألفاظهم وجملهم ويوفروا لها ضربًا من البناء الصوتي المعتدل عن طريق أسلوب السجع والازدواج[4]، وأشار إلى ذلك الأسلوب صاحب الصناعتين، قائلا:" لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجًا، ولا تكاد تجد لبليغٍ كلامًا يخلو من الازدواج ،...، فإن أمكن أن يكون كل فاصلتين على حرف واحد أو ثلاث أو أربع لا يتجاوز ذلك أحسن،...، وإن أمكن أن تكون الأجزاء متوازية كان أجمل وإن لم يكن ذلك فينبغي أن يكون الجزء الأخير أطول"[5]، وغانم الحسن يشير

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 282/4.

(2) مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ص106.

(3) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 291/1.

(4) بلبع، عبدالحكيم، النثر الفنّي وأثر الجاحظ فيه، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، القاهرة، ص166.

(5) العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، ط1، ص199–202.

إلى ذلك قائلًا: "أن يراعي الأديب أو منشيء الرسالة الوزن، أو التقابل الإيقاعي في جميع كلمات القرينتين، أو في أكثرها، وهو أحسنها، وأعلاها"[1].

وكتّاب الرسائل الرسمية الديوانية لجأوا إلى هذا الأسلوب بغية تحقيق أكبر قدر ممكن من الموسيقى والإيقاع اللفظي، ولبيان ذلك ما توصلت إليه الدراسة في كتاب جعفر بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير، والتي جسدت طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الكتّاب، يقول فيه[2]:" **قد فتحت للمظلوم بابك، ورفعت عنه حجابك، فأنا أحاكم الأيام إلى عدلك، وأشكو صرفها إلى عطفك، وأستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك، فإنها تؤخرني إذا قدّمت، وتحرمني إذا قسمت، فإن أعطت أعطت يسيرا، وإن ارتجعت ارتجعت كثيرا**"، يتجلى لنا في هذا النص التقابل النغمي بين الكثير من تراكيبه، إذا نلحظ تماثل في المقاطع والفواصل، والكاتب يجمع بين السجع والتكرار حتى يخلق توازناً تركيبيًا، إذ إنَّ هذه المقاطع مبنية على تعادل الفِقرات المزدوجة، في تلازم موسيقي تمهيدًا للدخول إلى المضمون، وإيراد تكرار الكاتب اللفظتان(أعطت، ارتجعت)، لم يقصد لهما التجنيس[3] ، بل قصد منها التأكيد على قضاء حاجته وبغية مقصده، والتأكيد على العطية التي فيها صلاحه، فعمَدَ إلى تكرار ذات اللفظة في تركيبها ومعناها[4]، الذي يعتبر أحد تقنيات هذا الأسلوب[5]. ومن النماذج التي جاءت جاءت متناغمة مع حلية السجع ما نلحظه في كتاب محمد بن عبدالله بن طاهر إلى أهل بغداد، يقول فيه[6]:"**فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته، والقادر فلا يعارض في قدرته، والعزيز فلا يذلّ في أمره، والحكم العدل فلا يردّ حكمه**".

---

(1) الحسن، غانم، الرسائل الأدبية النثرية، ص399.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 296/4.

(3) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 262/1. العسكري، الصناعتين، ص249.

(4) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 9/3.

(5) الجبوري، رمضان، الرسائل الديوانية في العصر العباسي، ص151.

(6) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 237/4.

والمتأمل لرسائل هذا العصر يجد أسلوبها يتشاطر بين المرسل والمسجوع والازدواج، ممّا يحدث تنويعًا في الصياغة اللفظية بأسلوب مُنغم ومنسجم الألفاظ والتراكيب، واستخدام الكتّاب السجع في نصوصهم جاء على مقتضى الطبع والسّليقة، ومن غير أن يتكلّفوه ويجعلوهُ غايتهم، ويبدو أنّها لم تكن اختيارية وواقعة تحت إرادة الكاتب، بل محكومة بقواعدها الثلاث تبعًا للأحداث السياسية والاجتماعية[1].

أسلوب الخطاب في الرسائل الديوانية:

بعد أن تناولنا الأساليب المعتمدة في كتابة الرسائل، أصبح من الضروري أن نُعرّج على أسلوب الخطاب فيها كاشفين عن أنماط الخطاب المختلفة، والتي تجلت لنا عن طريق المشاعر والحالة النفسية للمرسل، فكتابة الرسائل تساعدنا في أن نأخذ انطباعاً عن طبيعة المرسل، وكذلك في فهم تصوراته، وتختلف تلك الانطباعات باختلاف الأحداث والمواقف.

ولعل حضور عنصر الأداء الخطابيّ، الذي يُعبر عن مشاعر المرسل، يسهم في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للبنية الخطابية في الرسائل، وتفسير عباراتها وفق المعطيات الداخلية لمضمون الرسائل وأسلوبها الخطابي، ومحيطها الخارجي[2]، أي بيان مدى ملاءمة أسلوب التخاطب في الرسائل مع الحدث الذي أفرزته تلك الرسائل وأثرهُ فيها.

وعلى ثنايا ما تقدّم، يمكن أن نحدد أسلوب نبرة التخاطب في الرسائل الديوانية لهذا العصر، وبيان أنماط التعبير عن مواضع تلك النبرة، معتمدين في ذلك على ما اعتمده الجبوري في تصنيف مستويات الخطاب[3]، والتي جعلها خمسة بينما في دراستنا سنقتصر على اثنتين منها:

1-الخطاب ذو النبرة الحادة أو الشديدة :

أسلوب التخاطب في رسائل هذا النوع تحمل لهجة شديدة وقاسية، إذ يحتاج الخليفة إلى إصدار رسائل ذات خطاب حاد، بغية ردّع المخالف وكل من يهدد أمن وسلامة

---

(1) الجبوري، رمضان، الرسائل الديوانية في العصر العباسي، ص134.

(2) الذوادي، إيمان، مستويات الخطاب، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2017م، ص154.

(3) الجبوري، رمضان، الرسائل الديوانية في العصر العباسي، ص112.

الدولة، وإصدار رسائل تأديبية موجهة إلى القادة والعمال، تتجلى فيها قوة وعظمة مركز الخليفة، فتعد إجراءات رادعة وعقوبات صارمة ، قد تصل إلى العزل من المهام، ومثال ذلك ما نجده في رسائل البيعة عند بيعة المعتز بالله عندما بويع بالخلافة ووضع عقوبات شديدة لمن يخالف تلك البيعة ويخونها، قائلا[1] :

"**فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين هذه البيعة، على ما أخذ عليكم، مسرّا أو معلنا، مصرّحا أو محتالا أو متأوّلا...، فكلّ ما يملك واحد منكم ممن ختر في ذلك منكم عهده، من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع، صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله، محبوس محرّم عليه أن يرجع شيئا من ذلك إلى ماله،...، وكل مملوك يملكه اليوم وإلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى، أحرار لوجه الله، ونساؤه يوم يلزمه فيه الحنث ومن يتزوج بعدهنّ إلى ثلاثين سنة، طوالق طلاق الحرج، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها، وهو برىء من الله ورسوله، والله ورسوله منه بريئان، ولا قبل الله منه صرفا ولا عدلا، والله عليكم بذلك شهيد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل**".

نلحظ في هذا النص استعمال النبرة الحادة الشديدة الواضحة من طريق إيراد المفردات التي تحمل مضامين رادعة وتوجيهات صارمة إلى كل من ينوي خذلانه وهي توجيهات واجبة التنفيذ، إذ تعكس الحالة الشعورية النفسية للخليفة، أو يمثل خطاب الجهة المستفيدة من ذلك والمسيطرة على سدّةِ الحكم، والمتمثلة بالتسلط التركي، إذ جاءت العبارات الكلامية الصادرة من المرسل لتوجيه ومخاطَبة المرسل إليه، وإعلان هدفهم وهو السيطرة على الخلافة والمصالح الشخصية، فهذه التوجيهات الطلبية جاءت للتأثير في المتلقي وخلوها من الجانب الشعوري، ويصحب ذلك التوجيه أسلوب الأمر والنهي المُبنى على التهديد والوعيد والتحذير[2].

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 4/224،235.

(2) مدور، محمد، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر،2017م، ص177.

ومثال ذلك أيضًا ماتوضح لدى الباحث في كتاب عهد الموفق الذي كتبه ابن ثوابة[1]، فهذا الكتاب يعتمد على استعمال أسلوب الأمر(أمره) في إرسال توجهاته وأوامره إلى أحد الولاة، والتي تعتبر رسالة ذات شأن تنظيمي إداري في تحديد الصلاحيات والمهام، ويأمره بالعمل في تلك التوجيهات بأسلوب تحذيري شديد، إذ جاءت العبارات حادة وشديدة، يطغى عليها الوضوح والابتعاد عن الغموض والإبهام.

وكما يندرجُ ضمن هذا النمط أسلوب الخطاب الحماسي في المواضع ذات الشأن المهم والخطير، كالدفاع عن الدولة وردع الأعداء، والحث على الجهاد في الحروب، وهذا الأسلوب يتجلى لنا في الرسائل العسكرية فيما نجده في الكتاب الذي كتبه أحمد بن الخصيب كاتب ووزير المنتصر بالله لمحمد بن عبدالله بن طاهر سنة 248 عندما أرسل المنتصر وصيفاً القائد التركي لغزو الروم[2]، إذا قال:" **فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عملك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا، ومرهم بقراءته على من قبلهم من المسلمين، وترغيبهم في الجهاد وحثّهم عليه، واستنفارهم إليه، وتعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهله، ليعمل ذوو النيّات والحسبة والرغبة في الجهاد على حسب ذلك في النهوض إلى عدوّهم، والُخفُوفِ إلى معاونة إخوانهم، ...، بموافاة عسكر وصيف مولى أمير المؤمنين، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته**".

يتجلى في هذا الكتاب قيام الخليفة بتوجيه خطاب بنبرة فيها نوعٌ من الشدّة عن طريق إيراده مفردات وعبارات دالة على خطاب الأمر في (أعلم ذلك، اكتب، مرهم، حثّهم) إلى والي بغداد لنصرة وصيف في معركته ضد الروم وحثه على توجيه إعلامه الحربي، وبإعمام ما جاء في كتابه وأوامره على حثّ ناس على الجهاد، وتفضله المجاهدين عن القاعدين، وأن يساندوا جيوشهم في قتال أهل الكفر.

2-الخطاب ذو النبرة الليّنة:

عند مطالعتنا لرسائل هذا العصر نجد أن هذا الأسلوب يطرد في الرسائل الواردة على ديوان الخلافة، أو التي يطلعُ عليها الخليفة بشكل مباشر، وقد تختلف مضامينها

---

(1) صفوت،أحمد، جمهرة رسائل العرب، 291/4.

(2) الطبري، تاريخ الطبري، الرسل والملوك،243/9. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 230-229/4.

بناءً على ما يقدمه صاحبها، كأن تكون في قضاء الحوائج والعفو، وباقي القضايا الاجتماعية من تعزية وتهنئة، إذ ترد بصيغة الرجاء والتوسل مستخدمًا اللباقة والحيلة، محاولًا فيها كسب رضى المرسل إليه واستمالة عواطفه، بغية قضاء حاجته، ولبيان ذلك ما يتضح للدراسة في رسائل المجاملات في كتاب سعيد بن حميد الكاتب إلى بعض أهل السلطان في يوم نيروز، يقول فيه[1]:"**أيّها السيد الشريف، عشت أطول الأعمار، بزيادة من العمر موصولة بفرائضها من الشكر، لا ينقضي حقّ نعمة حتى يجدّد لك أخرى، ولا يمرّ بك يوم إلا كان مقصّرا عما بعده، موفيا عما قبله،...الخ**". نلمس في هذا النص أنَّ الكاتب يستعمل اللغة الواضحة المفهومة، التي فيها ليونة وذات ألفاظ رقيقة، نراهُ مادحًا في مطلعِ كتابهِ، وداعيًا له في متنِ كتابه، مبتعدًا في خطابه عن استعمال أفعال الأمر وأدوات النهي معتمدًا أسلوب الدعاء محاولًا الإقناع في التصديق.

ويبدو أنَّ بعض الخلفاء يلجأ عادة إلى إصدار كتب تحمل ألفاظًا بسيطة وذات خطاب ليّن، وهذا ماتوصلت إليه الدراسة في الرسائل التي مثلت العلاقات السياسية الداخلية، التي يكون فيها الخطاب موجّه للرعية، مثل كتاب المهتدى بالله المرسل إلى الموالي عندما خرجوا عليه سنة (256هـ)، يقول فيه[2]:"**بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله وصلّى على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، أرشدنا الله وإياكم، وكان لنا ولكم وليّا وحافظا، فهمت كتابكم، وسرّني ما ذكرتم من طاعتكم، وما أنتم عليه، فأحسن الله جزاءكم، وتولّى حياطتكم، فأمّا ما ذكرتم من خلّتكم وحاجتكم فعزيز علىّ ذلك فيكم،...، فأنا أنظر في ذلك وأصير منه إلى محبتكم إن شاء الله والسلام عليكم، أرشدنا الله وإياكم، وكان لنا ولكم حافظا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما كثيرا**". نلحظ أنَّ الخليفة المهتدى بالله جنح إلى اللغة الرقيقة المهذبة اللينة في خطاب الجند، لأن الحدث لم يكن يستدعي التحدث بالشدّة والحدّيّة، كونها مؤامرة دُبرت بليل من القادة الترك، بغية خلعهِ.

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 264/4.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 443/9. صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، 272/4.

وإزاء ما سبق، يبدو أنَّ أسلوب المستوى الخطابيّ يسير في اتجاهات مختلفة، الأول نحو التصعيد في اللغة واستعمال النبرة العالية الشديدة، بينما الاتجاه الثاني يميل إلى استعمال النبرة اللينة والرقيقة ، وأحيانًا يعمّد إلى الأخذ من هذا وذاك، وللاطلاع على ذلك يُنظر في كتاب بيعة المنتصر بالله[1]، إذ يستعمل الكاتب الذي ينوب عن المرسل، اللين في مطلع الكتاب، ثم يتحول إلى التصعيد في النبرة نحو الشدّة.

التكـرار:

يعدُّ التكرار ظاهرة أسلوبية مهمة في صنع الأسلوب الأدبي، وهو بمثابة تأكيد للكلام والدلالة عليه، إذ لم تخلُ الرسائل الديوانية لهذا العصر من هذا الأسلوب، ويشير إليه ابن الأثير قائلًا[2]:" هو دلالة اللفظ على المعنى مردّداً"، ويساعد التكرار في تأكيد المعنى وتكثيرِه، فتكرار الحرف أو الحرفين أو الكلمة أو الكلمتين أو الجملة، تستوجب زيادة معنوية تفضي إلى التأكيد والتهويل والمبالغة[3]، وكما نلحظ من خلال عناية الكتّاب بالألفاظ والأساليب، نجد كثيرًا منهم قد عمَدَ إلى استعمال أسلوب التكرار معتمدين فيه على تكرار حرف أو كلمة أو عبارة[4].

إذ كان الغرض من قصدهم التكرار هو من أجل اكتساب كتاباتهم الوضوح في الفكرة والتأكيد على غرضهم الرئيس، ممّا يعطي جمالًا فنيًّا، وفي ضوء ما تقدّمَ نلحظ أنَّ كتّاب الرسائل في العصر العباسي الثاني، اتخذوا هذا الأسلوب في رسائلهم، بغية التأثير في المتلقي والتركيز على الموضوع الذي تتضمنه الرسالة، إذ جاء التكرار متنوعّا فمنهم من يكرر (حرف)، ومثال ذلك ما توصلت إليه الدراسة في كتاب المهتدى بالله تجاه الموالي[5]، يقول فيه:" **بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله وصلّى**

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 224/4.

(2) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 3/3.

(3) المصري، أبو الإصبع، كتاب التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص375. الشهراني، عبدالرحمن، التكرار مظاهره وأسراره، رسالة ماجستير، جاممعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1983م، ص30.

(4) الحسن، غانم، الرسائل الأدبية النثرية، ص437.

(5) صفوت،أحمد، جمهرة رسائل العرب، 272/4-274.

على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، أرشدنا الله وإياكم، وكان لنا ولكم وليّا وحافظا، فهمت كتابكم، وسرني ما ذكرتم من طاعتكم، وما أنتم عليه، فأحسن الله جزاءكم، وتولّى حياطتكم، فأمّا ما ذكرتم من خلّتكم وحاجتكم فعزيز علىّ ذلك فيكم،...الخ".

أراد الكاتب في النص أعلاه أن يبعث روح الطمأنينة، وأنَّهُ متابعٌ لأمورهم، وهو يدعو لهم، ومنفذ لهم ما طلبوا، نلحظ أنَّ الإجابة كانت بأسلوب رقيق ولين، وهو يجعل نفسه منهم وعليهم ما عليه وله ما لهم، وكما يتجلى لنا أسلوب التكرار عن طريق تكرير صوت (الميم) وصوت (الكاف) بشكل مطّرد في نصوص إجابة المهتدي بالله لكتاب الموالي، وتتضح هيمنتهم على بقية الأصوات، وهذا الأصوات قد تناسب الخطاب في النّص، كونه يدلّ على المرونة والرقة والتماسك بما يتوافق مع إيحاء الصوت[1]، ممّا أعطى موسيقى مؤثرة في المتلقي.

وللتوضيح أكثر سنعرض جدولًا مؤشرًا فيه نوع الحرف وعدد المرات التي تكرر فيها، وموضعه، كما في الجدول الأتي (جدول رقم 1):

جدول (1)

نوع الحرف وعدد المرات التي تكرر فيها، وموضعه

ت	الحروف	عدد المرات التي ورد فيها	المواضع
1	الميم	أربعة وثلاثون	إياكم (تكررت مرتين)، ولكم (تكررت مرتين)، كتابكم، ذكرتم (تكررت ثلاث مرات)، طاعتكم، جزاءكم، حياتكم، خلتكم، حاجتكم، فيكم، صلاحكم، حاطكم، أمركم، أنتم (تكررت مرتين)، إليكم، عنكم، ماذكرتم، بلغكم، قرأتم، بذلتم، أنفسكم، فجزاكم، عهودكم، امانتكم،

(1) عباس، حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 1988م، ص75.

			بلغكم، عملكم، محبتكم، عليكم.
2	الكاف	تسعة وعشرون	المواضع السابقة ماعدا (أنتم، قرأتم، بذلتم).

وبعد هذه الإيضاح في ابرز الحروف وأكثرها تكررًا يتجلى البعد الصوتي الناجم عن منظومة تكرارية تشكلت بسبب التركيز على إيصال الدلالة التي أراد المرسل إيصالها، وهذا التكرار مثل النوع الأول من أسلوب التكرار.

ونورد مثالًا آخر ما نجده في رسائل المجاملات في كتاب سعيد بن حميد في تهنئة بعض إخوانه بالعزل من المنصب[1]، **يقول فيه:" جعلني الله من السوء والمكروه فداءك، وأطال في الخير والسرور بقاءك، وأتمّ نعمه عليك، ...الخ**". إذ نلحظ في هذا النص السابق تكرار صوت الكاف، كما موضح في الجدول الآتي (جدول رقم 2):

جدول (2)

تكرار صوت الكاف

ت	الحروف	عدد المرات التي ورد فيها	المواضع
1	الكاف	أحد عشر	فداءك، بقاءك، عليك، يدك، بلغك، أمنيتك، أمامك، لك(ثلاث مرات)، عليك (تكررت مرتين)، استحقاقك، عزلك، عاقبتك.

إنَّ تكرار هذا صوت يدل على قوة التفاعل ويُضفي قوة للمخاطَب[2]، فالمرسل أراد مشاركة مشاعره مع مشاعر المرسل إليه. وهذه التكرارات في النصوص السابقة تودي إلى شيوع الجرس الموسيقي، إذ أراد الكاتب عن طريقها التأثير في نفس المرسل إليه، وكما يتضحُ لنا تفاعل هذه الأصوات مع الحالة النفسية والشعورية للكاتب، مؤديًا التكرار عمله في إثبات المعنى و تؤكيدهِ.

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 250/4.

(2) عباس، حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص71.

أما استعمال الكتّاب لأسلوب تكرار(لفظة)، مثال ذلك ما نجدهُ في كتاب أبي العابس بن ثوابة إلى عبيدالله بن سليمان بن وهب الوزير والكاتب[1]: "**ولم أزل أترقّب أن يخطرني ببابه، ترقّب الصائم لفطره، وأنتظره انتظار السّاري لفجره، إلى أن برح الخفاء، وكشف الغطاء، وشمت الأعداء**". إذ كرر الكاتب(أترقب، أنتظره)، الكاتب أراد من التكرار تأكيد كلامه، والتأثير في نفس المرسل إليه، مسلطًا الضوء على نقطة حساسة، هو عتاب المرسل للمرسل إليه، فقد عَبر عن حالته الشعورية الداخلية، وما يختلجُ في خاطرهِ من مشاعر حزن، وألم لما لاقاهُ من شماتة الأعداء به.

وأيضًا نجد تكرار اللفظة في كتاب صاحب الديار المصرية محمد الإخشيدي إلى الملك آرمانوس[2]، كما موضح في الجدول الآتي (جدول رقم 3):

جدول (3)

تكرار اللفظة في كتاب صاحب الديار المصرية محمد الإخشيدي إلى الملك آرمانوس

ت	لفظة	عدد المرات التي ورد فيها	المواضع
1	المُلك	سبعُ مرات	ملكُ مصر، أما المُلك الذي، المُلك كله لله، يُؤتي المُلك من يشاءُ، وينزعُ المُلكَ، مُلك الملوك، أحق مُلكٍ.

وإنّ التكرار لفظة (المُلك) جاء متناغماً مع موضوع الرسالة، إذ أراد الكاتب أن يؤكد على أنَّ المُلك لله وحده، وجاء أيضًا لتنبيه المرسل إليه على ذلك، بعد أن أعترض الملك آرمانوس بأنَّهُ لا يكاتب منهم دون الخليفة. فالتكرار في الجمّل السابقة جاء ليبعث جوًا انفعاليًا خاصًا ومقصودًا من قبل المرسل، عن طريق إعادة الكلمات التي حملت دلالة على ما يعتريهِ من مشاعر تجاه المرسل إليه، لأن تكرار اللفظة في النص له أثرهُ في المتلقي[3]، ليستفز القارئ ليعرف ما وراء هذا اللفظ المكرر من غاية

(1) صفوت،أحمد، جمهرة رسائل العرب، 288/4.

(2) صفوت،أحمد، جمهرة رسائل العرب، 363/4.

(3) علاوي، محمود، محمد، سجى، التكرار في رسائل العصر الأموي، جامعة بغداد، مجلة الآداب العدد:(132)، 2020م، ص86.

يريدها المرسل، ويقع هذا التكرار في باب تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على معنى واحد والمراد به غرضٌ واحد[1].

–ومن أساليب التكرار التي يلجأ إليها الكتّاب عند إنشاء رسائلهم، هو أسلوب تكرار أساليب تعبيرية أو تراكيب لغوية عن طريق تكرار جملة[2]، لبيان نورد مثالًا لكتاب المهتدي بالله إلى الموالي[3]، عمدَ الكاتب في تكرار الجملة لتكون أوفى بالغرض، فالكاتب في هذا النص كرر الجملة (ما ذكرتم) أربع مرات، وهذا التكرار يعطي تناسبًا صوتيًا جميلًا، فضلًا عن التناسب الدلالي، وهو يؤكد على تنفيذ مطلبهم الذي عبّر عنه عن طريق إيرادهُ اسم موصول(ما)، التي تأتي بمعنى (الذي)، لدلالة على غير العاقل وما بعدها جملة صلة الاسم الموصول، وهو تكرار أسهم في خلق توازن نغمي وعاطفي في ثنايا تراكيب النص الأدبي.

وما يعمدَ إليه الكتّاب في تكرار أساليب تعبيرية يتضحُ لنا في رسائل العلاقات السياسية الخارجية في الكتاب الذي كتبه إبراهيم بن عبدالله النّجيرمي نيابةً عن محمد بن طغج إلى ملك الروم[4]، فمن العبارات التي كررها الكاتب (الحمد لله ربِّ العالمين)، فهذه العبارة تضفي التوازن الذي ينبغي على الكاتب أن يحافظ عليه، فالكاتب يذكرها عندما يريدُ أن يبدأ حديثًا جديدًا، أو طرح فكرة جديدة، سواءً في ذات الموضوع أو في موضوع جديد، وهي علامة تدلّ على مصدر ثقافتهِ الدينيّة الثريّة.

اتخذ الكتّاب من أسلوب التكرار عنصرًا مهمًا في المحافظة على التناغم الموسيقي وفي تأكيد المعنى، وقد أضافت هذه التكرارات إيقاعًا منظمًا منسجمًا يزيد من قبول الألفاظ والعبارات في نفس المرسل إليه، ويُظهر براعته، ومعرفته بأدوات الكتابة وأصولها.

---

(1) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 9/3.

(2) الحسن، غانم،الرسائل الأدبية النثرية، ص439.

(3) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 272/4.

(4) صفوت،أحمد، جمهرة رسائل العرب، 357/4.

4.2 الصورة

تأخذ الصورة مكانة مهمة في تنظيم أي عمل أدبي سواءً أكان شعرًا أم نثرًا، إذ من طريقها يبرز الكاتب، أو الشاعر تمكنه في عملية بناء النّص، وفي إيصال المعنى بصورة مؤثرة في نفس المتلقي، ويشير الجاحظ إليها، قائلًا[1]:" إنما الشعر صياغةٌ، وضربٌ من التصوير"، فالعناية بالأوزان وتجويد الألفاظ وجودة السَّبك، تفضي إلى استحسان الصورة، ويُعرّفها عبدالقاهر الجرجاني[2]:"إنّما هي تمثيل وقياس لما تعلمه بعقولنا على الذي نراهُ بأبصارنا، فتَبيُّنُ خاتمٍ من خاتمٍ وسوارٍ من سوار" يكون عن طريق الصورة، ويرى شوقي ضيف:"أنَّ الصورة هي نموذج العمل الأدبي الفني المتكامل الذي يتفاعل مع المضمون والشكل، فيكمل أحدهما الآخر"[3]، ويُعرّفها جابر عصفور، قائلًا:"الصورة تركز على العلاقة بين العبارة المكتوبة في الصفحة والإحساس الذي تولده في الذهن"[4].

والدارس للرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني، تتجلى له الطبيعة الرسمية التي تكتسبها تلك الرسائل، لما تناولتهُ من مكاتبات تتضمن موضوعات تخصّ أمور الدولة والخلافة في الشّأن الداخلي والخارجي، وفي مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، وعلى مايبدو أنَّ هذه القضايا التي تعالجها تلك الرسائل، تدفع الكاتب إلى البحث عن أساليب تساعدهُ في إيصال فكرتهُ بطريقة مقنعة واضحة الأطراف، إذ يعمّدَ إلى استخدام أسلوب التصوير، وما يحمله من تصورات ذهنية نابعة من آفاق خياله الذي يمثل أحدى الركائز المهمة في بناء الصورة، ويقول الغنيمي:"إنَّ

---

(1) الجاحظ، أبو عثمان، كتاب الحيوان، تح: عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، ج3 1965م، ص132.

(2) الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ص488،508.

(3) ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، ط9، دار المعارف، القاهرة، 163-164. صبح، علي، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، ط1، دار أحياء الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص135،138.

(4) عصفور، جابر، الخيال، الأسلوب، الحداثة، ط2، طبع بمطابع مصر للطيران، المركز القومي للترجمة، 2009م، ص161.

الصورة كلية كانت أو جزئية، مصدرها الخيال، وهو وحدهُ مجال الجمال"[1]، فالخيال هو رافد الصورة المهم، والمنبع الخصب في تكوين وسائل الصورة، فعن طريق الخيال يختار الأديب الألفاظ التي تناسب المعاني، والإيقاع الصوتي المنسجم مع مشاعره وعواطفهِ[2]، ويعبر ضيف عن الخيال الجيد الذي ليس فيه شطحات، ولايأتي به بالأوهام والمحالات، بل الذي يجمع الحقائق الوجدانية، ويربط بين أشتاتها ربطًا محكمًا لاينكره الحس ولاالعقل[3]، إذ لابد للأديب خيال واسع يبتكر عن طريقه الصور ابتكارًا[4] ، فالصورة تتنوع تبعًا لتنوع الخيال الذي يستحضره الكاتب.

وإزاء ذلك يبدو أن الصورة وسيلة الكاتب للتعبير، ولها وظيفية معينة للتأثير في المعنى، وبالتالي تأثيرها في المتلقي، وتعدُّ مكون مهم في عملية بناء الرسائل التي تقوم على الألفاظ والمعاني، واللغة والأساليب والخيال، إذ تفرض الصورة على المتلقي نوعًا من التأثير والانتباه واليقظة، وتهدف إلى إقناع المتلقي بفكرة من الأفكار أو معنى من المعاني[5].

ويتضحُ ممّا سبق أنَّ الكاتب يقصد استعمال الصورة؛ ليعبر عن ذوقهِ وأحساسيهِ، ومظهرًا براعتهِ الجمالية، ومقدرتهِ الفنّيّة عن طريق إيراد الصور المتخيلة في المعنى الذهني الذي يعكس مشاعرهِ والحالة النفسية التي تعتريهِ[6]، فتصدر الرسائل الديوانية بشكل قطعة فنّيّة تعبر عن ثقافة المبدع والمصادر الثقافية التي استدعاء منها، التي لها دورٌ كبيرٌ في إنتاج الصورة، وأنَّ هدفها إقناع المتلقي–المرسل إليه– وإسناد فكرته أو موضوعه.

---

(1) هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر،1997م، ص416.

(2) صبح، علي، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، ط1،دار أحياء الكتب العلمية، بيروت، ص131.

(3) ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، ط9، دار المعارف، القاهرة، ص175.

(4) ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، ط9، دار المعارف، القاهرة، ص173.

(5)عصفور، جابر، الصورة الفنية، ط3، الناشر:المركز الثقافي العربي، 1992م، ص327،323.

(6) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، 2013م، ص36.

وبما أنَّ الجاحظ يعدُّ أول من أشار إلى توضيح مفهوم الصورة، وتعبهُ في ذلك قدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري، وابن الأثير فهؤلاء استعملوا الصورة للدلالة على المعنى، وعدّوها الشكل الذي يحتضنُ المعنى[1]، فقد ارتكزوا على الأساليب البيانية في إظهار الصورة، إذ عمدَ الكتّاب إلى استعمال الوسائل البيانية التي تمنح الخيال متسعًا، وانطلاقًا، في رسم الصورة، وما توحيه من أفكار متنوعة في ذهن الكاتب[2]، أي يُنظم الألفاظ والعبارات بشكل فنيً، وفق سياق بياني خاص معتمدًا على الوسائل البيانية المختلفة، والمُتمثلة في التشبيه والاستعارة والكناية .

1-التشبيه:

هو أحد الأدوات البلاغية المهمة التي شاع تداولها في مختلف الآداب، ويُعرفهُ ابن الأثير، قائلًا:"هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد في نفسهِ كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس، وهو ركن من أركان البلاغة لإخراج الخفي إلى الجلي ودنو البعيد من القريب[3]، ولابد أن تكون الألفاظ متقاربة وجزلة ورقيقة، وتكون المعاني مناسبة للألفاظ، من غير أن يكسو اللفظ الشريف المعنى السخيف، وتكون المعاني متناسبة ومتآخية فيها تلاءم[4]. وأركان التشبيه أربعة: هي طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به)، وأداة التشبيه ووجه الشبه[5]. ولتشبيه فائدة : "فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به، وذلك أوكدُ في طرفي الترغيب فيه..."[6]. إذ يعدُّ التشبيه من الوسائل البيانية التي استعان بها الكتّاب كثيرًا في تشكيل صورهم، وإبراز قيمتها البلاغية والفنية.

---

(1) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، ص245.ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 130/2، 135،136. عصفور، جابر، الصورة الفنية،ص9.

(2) الحسن، غانم، الرسائل الأدبية النثرية، ص467، 468.

(3) الحلبي، شهاب، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ص19.القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص164.

(4) مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص322.

(5) الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، ص219.

(6) ابن الأثير، ضياء الدين،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،123/2.

ومثال ذلك ما نجدهُ في كتاب رد الأتراك على كتاب ابن طاهر[1]، قائلين فيه: "**إنّ شخص الباطل تصوّر لك في صورة الحق، فتخيّل لك الغيَّ رشدا، كسراب بقيعة**[2] **يحسبه الظّمآنُ ماءً حتّى إذا جاءه لم يجده شيئا**"، إذ جاء في هذا الكتاب تشبيه المعنى بالصورة، وهو تشبيه معنوي بالحسي، ويعدُّ هذا التشبيه من أجود أنواع التشبيه[3]، إذ يرى الباحث أنَّ الكاتب كوّنَ صورتهُ معتمدًا على رافدين، الأول إنّه اعتمد على استحضار الموروث الديني عن طريق إيراد الآية الكريمة[4]:(**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**))، وضمنها بصورة مباشرة في النّص الجديد، فجاء رد الأتراك على محمد بن طاهر بعد أنّ هددهم بحربٍ من الله ورسوله، فكان ردهم بأنك متوهم في كلامك، وفي وعيدك، وأنَّ الحق الذي تدعيه ما هو إلا صورة عن الباطل، والرافد الثاني أوردَّ الكاتب تشبيه تمثيلي واصفًا فيه حال محمد بن طاهر كحال الظَّمآن الذي يرى السراب فيحسبه ماءً، فيسير إليه معتقدًا نجاته فيه وأنّهُ موقع الماء، بينما هو كذلك إذ يصل إليه فيكتشف زيف هذا السراب، وإذا به عدوًا متربصًا به، فالتشبيه أزادَ المعنى وضوحًا وأكسبهُ تأكيدًا وفضلًا وكساها شرفًا ونبلًا[5]، إذ يبدو أنَّ التشبيه وسيلة مهمة من وسائل الخيال، وركن أساسي في تثبيت الصورة في نفس المتلقي.

2-الاستعارة:

أدرك الأدباء، والكتّاب، والبلغاء أهمية التعبير بأسلوب الاستعارة، وعدّوها وسيلة مهمة من وسائل إنتاج الصورة، والكتّاب في العصر العباسي الثاني عكفوا على

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 268/4.

(2) السراب. ما تراه نصف النهار، كأنه ماء، والقيعة: جمع قاع: وهو أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال. صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 268/4.

(3) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، ص240.ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 128/2.

(4) سورة النور، الآية: (39).

(5) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، ص243.

استعمال هذه الوسيلة في ترسلهم، ومكاتباتهم الأدبية[1]، إذ أخذوا يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة. ويُعرّفها صاحب الصناعتين: "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره، وذلك لغرض شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ[2]، ويشير إليها الحلبي، قائلًا:"هو جعل الشيء الشيء أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه، فقولك لقيتُ أسدًا تعني الرجل الشجاع، أصبحت بيد الشمال ذمامها، أي أثبت اليد لشمال مبالغة في التشبيه بالقادر في التصرف، ويشير لها أيضًا بأنّها"استعارة الكلمة من شيء قد عُرّف بها إلى شيء لم يُعرّف بها"[3]. ويُعرفها ابن الأثير: "أنّهُ نقلُ المعنى من لفظ إلى لفظ بسببِ مشاركة بينهما"[4]. وللاستعارة أركان ثلاثة[5]:المستعار، المستعار منه، المستعار له، كما في قولهِ تعالى[6]:**((وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا))**، فالمستعار في الآية هو الاشتعال، والمستعار منه هو النار، والمستعار له هو الشيب[7]، والجامع بين المستعار المستعار منه، والمستعار له مشابهة لهبة النار بسرعة فوّران الشيب بلحظة واحدة، واستعارة بضياء النار على ضياء الشيب[8].

ومن صور توظيف الاستعارة ما يتضحُ للدراسة في كتاب المنتصر بالله إلى محمد بن طاهر عندما غزى وصيف بلاد الروم[9]، القارئ لهذا النص يجدُ أنَّ الكاتب اعتمد

---

(1) الحسن، غانم، الرسائل الأدبية النثرية، ص473.

(2) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، ص268. الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، ص258.

(3) الحلبي، شهاب الدين، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ص28،29.

(4) ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،83/2.

(5) المصري،أبو الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تحقيق: حنفي محمد،(د.ت)،ص97.الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص258. مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص618.

(6) سورة مريم، الآية: (4).

(7) المصري، أبو الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص98.

(8) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، ص272.

(9) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 227/4.

في توظيف صورته على الاستعارة في الآية القرآنية، كما في قوله تعالى[1]:((**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا**))، إذ استعار باللفظ (خفافًا وثقالًا)؛ للتعبير عن مقصدهِ، فوظَّف تلك الألفاظ القرآنية؛ لإيصال فكرة موضوعهِ عندما أمر محمد بن طاهر في الحثِ على الجهاد شبابًا وكهولا والغني والفقير.

ومثال ذلك أيضًا ما يتضحُ للدراسة في كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عمّال النواحي[2]: "**زيغ الهوى صدف بكم عن حزم الرأي، وكلحت الحرب عن أنيابها أشداقها، وألقت للتجرّد عنها قناعها، واختلفت أعناق الخيل، وزحف أهل النجدة إلى أهل البغي**".

نلحظُ في هذا الكتاب تجلّي الصور الفنية القائمة على الأساليب البلاغية، فقد استهل الكاتب قوله: "**زيغ الهوى صدف بكم عن حزم الرأي**"، ففي العبارة السابقة ألفاظ استعارها الكاتب لدلالة على انحراف القوم، وميلهم عن الحق رغم عملهم به، وإتباعهم شهواتهم، ممّا أبعدهم عن صواب الرأي، وعدم رجوعهم إلى الحق، فقد شبَّه تصرفهم بالباطل الذي يمنع الحق، وفي قوله:" **وكلحت الحرب عن أنيابها أشداقها، وألقت للتجرّد عنها قناعها، واختلفت أعناق الخيل**". إذ استعمل الكاتب صورا فنية قائمة على التشبيه عن طريق وصفه للمعركة والتي يشبهها بالوحش ذو الأنياب، كما يعطي الكاتب صورة فنية أخرى قائمة على الكناية في قوله:" **واختلف أعناق الخيل** "، للدلالة على اشتداد المعركة، كما نجد توظيف الكاتب صورته الفنّيّة معتمدًا على أسلوب الاستعارة بين أهل الحق والباطل في قوله: " **وزحف أهل النجدة إلى أهل البغي**"، إذ قدّم الكاتب صورة عن أهل الحق وأهل الباطل، فاستعار بأهل النجدة لدلالة على أنّهم هم أهل الحق، وشبه أهل البغي بأنّهم أصحاب الباطل والضلالة، ونلحظ أنَّ توظيف أسلوب الاستعارة أبلغ من الحقيقة؛ لأنّها تكشف عن وجه المنفعة، وتظهر موقع النعمة في الأبصار[3].

---

(1) سورة التوبة، الآية:(41).

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 267/4.

(3) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، ص271-272.

3-الكناية:

تمثلُ الكناية مظهرًا من مظاهر البلاغة، وأحد أهم فنونها، إذ يدلّ على براعة الكاتب، وموهبتهُ الفنية في توظيف المعنى واللغة، ويُعرف الحلبي الكناية: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه، فيومي به إليه ويجعلهُ دليلًا عليه"[1]، مثال ذلك قولهم(نؤوم الضُّحى)، والمراد أنّها المرأة المترفة التي لها من يكفيها أمرها. ويشير إلى ذلك المصري، إذ يقول: "هي أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن الفاحش بالظاهر"[2].

وفي ضوء ما سبق، يبدو أنَّ الكناية تقفُ مع التشبيه والاستعارة في المساهمة في إنتاج الصورة، وهذه الوسائل البيانية تساعد الكتّاب في تشكيل صورهم، والاستلهام من روافدها عند إنشاء رسائلهم، والتي تكون نتاجًا لبراعتهم، وثقافتهم، وقدرتهم في إيصال المعنى بأجمل صورة وأحسن تعبير.

ومن صور توظيف الكناية ما يتضحُ للدراسة في كتاب المنتصر بالله إلى محمد بن طاهر عندما غزى وصيف بلاد الروم[3]، إذ وظَّف عبارة " **فكاك رقابهم**"[4] ، كناية عن العتق من النار، وعبر بذلك عن صورة فنية قوامها الكناية عن تحريم أنفس الشهداء من النار، كما لجأ الكاتب إلى أسلوب الكناية بوصفهِ وسيلة مهمة في الإيضاح، وإثبات المعنى، وجعلهُ أبلغ قوةً وتأكيدًا وتشديدًا[5].

ثُمَّ نورد مثالًا آخرا على استعمال الكتّاب تلك الأدوات البلاغية، ما يتضح لدى الباحث في كتاب المعتضد[6]، في هذا الكتاب يبهر عبيد الله بن سلمان بن وهب

---

(1) الحلبي، شهاب الدين، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ص287-288.الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الأعجاز، ط5، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004م، ص66.

(2) المصري، أبو الأصيع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص143.

(3) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 227/4.

(4) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 228/4.

(5) الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الأعجاز، ص71.

(6) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 326/4.

الكاتب المتلقي لتوظيفه العديد من الصور الفنية القائمة على التنوع البلاغي، فقد عمدَ إلى توظيف الكناية في قوله "**مثقال ذرة**" كناية عن قلائل الأمور وأصغرها، الواردة في جزء التحميد الواقع في مطلع الكتاب، كما وتتجلى الكناية في قوله: "**وظاهر عليهم الحجة**"، فالحجة كناية عن الحق، و"**الكتاب المبين**" كناية عن القران الكريم،"**استجاب له العمى**" كناية عن من أدبر، وابتعد عن الهدى ودين الحق وسار نحو الضلال، والابتعاد عن هداية الله. كما استعمل الكناية في قوله: "**ونهج لهم سبل النجاة، وحذّرهم مسالك الهلكة** "، فقد عَبَّرَ الكاتب بالكناية القريبة التي لا تحتاج إلى واسطة بين المعنى المنتقل عنه إلى المعنى المنتقل إليه(1)، عن طريق إيراد لفظ (النجاة) لدلالة على الخير والصلاح، ولفظ (الهلكة) لدلالة على الباطل الذي يقود صاحبه إلى العذاب. وعلى مايبدو أنَّ الكنايات السابقة أضفت جمالًا ورونقًا على النص، وهدفت لتأكيد المعنى وإثابته، والتأثير في المتلقي(2).

من خلال العرض السابق للصور الفنّيّة التي تجلت في الرسائل الديوانية، المعتمدة على الوسائل البلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية، منحت الصورة الفنية تعبيرا جميلًا، وأظهرت قدرة الكاتب على الكتابة وتطويع اللغة ومنح المتلقي صورة تعبيرية جميلة وجليّة، إذ شكلت تلك الوسائل صور بيانية مكنت الكتّاب من أن يعبروا عن المعنى الواحد بطرائق مختلفة، أضفت على الكلام جمالًا وتشويقًا وإبانةً ووضوحًا(3).

وعلى مايبدو أن توظيف الصورة بأنواعها وأساليبها في الرسائل الديوانية لهذا العصر، جاء بشكل منظما ومواكبًا لصيغ الكتابات المنتشرة فيه، و لم يظهر عليها التصنع والتكلّف، ولم يبالغوا في التوظيف، وأرادوا من ذلك زيادة التأثير في نفس المتلقي، وابتعدوا عن الغموض والإبهام، والتعميّة في الألفاظ والعبارات، التي عكست مقدرة الكاتب وبراعتهِ في التصوير، والطابع الرسائل الديوانية الرسمي يفرض على

---

(1) الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، ص288.

(2) الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الأعجاز، ص71.

(3) يُنظر: مؤنس، العاني، ترسل أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف الكاتب، رسالة ماجستير، جامعة أهل البيت، الأردن، 2015م، ص121.

الكاتب الإفصاح والوضوح؛ بغية عدم التأويل عند التفسير، ممّا أسبغ عليها جلالاً وبهاءً.

ثُمَّ إنَّ الفكرة والأسلوب واللغة والأحاسيس هي التي تعطي جمال وقوة للصورة في الفكرة وإبراز العاطفة[1]، فالصورة لها مرجعيات وروافد أسهمت في بنائها، ويقول جابر عصفور"أنَّ الصورة طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثهُ في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير"[2]، وبناءً على ماذكر أنَّ الصورة تؤثر وتتأثر، فلذلك أرتأيتُ في اعتماد الموروث أساسًا في تكوين الصورة لما يحدثهُ الموروث وخاصةً الموروث الديني من أثر في المتلقي وفي فهم الصورة بشكل أسرع وانشط.

ممّا جعل الكتّاب يعمدون إلى استعمال روافد عدّة يستقون منها صورهم، وأهمّ تلك الروافد مانجدهُ في استحضارهم الموروث الديني من توظيف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في رسائلهم، كأن يوردُها بشكل مباشر، أو يجعلونها ضمن كلامهم، إذ تتأتى لتناسب الألفاظ، والمعاني الذهنية من جهة، ومع المضامين التي أفرزت تلك الرسائل الديوانية من جهة أخرى.

توظيف الموروث الديني في الرسائل الديوانية:

يعدُّ توظيف الموروث المهاد الحقيقي، الذي أمد الكتّاب والأدباء بصور عديدة استحضروها من القرآن الكريم، الذي سحر العرب بقيمتهِ التصويرية قبل أن يسحرهم بقداستهِ الدينية[3]، أو الحديث النبوي الشريف، وتوظيف الموروث الذي هو التراث المتراكم خلال الأزمنة السابقة من تراث ديني، وتأريخي، وأدبي، وعادات وتقاليد، وعلوم، وفنون[4]، في الدراسات الأدبية يعدُّ ظاهرة مهمة سائدة في الأدب العربي قديمًا

---

(1) الصغير، محمد، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م، ص32.

(2) عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ص392. الصغير، محمد، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص34.

(3) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، 2013م، ص17.

(4) الفريحات، عمر، توظيف الموروث في المقامات اللزومية للسرقسطي، رسالة ماجستير، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 2019م، ص20.

وحديثًا، لما له من أهمية وتأثير كبير في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية والتأريخية[1].

وتوظيف الموروث بشكل عام والديني بشكل خاص، يعدُّ من أهم الروافد الفنية التي تساعد في بناء الصورة، التي عبر بها الكاتب ما يعتملُ في نفسهِ من مشاعر، وأفكار مستغلًا في ذلك مخزونهُ التراثي عن طريق استدعاء ما يناسب النص الجديد.

ولعل تقنية توظيف الموروث تماثل ظاهرة التناص في النقد الحديث الذي يعني:"تبادل النص أو تعالق النصوص بعضها البعض"[2]، وتعُرّفه جوليا كريستيفا:"هو ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطّعة من نصوص أخرى"[3]، ويرى رولان بارت أنَّ كل نص، هو عبارة عن تمازج مجموعة من الكتابات، إذ يقول:"النص نسيجٌ من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة"[4]، وعلى مايبدو أنَّ توظيف الموروث أو التناص هما وجهان لعملة واحدة، ودلالتهما واحدة مؤداها تداخل النصوص، وتعالقها وترابطها، لتُظهر لنا ضمن سياق واحد جديد.

وعند الوقوف على استعمال رافد الموروث الديني في بناء الصورة في الرسائل الديوانية، يعكس لنا عن ثقافة الكاتب ومدى تأثرهِ بالحياة الثقافية وبالتالي تأثيرها على المتلقي، ممّا يدفع القارئ لملاحظة وجود نصوص قرآنية أو أحاديث نبوية شريفة، وألفاظ ورموز دينية، وطقوس، ومناسك دينية[5]، والدافع وراء دراسة هذا الموروث الديني؛ كونه يمثل مصدرًا مهمًا من مصادر التراث، وكذلك يمثل أدلة قاطعة على ما

---

(1) سلايمة، عيسى، توظيف الموروث في شعر النابغة الذبياني، رسالة ماجستير، جامعة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2013م، ص7.

(2) زيتوني ، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، دار النهار للنشر،2002م، ص63.

(3) ناهم، أحمد، التناص في شعر الرواد، ط1، دار الشؤون الثقافية،2004م، ص14.

(4) كريستيفا، جوليا، علم النص، ترجمة: فريدة الزاهي، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1991م، ص21. علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985م، ص215.

(5) سلايمة، عيسى، توظيف الموروث في شعر النابغة الذبياني، ص11.

يستدعيه الكاتب من حقائق وأفكار في إسناد صورته، وهو خزينة غنية لما يحتويه من عبر، وقصص، وأحداث[1].

1-توظيف النص القرآني:

تجلت في الرسائل الديوانية مجموعة من النصوص الدينية تكون مستدعاة من القرآن الكريم، التي جاءت متناثرة في ثنايا تلك الرسائل، قد تكون بشكل مباشر أو غير مباشر، إذ استحضرها الكاتب؛ للمساعدة في رسم صورتهِ التي يعبر بها عن فكرتهِ وموضوع رسالتهِ، وليكون التوظيف الديني وسيلتهِ في التعبير عمّا يريد، وبرهانًا لما يأتي به من حقائق وأفكار، فضلًا عن تعلق ثقافة الكتّاب به تأثيرًا وفهمًا، ولما له مكانة في قلوب المرسل المبدع والمتلقي المرسل إليه، ولبيان ذلك سنورد الرسائل التي ظهر فيها التوظيف الديني القرآني، وفيما يلي عرض لبعض تلك النماذج:

مايتضحُ في الكتاب الذي كتبه سعيد بن حميد الكاتب بالنيابة عن والي بغداد محمد بن عبدالله بن طاهر في ذكر واقعة انتصاره على جيش المعتز بالله من الأتراك والمغاربة ضد عمه المستعين بالله بقيادة محمد بن طاهر، إذ صدَّ الأخير هجومهم ومنعهم من تنفيذ غايتهم وأوقع بهم، ودارت عليهم الدائرة، وأمر بتعميمهِ على الرعية[2]، إذ استدعى الكاتب الآية القرآنية التي جاءت متلائمة مع طبيعة الحدث، كما في قولهِ تعالى[3]:((**ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ**))، والواضح من مضمون الآية أنَّ الله حَكم بالخذلان على من بغى على الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم -، وعلى أصحابهِ عندما أخرجوهم من مكة، فوعدهم الله بالنصر من أعداء الله، ويبدو للباحث أنَّ الكاتب عبر عن صورتهِ عن طريق توظيف الآية السابقة، التي جاءت تمثيلًا لفعل المعتز بالله الذي سار من سامراء تجاه بغداد، بغية إقصاء عمَّهُ المستعين من الخلافة وخلعهِ وأخذ البيعة منه، إذ يرى نفسه هو الأحق بالخلافة، وابن طاهر أراد من ذلك تقديم الوعظ والإرشاد لهم قبل مقارعته لهم، لكنهم لم يأخذوا بالعِبرة والموعظة رغم علمهم طريق الحق.

---

(1) الفريحات، عمر، توظيف الموروث في المقامات اللزومية للسرقسطي، ص24.

(2) صفوت، احمد زكي،جمهرة رسائل العرب، 237/4.

(3) سورة الحج، الآية:(60).

ويتضحُ لدى الباحث في هذا الكتاب ميل الكاتب إلى استعمال الموروث عن طريق إيراد نصٍ قرآنيٍّ كما في قولهِ تعالى[1]:"((**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ**))، استحضر الكاتب هذه الآية وجعلها تتناسب مع الحدث الذي صورهُ، فأراد عن طريقها إظهار صراع أصحابهم بالفرقة الصالحة مع الفرقة الضآلة، الذين بدّلوا نعمت الله كفرًا، وساورا بقومهم إلى الهلاك، مصورًا نصرهم على تلك الفئة الباغية الناقضة لعهد الله ودينهِ، ومقصدهِ هو إنَّ عزم المعتز بالله على أخذ البيعة والخلافة جبرًا من عمهِ المستعين فعل باطل، وانَّهُ خارجٌ عن أهل الدين والإسلام.

يتضحُ في هذا الكتاب كيف وظف الكاتب مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة توظيفًا مباشرًا، بغية التأثير في المتلقي، وأتخذ من الآيات القرآنية مصدرًا لإنشاء صورته، وجعلها سبيلًا للوصول إلى غايته التي يقصدها، فأراد أن يُدّعم كلامهِ ويجعله مقنعًا، لكي يؤثر في قلوب تابعيه ويرفع من معنوياتهم، لكي يزدادوا بهذا النصر إصرارًا وثباتًا.

ونورد مثالا في هذا السياق مايظهر في الرسائل العسكرية في كتاب فتح وصيف الذي كتبه سعيد بن حميد الكاتب[2]، تمكن الكاتب في هذه الرسالة من الإفادة من الموروث الديني عن طريق استحضاره الآية القرآنية، كما في قولهِ تعالى[3]:((**هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ**))، جاء الكاتب بهذه الآية الكريمة؛ ليدّعمَّ حجتهِ، والاستعانة بها في تكوين صورته، إذ وظّفها توظيفًا مباشرًا، وظف ظاهر الآية، وجعلها مواكبة لمضمون الرسالة، فالآية تتكلم عن النصر ومضمون الرسالة كذلك أيضًا، فصور نصر وصيف على بلاد الروم نصرًا للإسلام والمسلمين، وإنَّ الله قدّم له ما وعدهُ وهو النصر.

مثال آخر لتوظيف الموروث الديني بصورة مباشرة عن طريق استدعاء عبارات من القرآن الكريم، وتوظفيها في النص النثري، وجعلها ضمن السياق، تُعبر عن مقصدها

---

(1) سورة إبراهيم، الآية:(28).

(2) صفوت، احمد زكي، جمهرة رسائل العرب، 257/4.

(3) سورة الأنفال، الآية:(62).

وتدل دلالة واضحة عمّا يريد الكاتب التعبير عنه، كما في رسائل المبايعات في مبايعة المنتصر بالله[1]، وكتاب بيعة والمعتز بالله[2]، فقد أوردَّ الآية الكريمة[3] **((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ))**، نلحظ في هذه الآية الكريمة الكاتب يستدعي اللفظ والمعنى، ويوظفهُ في نصهِ النثري بغية بناء صورته، إذ يقول:" **إنّما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما، عليكم بذلك وبما أكّدت هذه البيعة في أعناقكم، وأعطيتم بها من صفقة أيمانكم، وبما اشترط عليكم بها، من وفاء ونصر وموالاة واجتهاد ونصح، وعليكم عهد الله إن عهده كان مسئولا**"[4].

ويتضح لدى الباحث استعمال الموروث الديني لغرض الاستشهاد لما يريد التعبير عنه، ففي كتاب أحمد بن طولون لابنه العباس العاص عليه[5]، يستحضر آية قرآنية واصفًا حاله كحال القرية التي أبدّلت نعمتها بالجوعِ والخوف، كما في قوله تعالى[6]:**((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ))**، فأراد الكاتب في الكتاب الذي كتبه بالنيابة عن أحمد بن طولون، الدلالة على صدق مشاعر المرسل، فأنَّ الكاتب استحضر الموروث لإضفاء صفة الصدق والقدسية على النص، واكسبهُ الدقة في تحديد غايته، إذ قدّم لنا صورة جميلة بغية ردعهِ وعدولهِ عن فعلتهِ، ويبدو لدى القارئ أنَّ المرسل كان مجبرًا على استعمال القوة والقسوة تجاه ابنه، لأنَّ فعل الأخير هدد حكم الدولة الطولونية وزعزعة مكانة والده لدى الخليفة، لكن رغم ذلك نلحظ أنَّ هناك شفرة أراد إرسالها لابنه لردعهِ، عن طريق إيراده الموروث القرآني.

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 224/4.

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب ،235/4.

(3) سورة الفتح، الآية: (10).

(4) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 224،235/4.

(5) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 316/4 .

(6) سورة النحل، الآية: (112).

ونلمس التوظيف المباشر للموروث الديني القرآني في كتاب المنتصر بالله إلى محمد بن عبدالله بن طاهر[1]، يأمرهُ بتكثيف الجهود في الحثّ على الجهاد والدفاع عن الإسلام والمسلمين، إذ نلحظهُ ينتخب الآيات التي تُناسب طبيعة الحدث، مستندًا في بناء صورتهِ على مجموعة من الآيات، ففي حديثهِ عن فضل الجهاد وما فيه من الثواب الجزيل، والأجر المأمول، يذكر قوله تعالى[2]:((**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**))، وكما في قوله تعالى[3]:((**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**)). ثُمَّ يستحضر نصًا قرآنيًا لدلالة على منزلة المجاهدين على القاعدين، في قولهِ تعالى[4]:((**لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً**)).

ثُمَّ يستكمل الكاتب صورته عن طريق استحضار الموروث الديني القرآني، وهو يتحدث عن منزلة الشهداء وماله من الحظ الجزيل، والفوز برحمة الله، والشهادة لهم بالحياة الدائمة، كما في قولهِ تعالى[5]:((**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**)). الكاتب بهذه الرسالة عبر عن فكرتهِ بأجمل تعبير وأحسن تصوير في دعوته إلى الرغبة بالجهاد، إذ استلهم الكاتب النصوص القرآنية باللفظ والمعنى، التي أضفت مصداقية لدلالات الخطاب، انطلاقا من مصداقية القرآن وقدسية الخطاب القرآني، فالقرآن الكريم مصدر ثقافي مهم من مصادر إلهام الأدباء والكتّاب والشعراء.

---

(1) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب ،227/4.

(2) سورة التوبة، الآية: (41).

(3) سورة التوبة، الآية: (120).

(4) سورة النساء، الآية: (95).

(5) سورة آل عمران، الآية: (169).

وكذلك نلحظ استخدام الكاتب التوظيف غير المباشر، مصورًا وصيف وجماعته بالفئة المدافعة عن الإسلام والمؤمنين، إذ استلهم الكاتب عبارات تُذكرنا بالآية الكريمة، في قولهِ تعالى[1]:((**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**))، استطاع الكاتب أن يوظف الصور التي وردت في الآية الكريمة بصورة غير مباشرة ويجعلها ضمن سياق الخطاب، لتأثير في نفوس المرسل إليهم، إذ يقول الكاتب[2]:"فهزم بالقليل من عددهم الكثير من عدد أعدائهم"، ممّا يؤكد استلهام الكاتب لفكرة أنَّ الله أيَّد نصر وصيف رغم قلة عددهم وكثرة عدوهم. ومثال آخر على ذلك مانجدهُ في الرسائل العسكرية في كتاب سعيد بن حميد في نصر وصيف على الروم[3]، إذ يستدعي الكاتب عبارات توحي إلى توظيفه عبارات الآية الكريمة[4]: ((**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ**)).

إنَّ توظيف الموروث الديني عن طريق استحضار النصوص القرآنية حقق الهدف الأدبي، والبعد الجمالي الذي سعى إليه الكاتب، وساعد في تكوين الصورة، لأنّ أسلوب القرآن هو الأسلوب الأمثل للغة العربية، فأنَّهُ يُضفي رونقًا وجمالًا على النصوص الجديدة، إضافةً إلى تأثيره الكبير في النفوس، فأنّهُ يهدف إلى تسهيل عملية التواصل بين المرسل والمرسل إليه[5]، ويجعل القارئ يرسم صورة ذهنية في مخيلتهِ، ودلالة على على عمق ثقافة الكاتب.

2-توظيف الحديث النبوي الشريف:

يعدُّ الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني في العقيدة الإسلامية بعد القرآن الكريم، ومصدرًا مهمًا من مصادر استلهام الأدباء بشكل عام والكتّاب على وجه الخصوص، فالحديث النبوي هو النّص الأبلغ بعد القرآن الكريم من حيث فصاحة اللفظ

---

(1) سورة البقرة، الآية: (249).

(2) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 259/4.

(3) صفوت، أحمد، جمهرة رسائل العرب، 258/4.

(4) سورة الإسراء، الآية: (88).

(5)-الغباري، عوض، دراسات في أدب مصر الإسلامية، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2013م، ص217.

وإشراقة العبارة[1]، لما أوتي به الرسول الكريم من جوامع الكلم، استنادًا إلى قوله تعالى[2]:((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ))، وعُدّت الأحاديث من المصادر المهمة في التشريع الإسلامي، التي يأخذ بها المسلمون في حياتهم، وذلك لأنّ –الرسول صلى الله عليه وسلم–، وضع فيه للناس من فضائل، وسلوكيات، وتشريعات إسلامية بصورة واضحة وبينة[3]، ولأهميته الكبيرة أثَّرَ في تنمية ثقافة الكتّاب، إذ عمّدوا إليه في سبيل خدمة أفكارهم وفي التعبير عمّا يريدون[4]. وهذه الروافد تُمكن الكاتب من إسناد كلامه ودعم حجتهِ، والنهل من معانيهِ، إذ يكسب النّص الجديد رونقًا جماليًا يعكس ثقافة الكاتب.

وعلى مايبدو أنَّ كُتّاب الرسائل في العصر العباسي الثاني، لم يعتمدوا كثيرًا على توظيف الحديث الشريف في بناء صورهم، بل كان تركيزهم على القرآن الكريم، وهذا ما لمسناهُ في رسائل هذا العصر، لأنّهم يبحثون عن الروافد التي تكون أكثر تأثيرًا في نفس المرسل إليه والمخاطَبين كافة.

بعد تناولنا أهم الروافد في تكوين الصورة، التي تعد وسيلة يحاول بها الأديب نقل فكرتُ وعاطفتهُ معًا إلى قرائهِ وسامعيهِ[5]، إذ يبدو إنَّ هذه الروافد أتاحت للكاتب مساحة واسعة في استوحى تصوراتهم، وهذه الأدوات الفنّيّة أعانتهم في التعبير عن مقصدهم، فالصورة تعطي خصوصية التأثير في المتلقي ومتعة في ذهنيهِ عن طريق استعمال تلك الوسائل البيانية المعتمدة على رافد الموروث الديني في استيعاب الشكل والمضمون.

---

(1) الفريحات، عمر، توظيف الموروث في المقامات اللزومية للسرقسطي، ص43.

(2) سورة النجم، الآية: (3،4).

(3) زروقي، عبدالقادر،توظيف التراث الديني في شعر محمد بلقاسم، مجلة أبوليوس، المجلد:6، العدد:4 ،2019م، ص132.

(4) الفريحات، عمر، توظيف الموروث في المقامات اللزومية للسرقسطي، ص43.

(5) الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ط10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1994م، ص242.

5.2 الخاتمة

حاولنا في الصفحات السابقة أن نكشف بروح علميّة أثر الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية في الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني(247–334هـ)، التي جاءت تعبيرًا عن نوازع الخلفاء والأدباء، وأظهرت تطلعاتهم، وكيف عالجوا القضايا التي واجهتهم عن طريق هذا الفن، ولعل أبرز النتائج التي توصّلت الدراسة إليها وهي على النحو الآتي:

أولا: النتائج

1. كشفت الدراسة أنَّ الحياة السياسية لهذا العصر مرّت بأخطر حقبة عبر التاريخ، إذ أصبح النفوذ والسلطان كله بيد الأتراك وقوّادهم، بعد أن كانوا بدوًا رُحَّلًا قبل أن يجلبوهم كخدم ورقيق، لا علم لهم لا بالصناعة، ولا بالتجارة، ولا بالفنون، ولا بالأدب، وسيطروا على الحكم طوال هذه الفترة المُمتدة من (247–334هـ).

2. وكشفت أيضًا أنَّ هؤلاء الترك مارسوا أبشع الأفعال التي لاتمت للأخلاق، والإنسانية بأيِّ صلةٍ، فكانوا المتحكمين بسدَّة الحكم، فهم يولّون ويعزلون، ويقيلون الأمراء والقادة حسب أهوائهم ومصالحهم.

3. وبينت الدراسة أنَّ ممّا زاد في تدهور حال الخلافة في تلك الفترة، انغماس الخلفاء في اللهو والترف، وفساد الحكم، ممّا أثر في انتشار الفساد في كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية، وتفشي ظاهرة السّرقات من الدولة، وكثرة شراء الرقيق التركي باختلاف أشكالهِ وأنواعه، وإنَّ هذا الاختلاط مع الترك نتج عنه ظهور الشَّراب والغلو في المآدب، والتغزل بالغلمان، وتفشي الرشوة والخلاعة.

4. وأوضحت كذلك أنَّ لشيوع ظاهرة الفساد والسّرقات، وضعف الجانب الاقتصادي للدولة، أثر على حال الكتّاب، إذ تمَّ مصادرة الكثير من ممتلكاتهم أبان تلك الحقبة، بسبب ضعف الدولة وفساد خلفائها ووزرائها.

5. وكشفت لنا الحياة السياسية ظهور العديد من الثورات والاقتتال الداخلي، الذي أثر في تردي حال الخلافة، ممّا أفرزت تلك الأحداث ضرورة الاستعانة بالرسائل الديوانية لتنظيم العلاقات السياسية الداخلية، مثال ثورة الزنج وثورة صاحب شامة، ومعالجة خروج الجند والموالي على الخلفاء، وكذلك لها نصيبٌ في تنظيم العلاقات السياسية

الخارجية مع الدول غير الإسلامية كالروم والفرنجة. فهي كانت وسيلة اتصال في السلم والحرب.

6. كما كشفت الدراسة عن أثر الحياة السياسية على الرسائل الديوانية، وكشفت أيضًا تأثير الحياة الاجتماعية عليها، فجاءت معبرةً عن حياة المجتمع العباسي الذي كان يتألف من طبقات عدّة: طبقة عليا تعيش في ترف ونعيم، وطبقة وسطى تعيش بين ترف وشَظف، وطبقة دنيا تعيش في بؤس وفقر وعوَز.

7. كشفت الدراسة أنَّ الحياة الثقافية كانت حاضرة في نصوص الرسائل الديوانية، برغم الضعف الذي أصاب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، إلا أننا نجد تطورًا في الحياة الثقافية، وبرزت ملامح هذا التطور عن طريق الدور الذي كانت تقدّمهُ مراكز العلم المساجد ودكاكين الورّاقين، ومجالس الخلفاء، ودور المكتبات، وأبرزت أيضًا دور الترجمة في هذا التطور، وذلك راجعٌ لاهتمام الخلفاء بالعلم وعنايتهم بالعلماء والأدباء والكتّاب، الذي انعكس على الرسائل الديوانية.

8. وأوضحت الدراسة أنَّ التدخل التركي في الخلافة العباسية لم ينتج عنه أثر إيجابي من الناحية الأدبية على الرسائل الديوانية، والمساهمة في تطوير النظام السياسي والإداري للدولة، كما تطور هذا النظام أبان الحكم الفارسي، الذين كانت لهم دراية وعناية بالأمور الإدارية والاقتصادية والسياسية، ولمسنا فقط آثار سلبية، وسببها أنَّ هؤلاء الترك لم يكونوا أصحاب علم ومعرفة، لأنّهم دخلوا الدولة بصفة رقيق وخدم.

9. وكشفت أيضًا أنَّ الحياة الثقافية والعلمية والأدبية لاتتبعُ الحالة السياسية، فقد تسوء الحياة السياسية وتزدهر الحياة العلمية.

10. نالت الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني، عناية كبيرة ومكانة مرموقة، إذ أصبحت الواجهة الحضارية للسلطة الحاكمة التي تُعبر من خلالها عن أفكارها وسياستها.

11. كشفت الدراسة عن تعدد الأغراض التي تناولتها الرسائل الديوانية حسب حاجة الدولة إليها، فمنها رسائل المبايعات والمخالعات، والرسائل التشريعية، رسائل العقوبات والعزل، الرسائل العسكرية، التوقيعات، رسائل الفتن الداخلية، ورسائل المجاملات، ورسائل الشؤون الإدارية الخارجية.

12. وكذلك كشفت الدراسة عن دور الرسائل في توطيد العلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية وتقريب وجهات النظر، وإنَّ العلاقات السياسية الداخلية والخارجية قائمة على الرسائل الديوانية ووسيلتها في رسم خططها الإستراتيجية، إذ نظمت العلاقات المتبادلة بين الحكّام والرعيّة، وأظهرت الأحداث التي جرت في هذا العصر.

13. وهناك نقطة مهمة أوضحتها تلك الرسائل، أنَّ الدولة العباسية أرادت تثبيت حكمها عن طريق إصدار تلك الرسائل، فعدّت ركنًا أساسيًا في بناء الدولة العباسية.

14. أوضحت الدراسة عن حاجة الدولة للرسائل الديوانية وكتّابها، إذ نلحظ أنَّ الكتّاب كان لهم النصيب الأكبر في تولي منصب الوزارة، لما لهم من مكانة مميزة ومهمة.

15. وبينت أنَّ الرسائل جاءت بألفاظ سهلة وبسيطة واضحة المعالم، لم يعمّدوا إلى الغموض والإبهام، إذ تميزت بجمال الأداء، ورقّة العبارة، وحلاوة الإيقاع.

16. أبانت الدراسة أنَّ الكتّاب اعتمدوا الشكل التقليدي القديم في بناء الرسائل، سار عليه معظم الكتّاب من مقدمة وغرض وخاتمة، وكذلك اعتمادهم على الأسلوب المرسل، والمسجوع وعلى أسلوب الإزدواج، في تقديم المعاني والألفاظ المعبرة عن الأفكار، وعادةً نلحظ امتزاج تلك الأساليب في رسالة واحدة.

17. وأوضحت الدراسة أنَّ هناك رسائل اجتماعية تحمل الطابع الإخواني، لكنّها تتصف بصفة رسمية ديوانية، كونها صدرت من الجهة العليا وموجّه لخطاب العامة في مناسبة من المناسبات، أو موجّه للعلماء والأدباء والكتّاب بغية توطيد العلاقات السياسية والاجتماعية، إذ تعتبر رسائل مجاملات.

18. وكشفت كذلك عن ثقافة الكتّاب واهتمامهم بالموروث الديني من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتوظيفهِ في بناء الصورة، وقد استوحى تصويراتهم، إضافةً على استعمالهم الأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، ويبدو أنَّ استخدامهم للنصوص القرآنية أكثر من الحديث الشريف، واستخدامهم الظاهر الأسلوبية كظاهرة التكرار في تأكيد اللفظ والمعنى والمضمون.

19. أوضحت الدراسة أنَّ توظيف الصورة بأنواعها وأساليبها في الرسائل الديوانية جاء بشكل منظم ومدروس، ولم يبالغوا في التوظيف، وابتعدوا عن الغموض والإبهام، والتعميّة (الشفرة) في الألفاظ والعبارات، بهدف التأثير في نفس المتلقي، فجاءت

انعكاسًا لمقدرة الكتّاب وبراعتهم في التصوير، ولطابع الرسائل الديوانية الرسمي يفرض عليهم الإفصاح والوضوح؛ بغية عدم التأويل عند التفسير، ممّا أسبغ عليها جلالاً وبهاءً.

20. أوضحت الدراسة حُسن استخدام الإيجاز تارةً، والإطناب تارة أخرى بناءً على ماتقتضيه موضوعات الرسالة.

21. كشفت الدراسة دور الأديب الكاتب إبراهيم بن المدبر(ت279هـ)، الذي أنشأ كتابًا في موازين البلاغة وأدوات الكتابة، وجعله منهاجًا ليستضيء به كتّاب عصرهِ والكتّاب اللاحقون.

22. أوضحت الدراسة ظهور وزراء وكتّاب وولاة نابغين، أمثال أحمد بن الخصيب، ومحمد بن طاهر، وسعيد بن حميد ، وسعيد بن عبدالملك، وأسرة بيت وهب كبيرهم سليمان بن وهب، وابنه عبيدالله بن سليمان، وحفيده القاسم بن عبيدالله، وأسرة بنو ثوابة وكبيرهم أبو العباس بن ثوابة، وأبو علي بن مقلة).

23. كذلك بينت الدراسة أنَّ العصر العباسي الثاني جاء مكملًا للعصر العباسي الأول من ناحية تطور الرسائل الديوانية.

24. أخيرًا، كشفت الدراسة أنَّ الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، وحتى الاقتصادية منها، جاءت مُطلة على الرسائل الديوانية، لما لها من ارتباط وثيق مع بعضها البعض، فبتأثر الجوانب الحياتية، يُلقى تأثيرها على تلك الرسائل.

المصادر والمراجع

أبشيهي، شهاب الدين، (د.ت)، **المستطرف في كل فن**، ج1، مكتبة الجمهورية العربية.

ابن العماد، الإمام شهاب الدين، (1989)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط1، مجلد الرابع، دار ابن كثير، دمشق.

أثير، ضياء الدين،(1939)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محي الدين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،ج1.

آلولسي ، عادل يحيى الدين، (1987)، **الرأي العام في القرن الثالث الهجري(198-295)**، ط1، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد.

أمين، أحمد، (1946)، **ظهر الإسلام**، ج1، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

أمين، أحمد، (2010)، **ضحى الإسلام**، القاهرة، دار الكتب العلمية.

إنسي، عبد الباسط، (1913)، **أبدع الأساليب في إنشاء الرسائل والمكاتبات**، ط3، مطبعة جريدة الإقبال، بيروت.

بطوش، أيمن، (2015)، **الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام العصر العباسي الثاني(247هـ-334هـ)**، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة ، قسم التاريخ.

بغدادي، أبو بكر الخطيب، (د.ت).**تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، مجلد6، دار الكتب العليمة، بيروت.

بلبع، عبدالحليم، (1995)، **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه**، عبدالحليم، مطبعة الانجلوالمصرية، القاهرة.

بنداري، حسن، (2018)، **فن الرسالة في العصر العباسي**، بحث منشور، الناشر رابطة الأدب الحديث، العدد:12.

بوسقيعة، سليم، (2015)، **الثقافة السياسية ودور الإعلام في تنميتها**، جامعة القسنطينة، قسم علم الاجتماع، مجلة الباحث الإجتماعي، العدد:11.

بيوض، حسين، (1996)، **الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول**، وزارة الثقافة، دمشق.

تغري، جمال الدين أبي المحاسن، (1963)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج3، وزارة الثقافة المصرية.

جاحظ، أبو عثمان، (1965)، **كتاب الحيوان**، تح:عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، ج3.

جبوري، رمضان، (1997)، **الرسائل الديوانية في العصر العباسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري**، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

جبوري، كامل، (2003)، **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002هـ**، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.

جرجاني، عبدالقاهر، (1983)، **أسرار البلاغة في علم البيان**، تعليق:محمد رشيد، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

جرجاني، عبدالقاهر،(2004)، **دلائل الأعجاز**، ط5، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

جوزي، أبو الفرج عبدالرحمن، (د.ت)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، الجزء:13،12، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

جوزي، أبي الفرج، (1923)، **مناقب بغداد**، مطبعة دار السلام، بغداد.

حجاب، محمد،(1986)، **بلاغة الكتّاب في العصر العباسي**، ط2، مكبتة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.

حلبي، شهاب الدين، (1897)، **كتاب حسن التوسل إلى صناعة الترسل**، مطبعة أين فندي،مصر.

خفاجي، محمد عبدالمنعم، (1992)، **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**، دار الجيل للطباعة، بيروت،ط1.

خفاجي، محمد عبدالمنعم،(1954)، **الحياة الأدبية في العصر العباسي** ، ط1، دار العهد الجديد للطباعة ، القاهرة.

خفاجي، محمد عبدالمنعم،(1990)، **الأدب العربي وتأريخيه في العصرين الأموي والعباسي**، دار الجيل، بيروت،ط1.

خفاجي،ابن سنان، (1982)، **سر الفصاحة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (2004)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار يعرب.

خلفاوي، ياسر؛ العبيدي، فريدة،(2021)، **الكتابة الرسائلية في العصر العباسي: الرسالة الديوانية أنموذجا**، دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد(13)، العدد(2).

دخيل، حمد بن ناصر، (2006)، **فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي**، قسم اللغة العربية، جامعة محمد بن سعود، الرياض، بحث منشور.

دروبي، محمد، (1996)، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية.

دوري، عبدالعزيز، (د.ت)، **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**، بغداد، شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة.

ذهبي، الحافظ،(1985)، **العبر في خبر من غبر**، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.

رعدان، عبدالكريم،(2012)، **فن التوقيعات في الأدب العربي، بحث منشور، مجلة الدراسات الاجتماعية**، جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، عدد:34.

رندا، حسين،(2009)، **الرسائل الديوانية في العصر العباسي الثاني(232-334هـ):دراسة في المضامين والأساليب**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

زبير، القاضي الرشيد، (1959)، **الذخائر والتحف**، ط1، دائرة التراث العربي للمطبوعات والنشر.

زروقي، عبدالقادر، (2019)، **توظيف التراث الديني في شعر محمد بلقاسم**، مجلة أبوليوس، المجلد:6، العدد:4.

زكار، سهيل، (1979)، **تاريخ العرب والإسلام**، ط3، دار الفكر ، بيروت.

زيتوني، لطيف، (2002)، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، ط1، دار النهار للنشر.

زيدان، جرجي، (د.ت)، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج2، دار الهلال.

زيدان، جرجي،(1973)، **تاريخ التمدن الإسلامي**، ج5، دار الهلال.

سراحنة، فاطمة، (2020)، **رسائل التعزية في العصر العباسي**، بحث منشور، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط.

سلايمة، عيسى، (2013)، **توظيف الموروث في شعر النابغة الذبياني**، رسالة ماجستير، جامعة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.

سيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، (2003) **تاريخ الخلفاء**، ط1، دار ابن حزم، بيروت.

شاكر، محمود،(2001)، **خلفاء العصر العباسي الثاني**، المكتب الإسلامي.

شطناوي، محمد تركي، (1994)، **المصادرات في العصر العباسي(132-334هـ)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، أربد.

شعراوي، أحمد،(د.ت)، **دراسات في الأدب العربي وتأريخيه**،دار الطباعة المحمدية، القاهرة.

شهراني، عبدالرحمن، (1983)، **التكرار مظاهره وأسراره**، رسالة ماجستير، جاممعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

شهيد، حشر الدين، (2007)، **الرسائل الإخوانية في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

صبح، علي، (د.ت)، **الصورة الأدبية تاريخ ونقد**، ط1، دار أحياء الكتب العلمية، بيروت.

صديق، سامية، (2005)، **فن التوقيعات في النثر العربي**:تأصيل وتحليل، بحث منشور، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، عدد:36.

صفدي، صلاح الدين، (2000)، **الوفي بالوفيات**، ط1، ج10، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

صفوت، أحمد، (1931)، **جمهرة رسائل العرب في العصور الزاهرة**، ج4، المكتبة العلمية، بيروت.

صوفي، مساعد بن مساعد، (2008)، **العوامل السياسية وأثرها في ضعف الخلافة العباسية(247هـ-334هـ)**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية.

ضيف، شوقي، (د.ت)، **في النقد الأدبي**، ط9، دار المعارف، القاهرة.

ضيف، شوقي، (د.ت)،**تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني**، القاهرة، دار المعارف.

ضيف، شوقي،(د.ت)، **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**، ط8، دار المعارف، القاهرة.

طبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (1975)، **تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط2، دار المعارف بمصر.

طراونة، نعمات، (2008)، **ديوان الرسائل في العصر العباسي الأول**، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة.

طقطقي، محمد بن علي، (1960)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت.

طقوش، محمد سهيل، (2009)، **تاريخ الدولة العباسية**، ط7، دار النفائس.

طنطاوي، علي، (1990)، **الجامع الأموي في دمشق**، ط1، دار المنايرة، السعودية.

عامري، العلامة يحيى بن أبي بكر بن محمد، (1968)، **غربال الزمان في وفيات الأعيان**، تحقيق وتصحيح وتعليق، محمد ناجي، وإشراف عبدالرحمن، مطبعة زين بن ثابت، دمشق.

عباس، إحسان، (1969)، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة**، ط2، دار الثقافة ، بيروت.

عباس، حسن، (1988)، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، منشورات اتحاد الكتّاب العرب.

عريني، السيد الباز، (د.ت)، **الدولة البيزنطية**، دار النهضة العربية، بيروت.

عسكري، أبو الهلال الحسن بن عبدالله، (1966)، **الصناعتين الكتابة والشعر**، تح:علي محمد البجاوي وآخر، ج1، بيروت.

عصفور، جابر، (2009)، **الخيال،الأسلوب، الحداثة**، ط2، طبع بمطابع مصر للطيران، المركز القومي للترجمة.

عصفور، جابر،(1992)، **الصورة الفنية**، ط3، الناشر:المركز الثقافي العربي.

علاوي، محمود، محمد، (2020)، **سجى،التكرار في رسائل العصر الأموي**، جامعة بغداد ، مجلة الآداب العدد:(132).

علم، حسام،(2007)، **دراسات في النثر العباسي**، ط4، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر.

علوش، سعيد، (1985)، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

علي، نبيل، (1993)، **نقد النثر في تراث العرب النقدي؛ حتى نهاية العصر العباسي656هـ**، الهيئة المصرية العامة للكتب.

عليمات، فوزية،(2004)، **المؤسسات الإقتصادية والإجتماعية،والتعليمية**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الآداب.

غالب، مصطفى،(1979)، **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، دار الأندلس، ط3، بيروت.

غباري، عوض، (2013)، **دراسات في أدب مصر الإسلامية**، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

غريب، سلامة هليل، (2003)، **الرسائل الفنية في العصر المملوكي الأول:648/784هـ** ، أطروحة دكتوراه،كلية الآداب، جامعة مؤتة.

فريحات، عمر، (2019)، **توظيف الموروث في المقامات اللزومية للسرقسطي**، رسالة ماجستير، جامعة فيلادلفيا، الأردن.

قتيبة، أبو محمد، (د.ت)، **أدب الكاتب**، شرح وتقديم: علي فاعور، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة السعودية العربية.

قزويني، الخطيب، (2003)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، دار الكتب العلمية، بيروت.

قطب، سيد، (2013)، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، القاهرة.

قلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، (1917)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج11، المطبعة الأميرية، القاهرة.

قلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، (1985)، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، ج1، الكويت، مطبعة حكومة الكويت.

كثير، الحافظ، (1990)، **البداية والنهاية**، ط8، مكتبة المعارف، بيروت.

كرد، علي،(1913)، **رسائل البلغاء**، دار الكتب العربية الكبرى.
كريستيفا، جوليا، (1991)، **علم النص**، ترجمة:فريدة الزاهي، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.
كلاعي، أبو القاسم، (1966)، **إحكام صنعة الكلام**، دار الثقافة للنشر، بيروت.
مبارك، زكي،(1931)، **الرسالة العذراء**، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة.
مبارك، زكي،(2012)، **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
محمود، أحمد محمود، (2008)، **البيعة في الإسلام تاريخها وأقسامها بين النظرية والتطبيق**، عمان، الأردن، دار الرازي للنشر.
مدور، محمد، (2017)، **الأفعال الكلامية في القرآن الكريم**، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها،الجزائر.
مسعودي، أبو الحسن علي،(2005)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**،ج4، ط1، المكتبة العصرية، بيروت.
مصري، أبو الأصبع، (د.ت)، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر**، تحقيق: حنفي محمد.
مصطفى، شاكر،(1973)، **دولة بني العباس**، ج1.
مطلوب، أحمد،(2007)، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، مكتبة ناشرون، لبنان.
منظور، جمال الدين محمد بن مكرم،(د.ت)، **لسان العرب**، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت.
مؤنس، العاني، (2015)، **ترسل أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف الكاتب**، رسالة ماجستير، جامعة أهل البيت، الأردن.
ناهم، أحمد، (2004)، **التناص في شعر الرواد**، ط1، دار الشؤون الثقافية.
نجار،محمد الطيب، (د.ت)، **الموالي في العصر الأموي** ، القاهرة، دار النيل للطباعة.
نحال، رشا، (2014م)، **فن الرسائل في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، فلسطين، غزة.

ندیم، (1971)، **الفهرست**، تحقیق:رضا تجدد.

هاشمي، أحمد، (د.ت)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة العصرية، بيروت.

هاشمي، أحمد،(1969)، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، ج1، المكتبة التجارية الكبرى.

هروط، عبدالحليم، (1994)، **الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

هلال، محمد غنيمي، (1997)، **النقد الأدبي الحديث**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، (1995)، **معجم البلدان**، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، لبنان.

المعلومات الشخصية:

الاسم: ميثم فيصل كاظم

التخصص: الدراسات الأدبية والنقدية

القسم: اللغة العربية وآدابها